مركز البحوث العربية والإفريقية

التنشئة الاجتماعية والمعتقدات في مالي

دراسة ميدانية على قبائل البمبارا

تأليف

عزة عبد الخالق

تصدير

حلمي شعراوي



بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اسـم الكتاب : التنشئة الاجتماعية والمعتقدات في مالي

المــــــؤلف : عزة عبد الخالق

رقـم الإيداع : ٢٠١٣/٩٠١٣٠

الطبعة الأولى ٢٠١٣



القاهرة : ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل

ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ـ ٢٧٨٧٧٥٧٤

Tokoboko_5@yahoo.com

الفهرس

تصدير

لا شك أنه مما يسعد باحثا مثلى، قضى أكثر من خمسين عاما الآن قريبا من الأحـداث الأفريقية، والتفاعل المصرى والعربى معها، أن يشهد بين يوم وآخر من يقترب أكثر من هذا الواقع الأفريقي، وخاصة عبر الدراسة الأنثروبولوجية المباشرة.

مازلت أذكر يوم ذهبت الشابة «حورية مجاهد» أول الستينيات من القرن الماضى إلى جمهورية «مالى» حديثة الاستقلال؛ بمعاونة إدارية ودبلوماسية من الشئون الأفريقية التى شرفت ببدء العمل فيها وقتئذ ؛وترحيـب حـزب «الاتحـاد السـودانى» وقادتـه الشـبان التقدميين بالباحثة المصرية(حيث كانت مالى نفسـها تسـمى السـودان الغربـى) وذلـك لدراسة تجربة الحزب الواحد فى أفريقيا ومن أجل الحصول بها عـلى ماجسـتير العلـوم السياسية. وظل هؤلاء القادة سعداء بهذه اللفتة من مصر وقادتها طوال السـتينيات، كمـا ظلت الدراسة عملا بارزا للأستاذة الدكتورة فى مجال الدراسـات المصـرية، رغـم كـل التطورات التى شهدتها القـارة، بـل وشـهدتها الدراسـات الأفريقيـة نفسـها، موضـوعا ومنهاجا.. وأظن أن هذه اللفتة قد جعلت معهد البحـوث والدراسـات الأفريقيـة يلـزم طلبته بمبدأ الدراسات الميدانية فى أفريقيا كلمـا اسـتطاعوا إلى ذلـك سـبيلا، ولا يعـوق مجتهدا السبيل إلى ذلك فى أغلب الأحوال.

ها هى واحدة من أحدث المجتهدات تشد الرحال إلى جمهورية مالى عام ٢٠٠٩ بعد حوالى أربعة عقود من التجربة المصرية الأولى، فتذهب الأستاذة «عزة عبد الخـالق» إلى مالى وإلى أقاصى جنـوب هـذه الـبلاد فى دراسـة أنثروبولوجيـة عـن منطقـة «سـيقو» أو «سيجو»، لتتحقق من طبيعة تراث شعب «البامبارا» وتمثلاتهم التقليديـة، والإسـلامية، وموروث مملكة السنغاى ولمسات الماندنج، فى هذه المنطقة الحية فى «مالى»... والتى تشهد اليوم أقسى الصراعات، تحت مسميات قبلية ودينية، واستعمارية وعسـكرية.. لا تخفى ولا ترحم..

لست هنا فى حال تقديم علمى لعمل أكاديمى، لكنى أعبر هنا فقط عن ترحيب مركز البحوث العربية والأفريقية بأن ينشر عملا جديدا وميدانيا لباحثة من معهد البحوث والدراسات الأفريقية بإشراف كوكبة من أساتذته الأفاضل يضيفون بها معرفة ملموسة بالمكونات الاجتماعية لشعب من شعوب القارة بمناهج أنثروبولوجية وسوسيولوجية مقدرة، تشكل بالضرورة أساسا معرفيا بدورها للتفاعلات السياسية الجارية، أو هذا مما نأمله بالنسبة لما يجرى فى «مالى».

إن تلك البلاد هى أول ما برز فى رحلة ابن بطوطة «لبلاد السودان»على امتداد الصحراء الكبرى فى منتصف القرن الخامس عشر، وقد كانت ساحة لممالك وامبراطوريات؛ من «واجادوغانا» لمالى للسنغاى، والسونكى،ولثقافات تقليدية، وأمازيغية بربرية، وعربية إسلامية... ولذلك فإنها تحتاج لفرق بحثية كاملة للتعرف على تراثها الواسع العميق الذى يقف وراء ما أسمته هنا الباحثة «بالتنشئة الاجتماعية»، وبالتراث الشفاهى، وبالعادات والتقاليد، وما ورد من عناصر الحياة اليومية فى الزراعة والتجارة..إلخ. وأظن أن طرح أنماط التعليم وتوارث تقاليده، فى هذه الدراسة هو الذى لا تكفيه مجلدات لنعرف التأثيرات الهائلة لهذا الموروث فى وضع المرأة، أو كيفية استقبال الحداثة، والوافد الاستعمارى،وكيف كتبت اللغة الأصلية بالحرف العربى، وأقيم سلم التعليم الدينى ضمن عملية المقاومة الثقافية السائدة فى تراث هذه المنطقة ولا ننسى هنا أن «مالى»هذه هى الحاضنة لمدارس «تمبوكتو» التراثية الإسلامية البربرية العربية، وأنها أيضا حاضنة جماعة «الدوجون» التى يحفل بها كثيرا «المستفرقون» كنموذج للمدرسة التقليدية القديمة والتمسك بالمسيحية حديثا، وكيف يعيش عالم «الأساطير»عندهم وسط التحولات الدينية، وكأنها بدعة لا يعرفها وادى النيل، وكافة الحضارات المعروفة.وقد كانت مالى ومازالت فى معظم مساحتها ملتقى أبناء«كل تماشق» أو مايعرفون بالطوارق،مع بقايا العنصر العربى هناك فضلا عن شعوب الممالك التاريخية المعروفة.

لم أدهش لمعرفتى كيف أطلق الفرنسيون على منطقة «بلاد السودان»، مجتمعة «ومقسمة» إلى حوالى ثمانى أقاليم «المجموعة الفرنسية» لغرب أفريقيا« La commaunitè francaise لأنهم كانوا يعرفون أنها ذات أساس إنسانى واجتماعى

توحيدى بتفاعلات ما ذكرنا من عناصر خاصة،وأن اسم «التكرور» و«الماندى» يكاد يكون الاسم الوحيد لهذا الامتداد...

وليس صدفة أن مناضلا أفريقيا من أمريكا الجنوبية، مثل« والتر رودنى» جعل التعليم قضية حياته فى شرقى أفريقيا وهو الذى اغتيل عند تشكيله حزبا سياسيا فى «جويانا الشمالية»، لأنه كان يؤكد أن التعليم الأفريقى هو أساس التنشئة الاجتماعية على قضايا التحرر والتحديث السليم... والثورة... وأظن أن تاريخ مالى بمناطقها المتنوعة يقول الكثير فى هذا المجال.. وأملى أن يجد القارئ فيما قدمته الأستاذة «عزة عبد الخالق» بعض مما يثير انتباهه لهذه القضايا الحيوية التى يجب أن نقرأ من خلالها دراستها عن العاذات والتقاليد والمعتقدات فى علاقتها بالتعليم والتنشئة الاجتماعية إذ أتصور أن بين سطورها الكثير مما يجب مواصلة دراسته من أجل معرفة صحيحة بأفريقيا.

لابد أن أشكر هنا هذا الجهد المقدر للباحثة، وقد فاجأتنا بأنها في طريقها ثانية إلى جمهورية مالي لتتويج جهدها بدراسة ميدانية جديدة للحصول على الدكتوراه.ومن هنا تأتى سعادة مركز البحوث العربية والأفريقية بنشر هذه الدراسة التمهيدية لفتح الآفاق الممتدة ميدانيا في الساحة الأفريقية.

حلمي شعراوي

القاهرة – مارس ٢٠١٣

شكر وتقدير

تتوجه الباحثة بخالص الشكر والامتنان إلى من كان لها الفضل الأول فى إتمام هذا العمل : بدايةً من اختيار مجتمع الدراسة ، إلى خروج هذه الدراسة إلى النور، وهى أستاذتى الأستاذة الدكتورة سلوى يوسف درويش / أستاذ ورئيس قسم الأنثروبولوجيا بمعهد البحوث والدراسات الإفريقية جامعة القاهرة .

كما أتقدم بخالص الشكر والامتنان إلى الأستاذ الدكتور / عبد العزيز راغب شاهين لتوجيهاته العلمية .

و الأستاذة العظيمة والأخت الكبرى الأستاذة الدكتورة/ إيمان يوسف بسطويسى على المجهود العظيم الذى بذلته معى فى هذا البحث وعلى إرشاداتها العلمية القيمة .

كما تتوجه الباحثة بالشكر العميق إلى «الجالية المالية » المقيمة فى القاهرة وهم مائة وخمسون طالباً فى جامعة الأزهر فى كلياتها المختلفة وعلى رأسهم الطالب محمد نيارى رئيس اتحاد طلبة الغرب الإفريقى فى القاهرة ، شكرا لهؤلاء الطلبة على مساعدتهم لى في القاهرة ، وأيضا على مصاحبتهم لى أثناء سفرى وإقامتى فى دولة مالى .

وشكرى العميق لوالدتى وأشقائى لمساندتهم لى أثناء الدراسة والسفر .



تقديم

الهدف من الدراسة التعرف علي المعتقدات الدينية عند قبائل البمبارا في مالي وتأثيرها على التنشئة الاجتماعية ، خاصا أن مجتمع البمبارا من أشد المجتمعات حرصا على العادات والتقاليد وبثها في الأجيال تباعا . و تنقسم هذه الدراسة إلى ثلاثة أقسام :

- القسم الأول وهو القسم النظري
- القسم الثاني وهو القسم العملي والدراسة الميدانية على مجتمع البحث في قرية سيكورو فى مدينة سيجو / نتائج الدراسة .
- القسم الثالث ويشمل الصور والملاحق الخاصة بالدراسة .

عرض ملخص للدراسة الميدانية :

تنقسم الدراسة الميدانية إلى شقين :

الشق الأول : وهو الدراسة الميدانية التى قامت بها الباحثة فى جمهورية مصر العربية وذلك من خلال اللقاءات التى أجرتها مع الجالية المالية التى تقيم فى مدينة البعوث فى القاهرة (مجموعة من الطلبة فى جامعة الأزهر فى كلياتها المختلفة) وأكثرهم من قبائل البمبارا بالإضافة إلى لقاءات فى سفارة جمهورية مالى الحديثة فى القاهرة ، بمساعدة الإخبارى الرئيسى وهو محمد نيارى رئيس اتحاد طلبة الغرب الإفريقى فى القاهرة .

الشق الثانى : من الدراسة كان فى قرية سيكورو التابعة لمدينة سيجو فى دولة مالى الحديثة حيث تتمركز قبائل البمبارا ومكانة هذة المدينة فى نفوس أهالى بمبارا وتم جمع المعلومات من اللقاءات مع الأهالى والتعايش معهم واللقاءات مع بعض المسئولين عن التعليم وفى السفارة المصرية فى دولة مالى هناك واستخدمت الباحثة التصوير الفوتوغرافى والفيديو فى تسجيل اللقاءات .

في هذه الدراسة تم إلقاء الضوء أولا علي الديانة التقليدية وصفاتها وأسمائها عند البمبارا التقليدية وكيفية التحول إلى الإسلام و انتشاره في مالي ثم البمبارا وكيف أن المعتقدات التقليدية منها ما أصبح عادة من العادات ومنها ما طوع حسب الإسلام مثل التعدد في الزواج .

اشتملت الدراسة أيضا المرأة في الديانة التقليدية وفي الإسلام ثم المرأة ووضعها في مجتمع الدراسة .

ثم بيان وشرح بعض العادات والتقاليد الخاصة بالبمبارا والموجودة في مالي عامة منها مراسم الزواج وما يتم عند الزواج من بداية اختيار الزوجة وسن الزواج وما يتبع من ممارسات تقليدية . وقد أوضحت الدراسة أن الزواج يتم بطريقتين الطريقة الإسلامية والطريقة التقليدية ورصدت الباحثة حفل زواج تقليدي بالصوت والصورة (تصوير فوتوغرافي وتصوير فيديو) ومرفق بالرسالة صور لهذا الحفل .

التعرف علي المنزل وبناءه في القري وفي المدينة والفرق بينهم وقد تم دخول أحد المنازل والعيش مع أهله والتصوير والتعرف علي العادات والتقاليد في : الزواج / وطريقة المعيشة داخل المنزل / وكيفية تقسيم العمل بين أفراد الأسرة .

كما أوضحت الباحثة أيضاً الممارسات التقليدية للمرأة أثناء الحمل ومحرمات الأطعمة على الحامل ونتيجة ذلك على صحة الأم والطفل ، و الطقوس المتبعة فى الولادة ، وتسمية المولود ، و طريقة حمل الأطفال ومن يقوم بها وأثر ذلك على دورها فى التنشئة الاجتماعية .

كما تعرضت الباحثة للعادات في تربية الأطفال وعلي من تلقي مسئولية تربية الأطفال و المراحل التي يمر بها الطفل إلى أن يدخل المدرسة و دور المرأة في ذلك ودور الأسرة والمجتمع.

التعرف علي العادات المتبعة في تربية الأطفال في سن المدرسة والمؤسسات التي تساهم في تنشئة الأطفال من سن الولادة إلى نهاية مرحلة الطفولة أي إلى سن ١٥ سنة تقريبا . وتم ذلك بالزيارات التي قامت بها الباحثة لبعض الأسر والمدارس والحضانات ووزارة التربية والتعليم (القسم العربي) .

تم التعرف علي نظام التعليم في مالي عاما وفي القري خاصا وتـم إيضـاح الفـرق بـين النظامين . وإلقاء الضوء علي سن الالتزام بالتعليم للولد وللبنت .ومدي الاهتمام بتعليم الفتاة وتم زيارة بعض المدارس والحضانات في المدينة والكُتاب في القرية .

المنهج المستخدم في الدراسة :

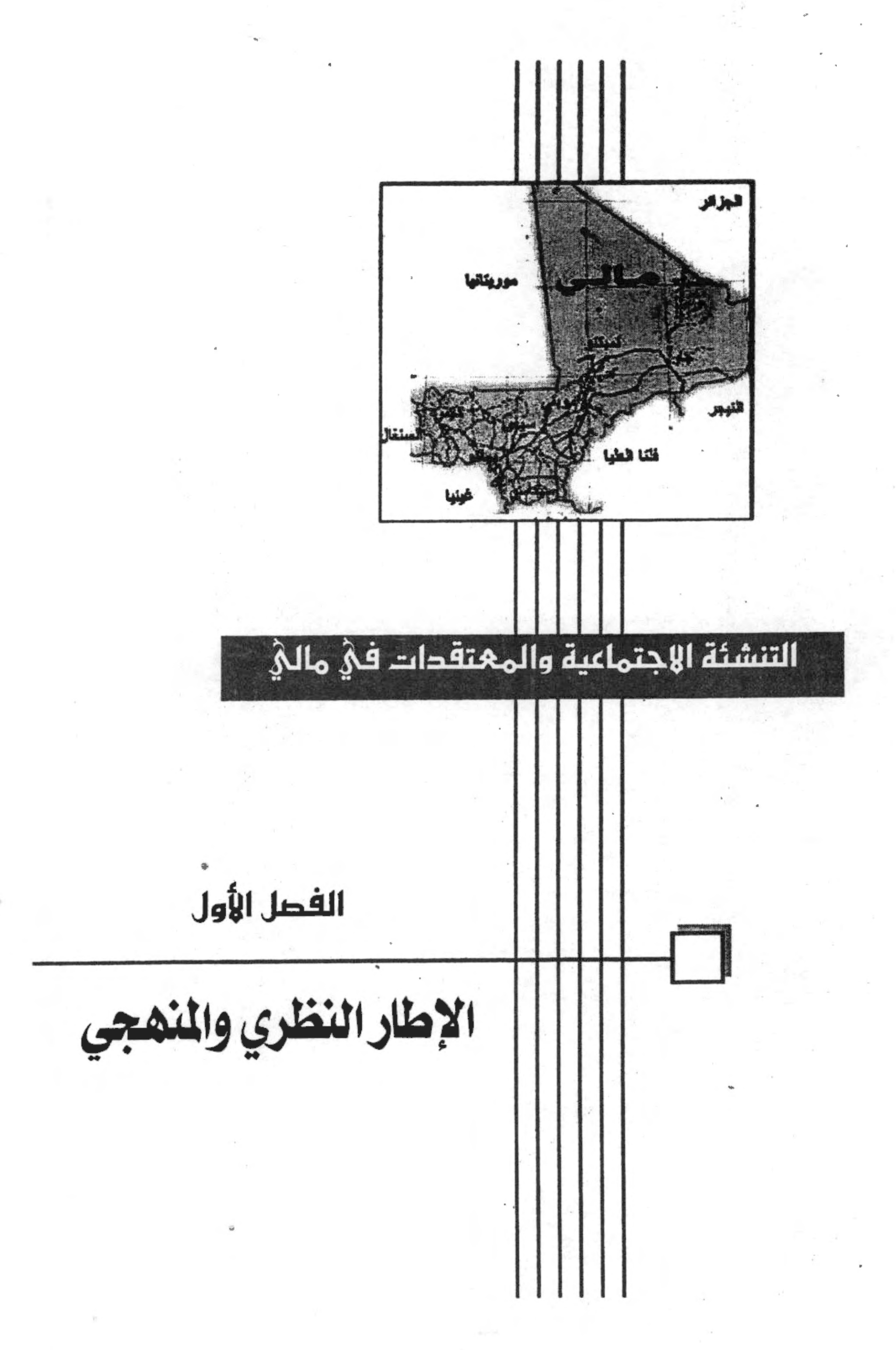
استخدمت الباحثة ثلاث مناهج هي :

١- المنهج الأنثروبولوجي شامل الدراسـة الميدانيـة واسـتخدام الأدوات اللازمـة لذلك وهي الملاحظة بالمشاركة وتمت من خلال سـفرى والإقامـة فى قريـة سـيكورو والتعايش مع أفرادها ،واستخدام دليل العمل الميداني ، إجراء المقابلات بالإضـافة إلى التصوير الفوتوغرافي و تصوير فيديو .

٢- المنهج التاريخي لعرض تاريخ مالي ودخول الإسلام وتاريخ البمبارا ودخولهم الإسلام .

٣- المنهج الوصفي التحليـلي لوصـف وتحليـل واسـتنتاج النتـائج مـن الدراسـة الميدانية .





التنشئة الاجتماعية والمعتقدات في مالي

الفصل الأول

الإطار النظري والمنهجي

المقدمة :

يشكل الدين أحد أهم الركائز لدى الإنسان المعاصر نظراً للتغيرات السريعة المستجدة فى حياة المجتمعات وبنائها السريع ، مقارنه مع ما كانت عليه فى السنوات السابقة التى تميزت ببساطة الحياة ورتابتها ، فالتغيرات السريعة فى سياق الحياة المتنوعة التى أحدثت انقلابات شبه جذرية فى تلك المجتمعات والتى طالت خلالها القواعد والقوانين والقيم الاجتماعية وكل ما يتصل بتنظيمها مما دفع الكثير إلى العودة إلى الدين لتنظيم حياه الناس ، فى التجمعات السكانية التى أصبحت من كثافتها لا تطاق مع الابتعاد عن القيم والمعايير الاجتماعية ، فكانت العودة إلى الدين أمراً محتوماً والعودة إلى قيم الأصالة المتمثلة فيه وللدين تأثير فعال على سلوك الأفراد وتكوين أفكارهم وأسلوبهم فى الحياة ، وفى ضوء ذلك يعد الدين هو القاسم المشترك للسلوك إزاء مواقف الحياة اليومية المختلفة فى التربية ، وإقامة الروابط والعلاقات داخل الفرد نفسه وبينه وبين شريك حياته وبينه وبين أولاده ، لذا فإن أسس تكوين الروابط المعتمدة على الدين تبدأ من داخل الأسرة الصغيرة .

أما التنشئة الاجتماعية فهى العملية التى من خلالها يتعلم الأفراد كيف يصبحون أعضاء فى المجتمع من خلال استدماج معايير وقيم المجتمع من ناحية أو تعلم كيفية أداء الأدوار الاجتماعية .

والتنشئة الاجتماعية تعد أساسية فى تحقيق التكامل فى المجتمع ، فالتنشئة عملية مستمرة مدى الحياة ، كما أنها ليست مجرد عملية ذات خط واحد يتعلم من خلالها الأفراد كيف يتكيفون مع المجتمع ، استأثرت التنشئة الاجتماعية باهتمام العديد من المفكرين والباحثين من علماء الأنثروبولوجيا والاجتماع ، كما أن الديانات المختلفة السماوية أو التقليدية اهتمت بالتنشئة الاجتماعية ودعت إلى إيلائها المكانة التى تستحقها ، وتعد التنشئة الاجتماعية منهجاً يستطيع به الأفراد اقتران القيم الدينية والمعايير التى تشكل الشخص ، تعتبر التنشئة الاجتماعية من أخطر العمليات شأنا في حياة الفرد لأنها تلعب دورا أساسيا في تكوين الشخصية الاجتماعية للفرد والتنشئة الاجتماعية في معناها العام هي العملية التي يصبح بها الفرد واعيا ومستجيباً للمؤثرات

الاجتماعية بكل ما تشتمل علية هذه المؤثرات من ضغوط وما تفرضه عليه من واجبات .

من خلال عملية التنشئة الاجتماعية وما يحدث للطفل بل والراشد أيضا من تغيرات وما يتعرض له من مؤثرات اجتماعية كلما دخل جماعة أو مؤسسة اجتماعية وكلما دخل في دور من الأدوار الاجتماعية غير المألوفة لـه والتـي تتطلـب منـه تعـديلا لسـلوكه أو اكتسابا لأنماط جديدة من السلوك ، التنشئة الاجتماعيـة هـي الوظيفـة المشـتركة التـى تشترك فيها الأسرة والمؤسسات الاجتماعية كالمدرسة والمجتمع ككل ومالم تكن هذه التنشئة متدرجة من البيت إلى المدرسة إلى المجتمع وتحت رعاية ومتابعة فإنها لن تـؤتي ثمارها .

تعد قبائل البمبارا فى مالى من أكثر القبائل التى تولى اهتماما خاصـاً لـدور الـدين فى التنشئة الاجتماعية سواء كان ذلك الدين التقليدى التى مازالت جذوره راسخة ومـؤثرة بشكل كبير فى عمليه التنشئة الاجتماعية أو الدين الإسـلامى بتعاليمـه والتـى أصـبحت واضحة وتشكل جزءا هاماً فى عملية التنشئة الاجتماعية .

تهتم الأسرة في المجتمـع القـبلي بالتربيـة وفي نطـاق الأسـرة يـزاول الطفـل المهـن التقليدية وأنماط السلوك من خلال عملية التقليد للكبار وتلك هي التربية غير الرسمية . وتبدو مظاهر العملية التربوية واضحة في الطقوس والعادات والشـعائر المختلفـة ومـن هنا يظهر أثر المعتقدات الدينية والدين ذلك لأن هـذه المجتمعـات التـي يطلـق عليهـا تقليدية أو أولية نجد أن الدين بكل أشكاله سواء كان تقليدي أو سـماوي يـدخل لـيس فقط في التربية وإنما في جميع مجالات الحياة ومجتمع الدراسـة مـن أكثـر المجتمعـات تمسكا بالعادات الدينية والتقاليد .

وتعد المعتقـدات الدينيـة وهـي مـن أكثـر العناصـر الثقافيـة التـي تشـكل التنشـئة الاجتماعية عاما وتنشئة الأطفال خاصة في مجتمع البمبارا في مالي ، كما أن التغير الديني ودخول الدين الإسلامي وأثره بشكل واضح علي تنشئة الأطفال في مجتمع الدراسة وهو من المجتمعات التقليدية التي دخلها الإسلام وأن نسبة المسلمين حسب الإحصائيات ٩٥٪ وبالرغم من ذلك نجد من خلال هذه الدراسة أنهم طوعوا الإسلام ليتماشـى مـع معتقداتهم وعاداتهم كما أن كثيرا من معتقـدات الـدين القـديم أصـبحت بالنسـبة لهـم

عادات وتقاليد لايستطيعون التخلص منها أو التغلب عليها حتى بعد دخول الإسلام .

وقد كان الهدف من الدراسة إلقاء الضوء على المعتقدات الدينية عند قبائل البمبارا فى مالى وتأثيرها على التنشئة الاجتماعية خاصةً أن المجتمع يدين بالإسلام بل ومن أشد المجتمعات حرصاً على القيم الإسلامية وبثها فى الأجيال تباعاً وأكثر من ذلك هناك الديانات التقليدية التى تسير جنباً إلى جنب مع الإسلام .

وقد اعتمدت الدراسة على المنهج الأنثروبولوجى القائم على الدراسة الميدانية سواء فى المجتمع الأصلى فى مالى أو حتى الاعتماد على الإخباريين فى مدينه البعوث الإسلامية فى القاهرة .

وانقسمت الدراسة الميدانية إلى شقين :

الأول : الدراسة الميدانية التى أجرتها الباحثة فى القاهرة وهى مقابلات مع بعثة الطلبة الماليين فى القاهرة مقيمين فى مدينة البعوث الإسلامية ،طلبة يدرسون فى جامعة الأزهر بكلياتها المختلفة ، وقد تمت اللقاءات بمعاونة الطالب محمد نيارى رئيس اتحاد طلبة الغرب الإفريقي فى القاهرة ويرجع له الفضل فى إتمام هذه اللقاءات وتجميع الطلبة ، استمرت هذه اللقاءات ما يقرب من عام قبل السفر إلى دولة مالى خلال عام ٢٠٠٨ / ٢٠٠٩ بالتحديد شهر يونيه ٢٠٠٨ إلى ميعاد السفر يونيه ٢٠٠٩.

الشق الثانى من الدراسة : وهو الدراسة الميدانية فى مجتمع البحث مدينة سيجو فى دولة مالى بالتحديد قرية سيكورو حيث تجمع قبائل البمبارا مدة الإقامة من شهر يونيو ٢٠٠٩ إلى شهر أغسطس ٢٠٠٩(ستون يوماً) بالرغم من قصر المدة فقد تمكنت الباحثة من جمع المعلومات اللازمة للدراسة .

وقد اعتمدت الدراسة على وسائل جمع البيانات من الملاحظة بالمشاركة والمقابلات والتصوير الفوتوغرافى والفيديو رغم الصعوبات التى تعرضت لها الباحثة .

علاوة على ذلك استعانت الباحثة بالمنهج التاريخي والمنهج الوصفى التحليلى ، كما اعتمدت الدراسة على النظرية المعرفية فى العرض والتحليل ووضع الإطار الكلى للدراسة .

وقد قسمت الدراسة إلى أربعه فصول رئيسية علاوة على المقدمة والخاتمة وقائمة بالمراجع العربية والأجنبية والملاحق .

أهمية الدراسة :

تأتى أهمية هذه الدراسة من أهمية الفئة العمرية التي تتناولها بالدراسة وهي الأطفال أو مرحلة الطفولة من الميلاد وقبل سن المدرسة والسنوات الأولى من الدراسة . هذه المرحلة من عمر الإنسان هى من أهم المراحل التى يمر بها فهى الأساس لمستقبل الفرد وبالتالي للمجتمع بأكمله . وتعد تربية النشىء وخاصة في مرحلة الطفولة هي أساس المجتمع سواء كان مجتمعاً متحضراً أو مجتمعاً بسيطاً قبلياً ويتضح فيها دور الأسرة والمؤسسات الأخرى فى هذه العملية التعليمية سواء كانت مقصودة أو غير مقصودة .

ويرجع اهتمام الباحثة بهذه الفئة العمرية للإنسان وهى مرحلة الطفولة إلى طبيعة العمل فى مجال تنشئة الأطفال ومن خلال دراسة الأنثروبولوجيا عاماً ووجود الخلفية التربوية الدراسية ، فقد أثيرت فى فكر الباحثة تساؤلات عن كيفية تربية الأطفال فى المجتمعات القبلية مثل المجتمع محل الدراسة وتأثير المعتقدات الدينية في هذه التربية .

وكان لوجود المعتقدات الدينية التقليدية في المجتمعات الإفريقية أثر كبير ، حتى في تلك المجتمعات التي دخل فيها الإسلام والمسيحية مثل مجتمع البمبارا، ومع ذلك مازالت المعتقدات الدينية التقليدية موجودة ، بل وتلعب دوراً علي درجة عالية من الأهمية في التنشئة الاجتماعية لاسيما في المراحل الأولى من العمر وهنا تكمن رغبة الباحثة في معرفة مدى تدخل هذه المعتقدات في تربية الأطفال .

وتعد التنشئة الاجتماعية أحد الموضوعات الهامة التي تهتم بها أنثروبولوجيا التربية والتي تعد فرعاً من فروع الأنثروبولوجيا وهذا الفرع مازال فرعا جديدا والكتابات فيه مازالت في البدايات ، لاسيما تلك الدراسات الخاصة بالمجتمعات القبلية الإفريقية .

تساؤلات الدراسة :

١ – ماهى السمات المميزة لمجتمع البمبارا كمجتمع قبلى من مجتمعات إفريقيا ؟

٢ – ماهو الوضع الديني في مجتمع بمبارا ؟

٣ – ما هى الأسس التي تقوم عليها التنشئة الاجتماعية في مجتمع بمبارا ؟

٤ – هل المعتقدات الدينية لها تأثير في التنشئة الاجتماعية والتربية بالنسبة للأطفال ؟

٥ – ماهى العوامل وراء استمرار المعتقدات الدينية التقليدية واستمرارها كمعتقدات لأغلب السكان ؟

٦ – ماهى المؤسسات الاجتماعية التي تؤثر في الطفل بالإضافة إلى الأسرة في هذا المجتمع ؟

٧ – ما هى أنماط التعليم التي تؤدي إلى إحداث تغير في عناصر التنشئة الاجتماعية ؟

أهداف الدراسة :

١ – التعرف على السمات المميزة لمجتمع الدراسة .

٢ – التعرف على المعتقدات الدينية / معناها / مدلولاتها.

٣ –التعرف على التنشئة الاجتماعية وتربية الأطفال في المجتمعات الصغيرة القبلية

(من بداية الزواج وتكوين الأسرة ومراحل الطفولة إلى سن ١٢ سنة نهاية مرحلة الطفولة المتأخرة)

٤ – معرفة تأثير المعتقدات الدينية القديمة في تنشئة الأطفال .

٥ – دراسة المؤسسات التربوية والدينية التي لها تأثير علي الطفل في مجتمع الدراسة.

٦ – التعرف على أسس التنشئة الاجتماعية والتعليم في المجتمعات القبلية والإفريقية التقليدية

ثانياً : مفهومات الدراسة :

تتمثل مفهومات الدراسة فى :

(١) المعتقدات الدينية :

الاعتقاد أو المعتقد أو العقيدة : هي الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده.

والجمع: عقائد. وتعني ما عقد الإنسانُ عليه قلبه جازماً به؛ فهو عقيدة، سواءٌ؛ كان حقاً، أو باطلاً. الاعتقاد أو العقيدة Belief هي مجموعة الأفكار و المبادئ التي يؤمن الفرد بصحتها[1].

يكون تبني العقيدة عن طريق الإدراك الحسي، الاستنتاج، الاتصال مع الأفراد. يتداخل مصطلح العقيدة مع مفاهيم أخرى مثل الإيديولوجيا والعقائد الدينية. هناك تفسير آخر للعقيدة، وهو المرتبط بالجانب العسكري منها، وهي تلك المفاهيم، والأفكار التي عقد الإنسان عليها قلبه، وجازما بها، وأنه متفق على أهميتها وصحتها لفترة زمنية معينة، وهي تتطلب الحكمة في التطبيق، لذا فلا يمكننا القول أنها غير قابلة للشك، بل تخضع للتدقيق، وبصورة مستمرة، لذا فهي خاضعة للتطوير، والتحديث، حيث أنها إطار عام من المفاهيم، وليست خطا قاطعا كما يتصور الكثيرون، وإذا لم تخضع للتحديث، فإنها بذلك تصبح غير ذات فائدة وأهمية، وتكون غير قادرة على مجارات متغيرات الزمن منذ ولادتها. وإذا لم تخضع للتطوير فإنها تصبح ما قد نسميه بالمذهب.وينتفى عنها لقب العقيدة. أما الإسلام فهو دين. وهو يختلف عن ما نقصده بالعقيدة. كذلك فالاعتقاد اصطلاحا في شريعة الإسلام عند أهل السنة والجماعة هو : كل ما دنت به لله فقد اعتقدته، ولا ينحصر الاعتقاد في الأمور المجزوم بها فقط، بل يكون في غلبة الظن، وحصر أمور الاعتقاد في اليقينيات فقط هو منزع المتكلمين أي أهل الكلام لأن الصلاة التي هي عمود الدين لا يجوز أن تؤدى والمسلم قد طرأ عليه شك في طهارته كما في صحيح مسلم « فلا ينصرف حتى يجد ريحا أو يسمع صوتا » فتكملته لصلاته صار من غلبة الظن ولم يعد من اليقين لأنه شك في طهارته .

ويعد كتاب « العقائد الكبرى بين حيرة الفلاسفة ويقين الأنبياء» للمفكر الكبير أ.د. محمد عثمان الخشت دراسة فريدة متعمقة مقارنة للأديان بحثا عن فلسفة جديدة للدين تجيب على أسئلة الحائرين والمتشككين في موقف لا يخرج عن عقيدة السلف؛ حيث يقوم المؤلف بتقديم تحليل نقدي جريء للقضايا الإيمانية الشائكة التي يتناولها فلاسفة الدين، مثل: الألوهية، الوحي والنبوة، المعجزات، ماهية العبادات ووظيفتها، مشكلة

(١) www.babylon.com/definition/Arabic(16 / 5 / 2011).

الشر، الحياة الآخرة.. بالمقارنة مع الفلاسفة الذين قدموا فلسفة خاصة للدين مثل: ديكارت، وسبينوزا، وليبنتز، وهيوم، وكنت، وهيجل، وجيمس، ووايتهد، وبرايتمان، فضلا عن المقارنة الشاملة بين عقائد الأديان وتصورات الفلاسفة من كل عصور الفلسفة. ولذا يعد هذا الكتاب المثير أحد العوامل الرئيسية للخروج من دائرة التفكير الأسطوري في طبيعة العلاقة مع الله . ونجح أ.د. محمد عثمان الخشت بهذا الكتاب في أن يكون حلقة مهمة للانتقال من التقليد إلى الاجتهاد، ومن الاتباع إلى الاستقلال، ومن منهج حفظ المتون إلى منهج نقد الأفكار؛ سعيا لتكوين رؤية علمية للكون والحياة. وذلك لأتباعه منهجية علمية صارمة، تقتفي معالم المنهج العقلاني، والنقدي، والمقارن. وتعد الرؤية النقدية التي طرحها الدكتور الخشت في هذا الكتاب تأسيسا جديدا للإيمان في مواجهة التشككية المفرطة لما بعد الحداثة، لاسيما أنه تحرك من موقع جديد ضد حيرة الفلاسفة وضد الفكر الديني الغائم أيضا دفاعا عن عقيدة التنزيه[١].

(١) المعتقدات الدينية :

يقصد بها معتقدات تقليدية ومعتقدات سماوية المعتقدات التقليدية تابعة للديانة الإفريقية القديمة ويلى هذا تعريف لها ، أما المعتقدات الدينية السماوية فهى تختص بالديانات السماوية الثلاثة (اليهودية والمسيحية والإسلامية) وبما أن مجتمع الدراسة إسلامى فنحن نخص بالمعتقدات الدينية السماوية الإسلامية ، ونجد فى مجتمع البمبارا أسلوب متميز بعد دخول الإسلام وهو دمج المعتقدات التقليدية مع السماوية وأخذ ما يتماشا منها مع الإسلام ، أى نتعرف على مدى توغل المعتقدات الدينية التقليدية والعادات والتقاليد في تربية الأطفال بالرغم من اعتقاد الدين الإسلامى منذ أمد طويل وتوغل الدين الإسلامي في التعليم .

***

الديانة التقليدية الإفريقية African Traditional Religion (A.T.R.)

وتعرف المعتقدات الدينية التقليدية بأنها الطقوس والعادات التي يتبعها مجتمع ما

(١) http:/ www. Wikipedia.org.. (16 / 5 / 2011)

للتقرب للآلهة التي يؤمنون بها. فالكل يؤمن بوجود إله واحد للكون وإن اختلف الاسم من مكان لآخر ومن مجتمع لآخر، فلابد للإشارة إلى أن الأفارقة من أشد شعوب الأرض تدينا وتمسكا بدينهم ومعتقداتهم وهذه المعتقدات تقربهم إلى الإله وتعمل على إرضائه أي أن جوهر الدين الإفريقي التقليدي هو الإيمان بوجود إله خالق أعظم بصفاته وخصائصه المعتقد فيها [1].

يطلق على الديانة التقليدية في أفريقيا **الوثنية** Payanism كما يطلق عليها **الفتشية** Fetishism وهو عبادة شيء ما يقوم الإنسان بصنعه أي عبادة شيء من صنع يد الإنسان ، وهناك ما يسميها : الروحانية أو الأرواحية أو المذهب الحيوي: ويطلق عليها أيضا **عبادة الأسلاف** Ancestor warship أو عبادة أرواح الأجداد ويطلق عليها الديانات التقليدية أو البدائية .إلا أن استخدام مفهوم الديانة التقليدية أكثر المسميات موضوعية وتوافقاً مع حقيقة الوضع الإفريقي ويفضل استخدام صيغة المفرد وليس الجمع . تتميز المجتمعات التقليدية بقدر بسيط من التطور التكنولوجي وتقسيم واضح للعمل وتقسيم واضح للطبقات الاجتماعية ، وتعتبر الأسرة في هذه المجتمعات من أهم الأنظمة وكذلك التنظيمات المتخصصة للحكومة ، كما تعتبر الحياة الاقتصادية غير متطورة كمايسير معدل التغير الاجتماعي بطريقة بطيئة [2].

يعد نسق الاعتقاد في المجتمعات التقليدية نسقاً يشمله الغموض حيث لايمكن التمييز في نسق الاعتقاد بين الأفكار والاعتقادات والأساطير فهي مندمجة بعضها في البعض الآخر أي أن الناس في هذه المجتمعات لا يستطيعون تمييز التقديس الديني فالرموز الدينية هي بوجه عام مجموعة من الأشكال الأسطورية مثل أسلاف القبائل أو الأبطال الذين يرمز لهم برموز مختلفة كذلك نجد أن الفرد والمجتمع يرتبطان في علاقة كونية إلهية – طبيعية .

أنساق الفعل الديني : يهتم بوجه عام بتحقيق التماثل بين جماعة المؤمنين

(١) حورية توفيق مجاهد – الإسلام في إفريقيا – مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة – سنة ٢٠٠٢ – ص ٤٧ .

(٢) محمد أحمد بيومي – علم الاجتماع الديني – دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية – ١٩٩٥ ، ص ٣٢٢ - ٣٢٤

Worshiping group وبين الشيء المعبود ففي حالة الاحتفال بالطوطم والذي غالبا ما يكون حيوان يرمز به للقبيلة يتم قتل الطوطم والمشاركة في أكله نجده في هذا الاحتفال مثالا واضحا للمشاركة الأسطورية والهدف العام من هذا السلوك الديني هو تحقيق وحدة القبيلة وتماثلها مع صفات الطوطم .

التنظيم الديني : وهو غير موجود أو بمعني أصح ليس له وجود مستقل عن التنظيم الكلي للمجتمع ، فكل عضو في المجتمع هو عضو في دين الجماعة ، التنظيم الديني لا يتميز بكونه نظاماً مستقلاً ولكنه يمثل جانبا من الأنشطة الكلية للجماعة .

فالدين متغلغل في الأنشطة الأخرى للجماعة مثل الاقتصاد ، السياسة ، الأسرة ، التعليم وقد لاحظ مالينوفسكي أن سكان جزر تروبرياند علي سبيل المثال في بنائهم لأكواخهم وفلاحة الأرض إنما يقومون بجزء من شعائرهم الدينية والأسطورية التي ارتبطت بهذه الأعمال .

تتميز وظائف الدين ودوره في الجماعة بالوضوح ، فالعادات المتوارثة في المجتمعات الصغيرة معروفة لكل أعضائه ، ولذا فمن الطبيعي أن يكون للدين أثر واضح علي نسق القيم في هذا المجتمعات ، ويمتزج الدين أيضا في كثير من الأحيان بالسحر كوسيلة هامة في معالجة المشكلات وأكثر من ذلك، حيث تكون الأنظمة الأخرى في حالة غياب أوتخلف ، فيكون الدين هو الأساس لتكامل وتماسك المجتمع ككل ، وغالبا ما تتميز القيم الدينية بالاتجاه المحافظ ، لهذا تمثل التقاليد قوة كبرى في السيطرة علي الفرد والمجتمع ، كما أن عدم وجود تيار معارض بسبب انتشار الدين في كل جوانب الحياة الاجتماعية، مما يجعل الدين عاملا مؤثرا في ثبات وتماسك هذه المجتمعات ونتيجة لذلك فإن الحياة في هذه المجتمعات التقليدية البسيطة تعني قلة فاعلية الدين في إحداث التغير الاجتماعي.

وبالنسبة للفرد فالدين له تأثيره الواضح في عملية التنشئة الاجتماعية، والتي تتميز بارتباطها بالشعائر الدينية عند الولادة والبلوغ والزواج وكل المناسبات المرتبطة بدورة الحياة .

ويرتبط تنظيم الشخصية بالقيم الدينية ، فمعني أن النمو الفردي متروك للأسرة

والمجتمع فإنه في غياب نماذج شخصية منافسة خاصة النماذج العلمانية فإن الدين بدون منازع يكون تكامليا لأنماط الشخصية في هذا النوع من المجتمعات(١).

(٢) التنشئة الاجتماعية Socialization

(مضمونها – أشكالها – مؤسساتها)

التنشئة الاجتماعية هي العملية الاجتماعية الأساسية التي يصبح الفرد عن طريقها مندمجا في جماعة اجتماعية من خلال تعلم ثقافتها ومعرفة دوره فيها. وطبقا لهذا التعريف تكون التنشئة الاجتماعية عملية مستمرة علي مدى الحياة(٢).

كما يطلق مصطلح التنشئة الاجتماعية علي العملية التي يتم بها انتقال الثقافة من جيل إلى جيل، والطريقة التي يتم بها تشكيل الأفراد منذ طفولتهم حتى يمكنهم المعيشة في مجتمع ذي ثقافة معينة ويدخل في ذلك ما يلقنه الآباء والمدرسة والمجتمع للأفراد من لغة ودين وتقاليد وقيم ومعلومات ومهارات(٣).

وقد عرفها بارسونز « بأنها عملية تعليم تستند على مختلف عمليات التقليد والمحاكاة والتوحد الاجتماعي عند الطفل مع الأنماط الفعلية والعاطفية والأخلاقية للراشد وتهدف إلى إدماج عناصر الثقافة في نسق الشخصية وهي عملية لا نهاية لها بل مستمرة » .

يعرف دوركايم التنشئة الاجتماعية من خلال حديثه عن التربية فيقول « أن التربية هي عملية توحيد للسلوك حسب القواعد الأخلاقية ، وإنها تعتمد علي الإيحاء لتعويد الطفل علي الحياة الاجتماعية والتدريب على النظام واحترامه »(٤).

أي أن عملية التنشئة الاجتماعية عملية تحويل الكائن الحي من كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي، أي اكتساب عادات وتقاليد جماعية واكتساب اللغة السائدة في مجتمعه

(١)المرجع السابق ص ٣٢٤.

(٢)محمد عاطف غيث – قاموس علم الاجتماع – دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية – ١٩٩٠ – ص ٤٥٠.

(3) http://al-forsangoogal .com/montada-f12/topic-12551-htm10/10/2008.

(٤)خيري عبد الحافظ بدير – التنشئة الاجتماعية والتعليم عند الباجندا – رسالة دكتوراه – معهد الدراسات والبحوث الإفريقية – ١٩٩٥.

واكتسابه عناصر الثقافة التي يحيا في مضمارها و كما تعد التنشئة الاجتماعية نتاج العمليات التي يتحول بها الفرد من مجرد كائن عضوي إلى شخص اجتماعي ، وتمتد لتشتمل على كل ما يحدث للفرد حتى يتوافق بسلوكه مع معايير الجماعة التي ينضم لها ولأسلوب حياتها .

كما تعد التنشئة الاجتماعية عملية تحويل للفرد من كائن عضوي حيواني السلوك إلى شخص آدمي بشري التصرف في محيط أفراد آخرين من البشر يتفاعل بعضهم مع بعض ويتعاملون على أسس مشتركة من القيم التي تبلور طرائقهم في الحياة ويتضح ذلك فيما يلي :

(أ) مساعدة الطفل النامى علي اكتساب السلوك الاجتماعي .

(ب) السمو بالحاجات الفسيولوجية إلى الاجتماعية (الحاجات الإنسانية) [1].
وتؤيد الباحثة هذا الاتجاه في تعريف التنشئة الاجتماعية عملية تحويل الكائن البيولوجي إلى كائن اجتماعي

وأخيرا ، يمكن اعتبار التنشئة الاجتماعية بأنها عملية مستمرة ، لا تقتصر على مرحلة الطفولة فحسب، بل تشمل مراحل النمو المختلفة التي يمر بها الفرد، حيث يكتسب الطفل من خلالها القيم الاجتماعية والمعايير ويمنح القدرة على التفاعل والتكيف مع مجتمعه .

وعلى الرغم من تعدد تعريفات عملية التنشئة الاجتماعية إلا أن بين تلك التعريفات قاسم مشترك، حيث تحتوي التنشئة الاجتماعية على العمليات التي بها يتم إدماج الطفل في الإطار العام لأسرته ومجتمعه مما يساعده فيما بعد علي أداء واجبه تجاه الأسرة والمجتمع بكفاءة .

مضمون عملية التنشئة الاجتماعية :

نعني بمضمون التنشئة الاجتماعية : مجموعة القيم والمعايير وأنماط السلوك والاتجاهات التي تعمل مؤسسات التنشئة على عرضها في بناء الشخصية ، ولكي يتحقق ذلك يجب أن يكون مضمون التنشئة الاجتماعية سليما متكاملا حتى يخلق الشخصية

(١)هدي محمد قناوي – الطفل تنشئته وحاجاته – الأنجلو المصرية – القاهرة – ١٩٨٣ – صـ ١٩ .

السوية التي تتسم بعدد من السمات المقبولة اجتماعيا

ويجب أن يكون مضمون عملية التنشئة الاجتماعية بعيدا عن السلبيات ، أي لا تكون القيم والاتجاهات والمعايير وأنماط السلوك التي تكسبها للفرد متخلفة أو سلبية أو منحرفة ونقصد بالتنشئة المتخلفة تلك التنشئة التي تعيش بمفاهيم العصور القديمة وتجعل الفرد يستسلم للخرافات والاعتقاد كالسحر والتنجيم ، أما التنشئة السلبية فهي التي تغرس في قلوب النشء الاستسلام ، والتنشئة المنحرفة ، هي التي تغرسها بعض المؤسسات في نفوس الأطفال حيث تزودهم بمعايير منحرفة أو تجعل الأطفال والشباب يخلطون بين معايير الخطأ والصواب .

كما يجب أن يكون مضمون التنشئة الاجتماعية بعيدا عن التناقضات والعوامل المعوقة،مثل التناقض بين الأسرة والمؤسسات الأخرى التي تدخل في عملية التنشئة ، كالتناقض بين الأسرة والمدرسة، هذا التناقض من الصعب أن يؤدي إلى تنشئة طفل سوي كما يجب أن يكون مضمون التنشئة الاجتماعية بعيدا عن الانفتاح الثقافي الهدام ، أي أن يبتعد عن الانفتاح غير الرشيد أو غير الواعي حيث ينقل النشء مضامين ثقافية وأساليب تنشئة في مجتمعات أخرى [1] .

إذن التنشئة الاجتماعية هي عملية تمرير رسالة تربوية للأفراد محل التشكيل الاجتماعي ، هذه الرسالة تتضمن مواضيع مختلفة يراد ترسيخها وتأسيسها في نفوس الأفراد ، وتعمل الأسرة أو أي مؤسسة اجتماعية أخرى على تعليم الطفل الأنماط السلوكية المراد غرسها عن طريق السلوك النموذجي للأبوين، والطفل يقلد عن طريق الملاحظة أو عن طريق التلقين المستمر أو عن طريق عرض الأحداث . وتحمل التنشئة الاجتماعية في طياتها اللغة التي هي أداة اتصال بين الأفراد فهي أول سنة ما يبدأ الطفل في تعلمه من أبويه ، والتي تسمح له بالاتصال والتفاهم مع أفراد مجتمعه وتلبية حاجاته النفسية والاجتماعية . كما أنها عملية تمرير للقيم الدينية والخلقية والثقافية من جيل إلى جيل، وبذلك تكون عملية التنشئة الاجتماعية عملية حضارية تحمل في طياتها قيم علاقات التعامل الاجتماعي بين الأفراد كالتعاون والتكافل الاجتماعي والعدالة الاجتماعية .

(١)المرجع سابق – ص ص ٣١ ، ٣٥ .

كما تتضمن التنشئة الاجتماعية أيضا عملية الضبط الاجتماعي للفرد ، فعن طريقها يمكن تعليم الأجيال الجديدة المعايير الاجتماعية والحقوق والواجبات داخل المجتمع ، وتحقق التنشئة هذا الضبط الاجتماعي عن طريق تحليل التراث الاجتماعي والظروف البيئية واختيار العناصر الصالحة فيها والتي تؤدي إلى نمو صالح للفرد والمجتمع ، ويعمل علي تنمية الاتجاهات الإيجابية لدى الفرد نمو العناصر المشتركة والجيدة في البناء الاجتماعي[1] .

أشكال التنشئة الاجتماعية :

يتم التمييز بين شكلين من أشكال التنشئة الاجتماعية وهما التنشئة الاجتماعية النظامية والتنشئة الاجتماعية غير النظامية . وأوضح مثال للتنشئة الاجتماعية النظامية هو عملية التعلم في الفصل الدراسي بالمدرسة . إلا أن هناك مواقف وأوضاعاً تسهم في التنشئة الاجتماعية للأفراد بشكل غير مباشر، وعلى سبيل المثال تلك الوظيفة التي تقوم بها رقصة بيزاكاليلا Bisakalela Dance التي تقوم بها أحد الشعوب العرقية في زامبيا والرقصة هي تسلية شعبية في مناطق المناجم ولكنها شكل غير مباشر لنوع من أنواع التفاعل في مجتمع عرقي غير متجانس مع مشاهدين من مجتمعات مختلفة ، وهي في الواقع عنصر في العملية العامة للتنشئة الاجتماعية .

كذلك تعمل الشائعات كقنوات للاتصال في غرس معايير الأدوار الاجتماعية الحضرية في عقول الأفراد بل أن وسائل الاستهزاء والسخرية تعد وسيلة من وسائل التدريب غير النظامي للأطفال يستخدمها سكان جزيرة تريستان Tristan وهي جزيرة صغيرة في جنوب الأطلنطي، فالسخرية وسيلة من وسائل التنشئة الاجتماعية تأتي من خلال الطرق التي يندمج بها أفراد « التريستان ».

إذا كانت هذه جزاءات سلبية فإن الجزاءات الإيجابية تلعب دورا هاما في عملية التنشئة الاجتماعية ، فمنذ الميلاد تلعب مؤسسات التنشئة الاجتماعية دورها في إرشاد الأفراد نحو النماذج المرغوبة من السلوك بوسائل وأدوات متنوعة مثل الإيماءة –

(1) htt://al-forsangoogaalz.com

الابتسامة – المديح – أو حوافز مادية كالمكافآت[1].

تعتبر التنشئة الاجتماعية عملية تعلم اجتماعي يتعلم فيها الفرد عن طريق التفاعل الاجتماعي أدواره الاجتماعية والمعايير الاجتماعية التي تحدد هذه الأدوار ويكتسب الاتجاهات والأنماط السلوكية التي ترتضيها الجماعة ويوافق عليها المجتمع .

هي عملية نمو يتحول خلالها الفرد من طفل يعتمد على غيره لا يهدف من حياته إلا إشباع الحاجات الفسيولوجية إلى فرد ناجح يدرك معنى المسئولية الاجتماعية وتحولها مع ما يتفق مع القيم والمعايير الاجتماعية ، فهي عملية مستمرة تبدأ بالحياة ولا تنتهي إلا بانتهائها وتختلف من مجتمع إلى آخر بالدرجة ، ولكنها لا تختلف بالنوع .

والتنشئة الاجتماعية لا تعني صب أفراد المجتمع في بوتقة واحدة بل ، تعني اكتساب كل فرد شخصية اجتماعية متميزة قادرة على التحرك والنمو في إطار ثقافي معين على ضوء عوامل وراثية وبيئية . ومن خصائصها أيضا أنها تاريخية أي ممتدة عبر التاريخ ، وإنسانية يتميز بها الإنسان دون الحيوان ، وتلقائية أي ليست من صنع فرد أو مجموعة من الأفراد بل هي من صنع المجتمع ، وهي نسبية أي تخضع لأثر الزمان والمكان وجبرية أي يجبر الأفراد على اتباعها ، وهي عامة أي منتشرة في جميع المجتمعات[2].

مؤسسات التنشئة الاجتماعية :

مما سبق يتضح لنا أن التنشئة الاجتماعية ليست مجرد عملية تعليم رسمي يتلقاه الطفل في المدارس ، وإنما هي أوسع من ذلك بكثير، إذ يدخل فيها اكتساب الفرد للمواقف والاتجاهات والقيم وأساليب السلوك والعادات الفردية والمهارات وهي كلها أمور تنتقل إلى الطفل عن طريق نظم وأوضاع وعلاقات ومؤثرات كثيرة ومتنوعة.

وعلى الرغم من تمايز هذه المؤسسات واختلافها وتنوعها فإنها تعمل معا في تشكيل شخصية الطفل حتى وإن كانت تختلف وتتفاوت فيما بينها في نوع التأثير، فهناك تأثيرات التنشئة التي يكتسبها الطفل من الأسرة وأخرى من المدرسة وتأثيرات من

(١)خيرى عبد الحافظ – التنشئة الاجتماعية والتعليم عند الباجندا – رسالة دكتوراه – معهد الدراسات والبحوث الإفريقية – ١٩٩٥، ص ص ١٥١ ، ١٥٢ .

(2) http://www.annabaa.org/nbanews/62/273.htm(10 10-2008

وسائل الإعلام ، وكل منها يقدم أنماطا من السلوك والقيم متباينة ومتكاملة فيما بينها، ومن أهم هذه المؤسسات : « الأسرة ، المؤسسات التعليمية ،وسائل الاتصال الجماهيري ، المؤسسات الرياضية ، المؤسسات الدينية جماعة الرفاق [1].

أولاً : الأسرة

تعد الأسرة الوحدة الاجتماعية الأولى التي يمتلك بها الطفل احتكاكا مستمرا ، كما تعد المحتوى الذي تنمو فيه أنماط التنشئة الاجتماعية التي تشكل الميلاد الثاني في حياة الطفل أي تكوينه كشخصية اجتماعية ثقافية social cultural personality تنتمي إلى مجتمع بعينه وتدين لثقافة بذاتها ، وتعد الأسرة من هذه الزاوية أكثر جماعات التنشئة الاجتماعية أهمية[2] .

تقوم الأسرة بعملية التنشئة الاجتماعية لإدماج الطفل في الإطار الثقافي العام عن طريق إدخال التراث الثقافي في تكوينه وتوريثه توريثا متعمدا بتعليمه نماذج من السلوك المختلفة في المجتمع الذي ينتسب إليه ويتم عن طريق تدريبه على طرق الأفكار السائدة فيه وغرس المعتقدات الشائعة في نفسه ، فينشأ منذ طفولته في جو مليء بهذه الأفكار والمعتقدات والقيم والأساليب فلا يستطيع التخلص منها لأنه لا يعرف غيرها وهى التي شب عليها و تغلغلت في نفسه وأصبحت طبيعة ثابتة له ، أي أصبحت من مكونات شخصيته »

فالأسرة هنا هي الممثلة الأولى للثقافة وهي أقوى الجماعات تأثيرا في سلوك الفرد كما أنها المدرسة الاجتماعية الأولى للطفل والعامل الأول في صنع سلوك الطفل بطبيعة اجتماعية فتشرف على توجيه سلوكه وتكوين شخصيته[3] .

ويتضح دور الأسرة في النقاط التالية :

* يعد المنزل هو العامل الوحيد للتربية المقصودة في مراحل الطفولة الأولى ولا

---

(١)هدى محمد قناوى - الطفل وتنشئته الاجتماعية - مرجع سابق - صـ ٥٥

(٢)فاروق محمد العادلي - الأنثروبولوجيا العامة « مدخل متعدد المحاور » القاهرة - ٢٠٠٤ ص ٣٣٣

(٣)فوزية دياب - نمو الطفل وتنشئته بين الأسرة ودور الحضانة - ط٢ - النهضة المصرية - القاهرة - ١٩٨٠ - صـ ١٢١

تستطيع أية مؤسسة عامة أن تعوض مكان الأسرة .

* يقع قسط على الأسرة كبير من واجب التربية الخلقية والوجدانية والدينية في جميع مراحل الطفولة بل وفي المراحل التالية لها .

* بفضل الحياة في الأسرة تتكون لدى الفرد الروح العائلية والعواطف الأسرية المختلفة وتنشأ الاتجاهات الأولى للحياة الاجتماعية المنظمة .

* بميلاد الطفل في أسرة معينة يكتسب مكانة معينة في البيئة والمجتمع ، فإن مكانة الأسرة في بنيان الطبيعة الاجتماعية يؤثر تأثيرا كبيرا على مكانة الطفل في البيئة التي ينشأ فيها ، وتؤثر مكانة الأسرة على أسلوب تربية الطفل ، ففترة الطفولة عند أفراد الطبقة الوسطي تمتد لفترة أطول عما عليه الحال في أسر الطبقة الدنيا ويتحمل الأطفال في أسر الطبقة الدنيا مسئولية خطيرة في سن صغيرة نسبيا[١] .

أهم ما يتعلمه الطفل في الأسرة خلال عملية التنشئة الاجتماعية :

١- يتعلم المشي والفطام وضبط المناعة والاستحياء الجنسي وكف العدوان على الأخوين والأبوين.

٢- التعود على كف بعض الدوافع غير المرغوبة أو الحد منها .

٣- الالتزام بالعادات وطرق التصرف الملائمة والآداب الاجتماعية وتعلم اتجاهات معينة نحو المبادئ والسلطة ونحو الدين والأسرة بالإضافة إلى تعليم الذكور والإناث الأدوار المعينة التي يرسمها المجتمع لكل منهما .

٤- الانضباط والتعود على توفيق النظم أي القيام بأعمال معينة في أوقات معينة .

٥- القيام بأدوار معينة محددة ، أولها وأهمها الدور الذي يحدده جنسه ، ذكراً كان أو أنثى[٢] .

الأسرة هي التى تزود الفرد بالرصيد الأول من أساليب السلوك الاجتماعي، ويتلقى

(١)هدى محمد قناوى - الطفل وتنشئته الاجتماعية - مرجع سابق - صـ٥٨.

(٢)فوزية دياب - نمو الطفل وتنشئته بين الأسرة ودور الحضانة - مرجع سابق - صـ١٢٢

الطفل في الأسرة أول درس في الصواب والخطأ ، وهي التي تمنح الطفل أوضاعه الاجتماعية وتعطيه هذا الرصيد الزاخر من أساليب السلوك والعادات والقيم الاجتماعية.

ومع أهمية الأسرة وأثرها العميق في تنشئة الطفل الاجتماعية هناك إجماع من العلماء على إبراز الأم ودورها الرئيسي في عملية تنشئة الطفل المبكرة ، ويؤكدون على مركزها الجوهري بالنسبة للطفل ، وهناك اتفاق في الرأي بين الأخصائيين في نمو الأطفال على أن السنوات الثلاث الأولى هي أخطر مراحل النمو تأثرا بالحرمان العاطفي الناتج عن فراق الأم للطفل أو بعدها الطويل لأي سبب . وللوالد في هذه المرحلة المبكرة من حياة الطفل دوراً عليه أن يؤديه بطريقة مباشرة في حياة وليده وليست مهمة الأب توفير المال الكافي والسكن المناسب وأسباب المعيشة الضرورية فقط ، بل عليه أيضا أن يتيح للأم السبل المختلفة لتأدية دورها بدون عوائق ، فيشعرها بأنه متفهم لمهمتها مقدرا لمجهودها وتعبها، كما يحيطها بجو من التعاون والتعاطف وبكل ما يهيئ لها الأمن النفسي والاجتماعي .

ثانياً : المؤسسات التعليمية

يندرج تحت المؤسسات التعليمية :

أ- رياض الأطفال .

ب- المدرسة .

أ- **رياض الأطفال :** يخلط الكثيرون بين دور الحضانة ورياض الأطفال منهم من يعتبرها مؤسسات رعاية تربوية واجتماعية ، يطلقون عليها دور الحضانة والبعض الآخر يطلق عليها مدرسة الحضانة باعتبارها مؤسسة تعليمية ويلتحق بها الأطفال من سن ٣ :٦ سنوات.

دور رياض الأطفال في تنشئة الطفل اجتماعيا :

* تسعى رياض الأطفال إلى تحقيق النمو المتكامل للطفل وإعداده إعدادا سويا للمراحل العمرية التالية

* تعمل على توجيه وإكساب الطفل العادات السلوكية التي تتفق مع قيم وعادات وتقاليد المجتمع الذي ينتمون إليه .

* تنمي لدى الطفل الأسس العريضة لآداب السلوك والإدراك المعنوي والأحاسيس والعادات والعلاقات مع الآخرين[1] .

* هذا النوع من المؤسسات التعليمية الخاصة بالتنشئة الاجتماعية لا يوجد في مجتمع الدراسة حيث يظل الطفل مع الأسرة وخاصة الأم إلى سن ٧ سنوات سن الالتحاق بالمدرسة .

ب- المدرسة :

هي المؤسسة الاجتماعية الرسمية التي تقوم بوظيفة التربية ونقل الثقافة المتطورة وتوفير الظروف المناسبة لنمو الطفل جسميا وعقليا وانفعاليا واجتماعيا وتعلم المزيد من المعايير الاجتماعية والأدوار الاجتماعية[2] .

تعتبر المدرسة أول تنظيم واسع النطاق يدخله الطفل، وبعكس الأسرة فإن أعضاء هذا التنظيم في الغالب لا تربطهم معا روابط القرابة أو المصاهرة ، وفي بعض الدول الإفريقية ربما لا ينتمي المدرسون بالضرورة إلى المجتمع المحلي العرفي للطفل ، بينما تعمل الأسرة كمؤسسة للتنشئة الاجتماعية غير النظامية فإن المدرسة تشتمل على عمليات التنشئة الاجتماعية النظامية .

ولقد عظم بعض الباحثين من شأن المدرسة كتلك الدراسة التي قام بها باركان Barkun عن طلاب المدارس في غانا وتنزانيا وأوغندة وخلص فيها إلى أن المدرسة تلعب دورا هاما في التنشئة الاجتماعية وخاصة التنشئة السياسية منها بدءًا من طور المراهقة عندما يتفاعلون مع النظم القومية ، ومن الدراسات أيضاً ذلك الاستفتاء الذي أقيم في « لاجوس وأنه كلما أزداد الشخص في التعليم ازداد الميل إلى تأكيد أهمية دور

(١)هدى محمد قناوى – الطفل وتنشئته الاجتماعية – مرجع سابق – صـ ٦١ .

(2)http://www.annabaa مرجع سابق .

خيرى عبد الحافظ – التنشئة الاجتماعية والتعليم عند الباجندا – مرجع سابق – صـ١٦٢

المدرسة كوسيط للمعرفة وبذلك يمكن تأكيد القيمة التي يعلقها الناس في إفريقيا وفي كل مكان على المدرسة كمؤسسة للتنشئة الاجتماعية . » والذي أشارت نتائجه إلى أن ٤٠٪ من الآباء يعتقدون أن التعليم مؤثر في أخلاقيات الأطفال إلى الأفضل

ثالثاً : المؤسسات الدينية : تعمل المؤسسات الدينية ودور العبادة على تعليم الفرد والجماعة التعاليم والمعايير الدينية التي تمد الفرد بإطار سلوكي معياري وتنمية الصغير وتوحيد السلوك الاجتماعي والتقريب بين الطبقات وترجمة التعليم الديني إلى سلوك عملي[١]. وتتمثل دور العبادة والمؤسسات الدينية في المساجد والكنائس والأديرة والهياكل والمعابد، وهي تؤدي وظيفة حيوية في حياة الفرد والجماعة لتأكيدها للقيم الخلقية والروحية . وكثير من دور العبادة تتعدى حدود دورها الروحي والديني فتمزج بين تدريس المواد المختلفة على نحو ما تفعله المدارس النظامية والجامع الأزهر والذى ظل فترة طويلة يؤدي دور كبير في الإشعاع الديني، ومازال منارا للعلم ، حتى تطور إلى جامعة دينية عصرية ، من هنا يتضح أهمية المؤسسات الدينية كوسيلة من وسائل التربية والتنشئة الاجتماعية باعتبارها مؤسسات تربوية اجتماعية لها دورها الديني والدنيوي[٢] .

رابعاً : جماعة الأقران (الرفاق أو الأصدقاء) : يتلخص دورها في تكوين معايير اجتماعية جديدة وتنمية اتجاهات نفسية جديدة والمساعدة في تحقيق الاستقلال وإتاحة الفرص للتجريب وإشباع حاجات الفرد للمكانة والانتماء[٣] .

ولجماعة الرفاق أهمية في التربية الجنسية وفي سرعة نمو الأنشطة الجنسية الضرورية ، وينمي الطفل في جماعة الرفاق علاقات عاطفية جديدة وتمنحه الجماعة فرص متعددة لتنمية ذاته كما تمده بالتأييد وتبني تضامنا مع جيله ، وعندما يصل إلى مرحلة الكبار ويرى أطفاله وثقافة رفاقهم يصبح على وعي المعنوي والجصول علي القبول والاهتمام ويتعرف على وجهة نظره فى ذاته طبقا لمستويات الجماعة بأن طفولته مرت في زمان

(١) http://www.annabaa مرجع سابق

(٢)هدى محمد قناوى - الطفل وتنشئته الاجتماعية – مرجع سابق – صـ٨٠.

(3) http://www-annabaa مرجع سابق

معين وتحت ظروف تاريخية محددة جعلته عضواً في جيل معين[(١)]. كما أن الطفل أو المراهق يتعاون مع مجموعات من الأقران المختلفة مثل مجموعة اللعب غير النظامية - مجموعة الرفاق – جماعة المدرسة .. الخ .

وأعضاء هذه الجماعات المتعددة تكون تقريبا من سن ثلاث سنوات إلى عشر سنوات ويعتبرون من أعمار متساوية ومكانة اجتماعية متقاربة ويخضعون لاهتمامات مشتركة.

وللجماعات مواقف تعليمية مؤثرة ، إذ تنتقل عن طريقها ثقافة المجتمع ولو بدرجة قليلة فتعلم أدوارا معينة وتوقعات اجتماعية معينة وتكيف مواقف تساعد أعضاءها بالإضافة إلى أنها تدرب الطفل وفق مطالب زملائه وتنمي عنده ضميراً اجتماعياً وتوفر له مجموعة من القيم والاتجاهات الخاصة بسنه وجنسه ، بل قد تنمي عنده استقلالا عاطفيا عن أسرته[(٢)].

خامساً : وسائل الاتصال الجماهيري The Media Of Mass Communication

تعتبر وسائل الاتصال الجماهيري ، إحدى الوسائط الاجتماعية ، التي تقوم بدور هام في عملية التنشئة الاجتماعية ، فكافة الوسائل ، المسموعة والمرئية والمقروءة ، كالإذاعة والسينما والتليفزيون والصحف والمجلات والكتب والبحوث تلعب دورها البارز في تكوين شخصية الفرد وتطبيعه الاجتماعي علي أنماط سلوكية معينة[(٣)]. تعمل وسائل الاتصال الجماهيري على تحقيق التطبيع الاجتماعي وتنقل الطفل إلى آفاق أوسع من المعرفة ، وتنقل إليه ثقافة المجتمع ككل كما تعمل على تنمية الطفل وتطبيعه اجتماعيا وتنشئته وتشجيعه علي المشاركة في الحياة الاجتماعية ، وتعمل أيضاًعلى تطبيعهم على القيم الاجتماعية والأخلاقية والدينية للمحافظة علي كيان المجتمع وتماسكه . وللتليفزيون دور كبير في مجال التنشئة الاجتماعية للأطفال لو أحسن اختيار البرامج بحيث يكون لها دور تربوي هادف لا تتعارض مع القيم السائدة في المجتمع ولا مع

(١)فاروق محمد العادلي – الانثروبولوجيا العامة – مرجع سابق ص ٣٣٤

(٢)محمد الهادي عفيفي – في أصول التربية : الأصول الثقافية للتربية – الأنجلو المصرية – القاهرة – ١٩٦٥ – ص ١٨٧ – ١٨٨ .

(٣)التنشئة الاجتماعية والتعليم عند الباجندا – مرجع سابق – ص ١٥٦

أهداف المجتمع وتصوراته عن المستقبل وبالذات مستقبل الطفولة (١). لكن إذا كانت هذه الوسائط والوسائل تخص المجتمع المعاصر فما هو وضع إفريقيا القبلية التقليدية مثل مجتمع الدراسة هل يمكن أن يُفيد من هذه الوسائل في عملية التنشئة الاجتماعية ؟ هذا ما سوف يتضح عند دراسة التنشئة الاجتماعية عند البمبارا .

(٣) **الأنثروبولوجيا الثقافية** : Cultural Anthropology

الأنثروبولوجيا الثقافية Cultural Anthropology فرع من فروع الأنثروبولوجيا العامة يركز أساسا علي دراسة الصيغة الكلية للسمات الثقافية والعلاقات المتبادلة بينها.

الموضوع الرئيسي للأنثروبولوجيا الثقافية هو الثقافة الإنسانية في كل الأزمنة والأمكنة فهي تهتم بدراسة سلوك الناس وعاداتهم وتقاليدهم تحت ظروف ثقافية معينة والتطور الرئيسي لمراحل الثقافة(٢).

وهنا نتذكر معني الثقافة لتيلور وهو أول أنثروبولوجي صاغ تعريف للقرابة والثقافة وهو صاحب التعريف التقليدي للثقافة « بأنها ذلك الكل المركب الذي يشتمل علي المعرفة والعقيدة والفن والأخلاق والقانون والعادات وأي قدرات وعادات أخرى يكتسبها الإنسان بصفته عضوا في مجتمع ما ، وتعد الأسرة هي الأداة الأساسية الأولية في نقل الثقافة داخل العائلة والعشيرة وتظهر الثقافة جلية في اللغة والدين(٣).

تعتبر الثقافة جزءا من الشروط التي تجعل من الفرد إنسانا فلابد لهذا – الفرد أن يتعلم كيف يصبح إنسانا لكن البشر لا يتعلمون الثقافة في صورتها المجردة وإنما يتعلمون ثقافات خاصة ويتضح لنا درجة التعقيد العملية التي يتطور من خلالها الطفل الوليد بجهازه العصبي الغير مكتمل النمو بعد وبقدراته المحدودة علي الرؤية والسمع وضعف قدرته على التنسيق بين حركاته التى تكون عشوائية في الغالب واستجاباته

(١)فاروق محمد العادلى – الأنثروبولوجيا العامة – مرجع سابق ص ٣٣٥.

(٢)سعاد علي شعبان – الأنثروبولوجيا الثقافية الإفريقية –معهد البحوث والدراسات الإفريقية – القاهرة ٢٠٠٤ ص ١٦.

(٣)فاروق عبد الجواد شويقة – بعض الرؤى في الأنثروبولوجيا التطبيقية – البيطاش سنتر – الإسكندرية – ٢٠٠٧ – صـ ١٧٢ .

المحدودة لعدد قليل من التوترات البيئية والتي ينمو في أثنائها ويحمل عادات وتقاليد وسمات المجتمع الذي نشأ فيه مع التركيز على عملية اكتساب المهارات والعادات الفردية وأنماط السلوك والمعايير والقيم والقواعد الاجتماعية ويطلق على هذه العملية التنشئة الاجتماعية . وإذا كنا نقصد بالتربية عملية تعلم فإن من أشكالها التنشئة الثقافية والتنشئة الاجتماعية للفرد وهذه تحدث من ميلاد الفرد(١) .

وتعني الأنثروبولوجيا الثقافية أيضا بمجال التربية والتنشئة الاجتماعية من منظور أن جوانب الثقافة في مجتمع ما لا يمكن أن تستمر عبر الأجيال إلا بنقلها من الآباء إلى الأبناء وما يرتبط بذلك من نقل التراث الثقافي كله كما هو أو انتقاء بعض العناصر التى يتم تعديلها ليتم نقلها من الآباء إلى الأبناء(٢) .

(٤) أنثروبولوجيا التربية Anthoropology of Education

فرع من فروع الأنثروبولوجيا الثقافية

مفهوم التربية : Education

يعرف جورج كنيلر Georg Keneller التربية بأنها العملية التي يكتسب الفرد من خلالها المعرفة وينمي على أساسها الاتجاهات والسياسات ، وهي تنقسم إلى : التربية الرسمية حيث يلقها الفرد من خلال دراسة منظمة في مدرسة أو معهد أو كلية ، والتربية غير الرسمية ، وهي اكتساب الفرد للخبرات المتعددة يوما بعد يوم من وسائل الاتصال المختلفة كالكتب والدوريات والصور المتحركة وغيرها(٣) .

أن التربية وظيفة اجتماعية تعنى بمساعدة الفرد لكي يصبح عضواً أكثر نشاطاً وفاعلية في المجتمع من خلال اجتياز مجموعة من الخبرات لمدة طويلة سواء في

(١)محمد الجوهري ، الأنثروبولوجيا أسس ونظرية وتطبيقات عملية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية – عام ٢٠٠٥– صـ١٠٩ .

(٢)حسين عبد الحميد رشوان –الأنثروبولوجيا في المجال التطبيقي – المكتب الجامعي – القاهرة – ١٩٨٩صـ٣٤ .

(٣)فاروق العادلي / عاطف أمين –مبادئ الأنثروبولوجيا مدخل اجتماعي ثقافي ٢٠٠٣ ص٤١٣ .

الماضي أو الحاضر ، وللتربية وظيفة فردية عن طريق محاولة إعطاء الفرد القـدرة عـلي قيادة الغير وهو أكثر رضاء وإنتاجية في الحياة خلال إعداد نفسه لتناول تلـك الخبـرات بنجاح[1]. ينظر الأنثروبولوجيون إلى التربية على أنها عملية واسعة النطاق تتضمن أنواع التعلم كافة الرسمي وغير الرسمي ، والذي يؤدي إلى اكتسـاب الفـرد للثقافـة وتكـوين شخصية وتعلم القدرة على أن يكيف نفسه مع الحياة كعضـو في المجتمـع[2]. ويـدرك الكثير من المشتغلين بالتربية أن التربية في المجتمعات المتقدمة تتضمن ما هو أكثر مـن التعليم في المدارس ، فالأفراد يكتسبون أنماط سلوكهم وأساليب حيـاتهم واتجاهـاتهم وآراءهم وأنساق مجتمعهم من مصادر عديدة لا تلعب فيها المدرسة والكلية والجامعة إلا دورا ثانويا في الغالب ، ومن بين هذه المصادر الأسرة التي تشرف إشرافا يكاد يكون كاملا على الوليد والطفل في سنوات تكوينه الأولى ربما تكون هي أهم سنوات عمره على الإطلاق ، ومن هذه المصادر أيضا الأصدقاء الذين يمثلون مؤثرات تلعب دورا هاما في تشكيل وتثبيت الاتجاهات والآراء وأنساق القيم .

أما عند الشعوب الأمية فإن أنساق التعليم الرسمية تكون مختلفة أو غير موجـودة على الإطلاق وبما أن التربية حينئذ من الوظائف التي يهتم بها الأفراد والجماعات الذين ليسوا مدرسين محترفين ففي هذه المجتمعات يكتسب الفرد الجانب الأكبر من تربيتـه أو تربيته كلها من خلال الأسرة والأصدقاء .

بالإضافة إلى أن عملية التربية في مثل هذه المجتمعات لا تكون منهجيـة في الجانـب الأكبر منها ، فالرضيع والطفل والشاب والفرد البالغ يتعلم من خلال المشاركة في نسـق الالتزامـات المتبادلـة بـين الأقـارب وفي عمليـات التنظـيم الاقتصـادي وفي الطقـوس والمراسم الدينية وجلسات قصص الأساطير والحكايات الدينية.

فالتربيـة إذن عمليـة مسـتمرة في كـل المجتمعـات تبـدأ مـع ولادة الطفـل وتسـتمر بدرجات متفاوتة من التركيز والتكثيف خلال حياة الفرد كلهـا، وبفضـل هـذه العمليـة يتعلم الفرد أساليب ثقافته ويشارك فيها مشاركة كاملة إلى حد ما كما يكتسـب شخصـية

(١) (فاروق محمد العادلي – الأنثروبولوجيا العامة « مدخل متعدد المحاور » – مرجع سابق – صـ ٣٢١.
(٢)محمد الجوهري ، الأنثروبولوجيا « أسس نظرية وتطبيقات عملية » مرجع سابق صـ١٠٩ .

خاصة به وهي عبارة عن نمط مركب من القدرات العضلية والمدركات الحسية والأفكار والعادات الفردية والاستجابات العاطفية المشروطة[١] .

أن الظاهرة التربوية نسق اجتماعي يقوم بدور وظيفي في إعداد وتنشئة وتشكيل النشء من خلال وسائط ومؤسسات وأجهزة لها فاعلية في تكوين الفرد وتهيئته من الناحية الجسمانية والعقلية والأخلاقية ليكون عضوا في مجتمعه فهي عملية عامة ومستمرة لإعداد الفرد للتكيف الاجتماعي ولإمداده بعناصر ثقافية وإنجازات العلم والتكنولوجيا . ومن أهم وظائف وأهداف التربية أنها عملية التنشئة أو التطبيع الاجتماعي Socialization ونقل التراث الثقافي وتطويره فالعلاقة وثيقة ومتبادلة بين التربية Education والثقافة Culture والمجتمع Society [٢]. وتعرف مارجريت ميد التربية « بأنها العملية الثقافية والطريقة التي يصبح بها الوليد الإنساني الجديد عضوا كاملا في مجتمع إنساني معين »[٣].

موضوع ومجال دراسة الأنثروبولوجيا التربوية :

(١) ترتبط الأنثروبولوجيا التربوية بعمليات تنميط السلوك في دور العلم وحولها ، وترتبط بالأدوار التي تقوم بها هذه الأنماط السلوكية في نقل الثقافة للأجيال القادمة [٤] .

(٢) النسق التربوي سواء في المجتمع البسيط أو المجتمع المركب يستمد نمطه من طبيعة البناء الاجتماعي والثقافي .

(٣) التربية في المجتمع البسيط كما يعرفها هوبل Hoeble هي الحياة نفسها بينما في المجتمع المركب المتحضر إعداد للحياة ، ففي نطاق المجتمع البسيط وعلى مستوي الأسرة يزاول الطفل المهن التقليدية وأنماط السلوك من خلال عملية التقليد Imitation للكبار وتلك هي التربية غير الرسمية Informl education بعكس التربية الرسمية Formal education التي تسود المجتمعات المركبة من خلال

(١)المرجع السابق صـ١١٠.

(٢)الأنثروبولوجيا العامة « مدخل متعدد المحاور » مرجع سابق – صـ ٣٢٢.

(٣)أحمد محمد الطيب – أصول التربية – المكتب الجامعي الحديث – الإسكندرية – ط١-١٩٩٩ – صـ ٢٠

(٤)فاروق محمد العادلي – مبادئ الانثروبولوجيا ، مرجع سابق صـ ٤١٩.

المؤسسات والنظم التعليمية المختلفة والتي تهدف أساسا إلى إعداد الناشئ للحياة المقبلة .

(٤) التربية ظاهرة أو حقيقة اجتماعية بالتعبير الدوركايمي أو نسق اجتماعي Social system بالاصطلاح الوظيفي، من هنا كان ارتباطها الوثيق بكل من السوسيولوجيا والأنثروبولوجيا معا وتتشابك فيه الأدوار Roles وتتنوع بين الآباء والمعلمين والمتعلمين والمؤسسات التعليمية في المجتمع غير التقليدي وبين جيل الكبار وجيل الناشئين في المجتمع الحديث .

(٥) التربية سوسيولوجيا ظاهرة اجتماعية لها صفة الإلزام Obligation الذي ينبع من كل مجتمع في أي طور من أطواره وتتجلى مظاهر النسق التربوي في الطقوس والعادات والشعائر المختلفة في المجتمع البسيط وفي مختلف المؤسسات التربوية التي يزخر بها المجتمع الحديث .

(٦) تصنف التربية كنسق اجتماعي إلى :

(أ) تربية بسيطة غير رسمية ، وهي تنشئة اجتماعية أو تثقيفية ، ويتركز نسق الأدوار فيها بجيل يعلم وجيل يتعلم يسوده النمط التلقائي ، وتعتبر هي الحياة نفسها .

(ب) تربية حضرية تسود مجتمعات مركبة غير بسيطة ولها نمطية هي:

١- تربية غير رسمية تتمثل في عملية التنشئة الاجتماعية ويمتد نسق الأدوار فيها من الأسرة إلى عديد من المؤسسات الإعلامية المختلفة .

٢ - تربية رسمية وتضطلع بها المؤسسات التعليمية المختلفة حيث يتعقد ويتشابك نسق الأدوار فيها وتهدف إلى الإعداد للحياة .

(٧)كلما زاد المجتمع تعقيداً ازدادت ماهيته إلى التربية المقصودة كنقل للتراث الثقافي وإنماء الخبرة لنمو نظم اجتماعية جديدة تتلاءم والتغييرات الاجتماعية والثقافية المستمرة في المجتمع لهذا تزود الأفراد طبقا لأعمارهم ومستوياتهم الفعلية بالمواقف التي تنمي فيهم العقلية الابتكارية لاكتشاف آفاق جديدة تحثهم علي التغيير وتنهض بواقعهم الراهن .

المدخل الأنثروبولوجي للتربية :

يستخدم الأنثروبولوجيون مصطلح التربية بمعني واسع حيث يشمل أي نشاط يقدم للمتلقي معلومات جديدة ومعرفة ومنهجا يؤدي إلى تغيرات سلوكية وتغيرات ثقافية محتملة ، فالنقل الثقافي هو التربية بالمعني الواسع والتعليم بالمعني الضيق . والنقل الثقافي يشمل التلقين أو شعائر الدور والتدريب على المهن وهي كلها أمور محسوبة في العملية التعليمية ، كما تهتم الأنثروبولوجيا كدراسة للإنسان وأعماله بالعمليات الثقافية، واللغة والسلالة والتطور البشري وهي مساهمة ممكنة للتربية العامة في كل مستويات الخبرة التربوية ، فالأنثروبولوجيا كمصدر للمعلومات والمفاهيم تعتبر أكثر فروع المعرفة تكاملا لدراسة الإنسان وسلوكه . واستطاعت الأنثروبولوجيا أن تقدم أدوات جديدة لفهم مشكلات التربية وقد كانت معظم البحوث التربوية السابقة تعتمد على تجارب علماء النفس ، إلا أن الأنثروبولوجيا تستخدم وضع الحياة الحقيقية كمعمل لها والأنثروبولوجي يقوم بتحديد خصائص الإنسان والتي تتفاعل داخل مجموعة من الظروف أو الحالات ، ومن ثم فهو يلاحظ العملية التربوية من خلال أنشطة الأفراد ويستطيع بعد ذلك أن يصف الأنماط ويقوم بنتائج معينة عن وظائفها ومن هذه المعرفة يمكن التنبؤ بالنتائج المحتملة لحدث معين(١) .

إن أنثروبولوجيا التربية هي تحليل للعملية التربوية من حيث ارتباطها بالبناء الاجتماعي والثقافي في المجتمعين البدائي والمتطور، وإذا كانت الأنثروبولوجيا هي علم أو دراسة الإنسان وأعماله في بناء وثقافة معينين فالتربية هي أسلوب تدريب هذا الإنسان لتحقيق تكيفه للبناء والثقافة من ناحية وإمكان إسهامه في تطور المجتمع من ناحية أخرى(٢) .

أما عن علاقة الأنثروبولوجيا بعلم التربية فإن التربية علم يدرس التنشئة الاجتماعية عموما. والنمو المتكامل للشخصية الفردية ، فعلم التربية يدرس ما يلي مراحل نمو

(١)التنشئة الاجتماعية والتعليم عند قبائل الباجندا- مرجع سابق ص ص ١٢٨ – ١٢٩ .

(٢)زكي محمد إسماعيل – أنثروبولوجيا التربية – الهيئة المصرية العامة للكتاب – الإسكندرية – ١٩٨٠ – صـ١٠ .

الفرد في المجتمع والمشكلات التربوية التي تواجه كل مرحلة من هذه المراحل .

وتصنف التربية إلى :

- تربية بسيطة غير رسمية ، وهي تنشئة اجتماعية أو تثقيفية ، ويتركز نسق الأدوار فيها بجيل يعلم وجيل يتعلم يسوده النمط الثقافي وتعتبر هي الحياة نفسها .

- تربية حضرية تسود مجتمعات مركبة غير بسيطة ولها نمطان هما :

* تربية غير رسمية تتمثل في عملية التنشئة الاجتماعية ، ويمتد نسق الأدوار فيها من الأسرة إلى عديد من المؤسسات الإعلامية المختلفة .

* تربية رسمية تهتم بها المؤسسات التعليمية المختلفة حيث يتعقد ويتشابك نسق الأدوار فيها وتهدف إلى الإعداد للحياة .

التربية عملية تتضمن أنواع التعلم كافة الرسمي وغير الرسمي[(١)] .

المقارنة بين التربية الحديثة والتربية القبلية نجد أن الطفل القبلي يسهم بشكل فعال في الحياة الاجتماعية بعكس الطفل العصري ، إذ ينتظر منه منذ صغره أن يتحمل مسئوليات تتناسب مع قوته وتجربته وبخاصة قيامه بمساعدة أسرته لكسب معيشتها ، فالصبيان على سبيل المثال يصيدون ويمارسون الألعاب البسيطة ، والفتيات يساعدن في أعمال الحقل أو رعاية الصغار.

ولا يحتاج المجتمع القبلى لإنشاء منظمات مستقلة للتربية مثل المدارس ، ويستعاض عن ذلك بحصول الطفل على التراث الثقافي بملاحظة وتقليد البالغين في أنشطتهم مثل الطقوس والصيد والاحتفالات والزراعة والحصاد وينتج عن ذلك أن يقل أو ينعدم ابتعاد الصغار عن الكبار كما في المجتمعات الصناعية الحديثة . وتشمل المصادر الرسمية للتربية والثقافات القبلية : الأسرة والأقارب وحفلات الانتساب (التدشين) وقد جاءت المدرسة مؤخرا في تاريخ التربية[(٢)] .

(١) فاروق محمد العادلي – الأنثروبولوجيا العامة « مدخل متعدد المحاور » – مرجع سابق صـ ٣٢٣ – ٣٢٤ .

(٢) محمد منير مرسي وآخرين – أنثروبولوجيا التربية (الأصول الثقافية للتربية) – عالم الكتب – القاهرة – صـ ٨٢ .

ثالثاً : الإطار النظرى

نظرية البحث والدراسة :

النظرية المستخدمة في الدراسة :

(١) **نظرية الصيغ الثقافية** : التى ربط فيها بندكيت بين الثقافة والشخصية ، يرى علماء هذه النظرية أن من أهم خصائص المجتمعات الإنسانية قدرتها على حفظ الثقافة ونقلها من جيل إلى آخر ،والتنشئة الاجتماعية هى التى تقوم بعملية التثقيف هذه ، فالتنشئة الاجتماعية هى الوعاء الأول الذى يستطيع المجتمع من خلاله حفظ ثقافته ، ويؤكد علماء الأنثروبولوجيا أن عملية التنشئة الاجتماعية هى عملية امتصاص تلقائية لثقافة المجتمع المحيط ، ويرى فرانز بواس وروث بندكيت ومرجريت ميد أنه ليس هناك عمليات تعلم محددة لنقل الثقافة إلى الأفراد . فالطفل يكتسب ثقافة المجتمع بشكل تلقائى من خلال توجيهات الوالدين والأفراد البالغين المحيطين به ، ومن خلال ملاحظة سلوكه وتقليده لهم زمن خلال أساليب الثواب والعقاب التى يتعرض لها الفرد فى مرحلة الطفولة.وترى ميد أن التنشئة الاجتماعية هى عملية توصيل الثقافة بشكل مباشر أوغير مباشر لسلوك الطفل. ومن أوائل الرواد الأنثروبولجيين الذين أكدوا أهمية العلاقة بين الثقافة والتنشئة الاجتماعية روث بندكت إذ ترى أن شخصية الفرد وما بها من جوانب إيجابية وسلبية ما هى إلا انعكاس لثقافة المجتمع ولأساليب التنشئة الاجتماعية التى تتعرض لها(١) .

وتذكر روث بندكت أن لكل ثقافة شخصيتها المتميزة ، وتبرز هذه الشخصية عبر الزمن من خلال عملية انتقاء مستمر للعناصر الثقافية . واتجاه هذه العناصر نحو التكامل بأسلوب معين قد ينتهى بالنجاح أو الفشل ، فالثقافة فى هذه الحالة مثلها مثل اللغة ، لأن أية لغة قامت فى أساسها على عملية انتقاء لعدد معين من الأصوات التى يستطيع الإنسان إصدارها من خلال أجهزته الصوتية ، وكما أننا لا نستطيع تصور أية لغة تحتفظ بالعدد الهائل من الأصوات الممكنة لدى الإنسان فإنه لا توجد ثقافة تضم كل

---

(١)فتحية محمد إبراهيم – سلوى عبد الحميد خطاب – مدخل إلى الأنثروبولوجيا النفسية –دار المريخ للنشر – الرياض – ١٩٩٥ ص ١٢٦.

الأنماط الممكنة للسلوك والنشاط الإنساني، وينظر كل مجتمع إلى ثقافته باعتبار أنها تضم الأساسيات وتترك المظاهر التافهة لغيرها من الثقافات .

ومن هنا تختلف مواقف الثقافات تجاه الموضوعات الإنسانية الأساسية ، فالبلوغ مثلا عملية بيولوجية تحدث لدى الذكور والإناث فى كل زمان ومكان ، ولكنها تصبح فى الثقافات المختلفة عملية اجتماعية لها أنماطها السلوكية والمعرفية المتباينة ، فبعض الثقافات يحتفل بها لدى الذكور فقط . وبعضها لدى الإناث فقط ، وبعضها لدى الجنسين معاً ، ويرتبط هذا بنوع الأهداف التى تتخذها الثقافة لنفسها ، وكيفية ارتباط هذا المظهر الإنسانى بالعناصر العديدة التى تضمها الثقافة ، ونفس الشىء يقال كذلك عن موقف الثقافات من ظاهرة الحرب ، ففى حضارة الأزتيك القديمة كان المحاربون يعتبرون المعارك مجرد وسيلة للحصول على الأسرى من أجل القرابين الدينية ، وعندما وجدوا الغزاة الأسبان يقتحمون أرضهم ويقتلون من يواجههم اعتبروا أنهم خرجوا على قواعد المباراة ولهذا خسر محاربو الأتيك الحرب بسهولة[1] .

(٢) نظرية المعرفة Cognative Anthropology

تعتبر الأنثروبولوجيا المعرفية مدخلاً مثاليا لدراسة الإنسان ، ويركز ميدان الأنثروبولوجيا المعرفية على دراسة العلاقة بين ثقافة الإنسان وتفكيره (ثقافة وطريقة تفكير) على اعتبار أن الثقافة ليست مجرد ظواهر مادية لكنها أكثر من ذلك ، إذ تعتبر الثقافة من وجهة نظر هذا المدخل تنظيمات معرفية (إدراكية) ويدرس الأنثروبولوجيون المعرفيون الطريقة التي يفهم بها الناس وينظمون أغراضهم المادية والأحداث والخبرات والتي تشكل العالم كما يدركه الناس[2] .

أى أن دراسة الثقافة ليس من وجهة نظر الباحث التي يراها ولكن من وجهة نظر أصحاب الثقافة وحسب إدراكهم لها ، وهذا يشبه كثيرا منهج رؤى العالم إذ يحاول الأنثروبولوجيون المعرفيون وضع الثقافة ، الأحداث والحياة المادية والأفكار في

---

(١)المرجع السابق ص ٤٧.

(٢)أحمد أبو زيد « ماذا يحدث فى علوم الإنسان والمجتمع » مجلة عالم الفكر – الكويت – المجلد الثامن– العدد الأول – سنة ١٩٧٧ – ص ٢٤٨.

محتواها الخاص .

قد برز الاتجاه المعرفى فى دراسة الثقافة والذى يبحث فيما يتصور الناس طريقة تفكيرهم وأسلوب إدراكهم للأشياء والمبادئ التى تكمن وراء هذا التفكير والتصور ، والإدراك والوسيلة التى يصلون بها إلى ذلك ،لأنهم هم قبل كل شيء أصحاب هذا المجتمع ،ومن العدل أن نتعرف على أرائهم فيها .

إن الهدف الأساسي في الأنثروبولوجيا المعرفية هو إعادة تقديم نظم التفكير للجماعات السكانية طبقا للمحتوى الذي يمكن اكتشافه خلال التحليل[١] أي أن هدف الأنثروبولوجيا المعرفية هو معرفة وجهات نظر الناس تجاه ثقافتهم كما يرونها وليست كما يراها الباحث ويحللها طبقا للمحتوى النظري الذي اتخذه ، وأكثر ما يميز الاتجاه المعرفي في الأنثروبولوجيا اهتمامه الواضح بتحديد معالم المنهج الذي يقود خطوات الباحث خلال عملية الربط بين ما يحصل عليه من بيانات من الواقع الاجتماعي وبين النظرية التي تعبر عن طريق فهم هذا الواقع .هذا الاتجاه الأنثروبولوجي لم يتبلور أويفرض نفسه كأسلوب علمي إلا في أواخر الخمسينات من هذا القرن وكانت بدايته محدودة النطاق من حيث الموضوعات التي يعالجها والمجتمعات التي تجري في نطاقها هذه المعالجة[٢] .

ومن أهم العلماء الأوائل المساهمين في هذه النظرية هم Ward Goodenough / Harold Conklin / Charles Frake وهم مؤسسو النظرية المعرفية . أما العلماء A.K.Romney / Ray D. Andrade فهم يمثلون الاتجاه الحديث ولقد عرفوا كقادة في النظرية المعرفية الانثروبولوجية المعاصرة ، ثم أن كلا الباحثين توسع في المناهج وأساليب العمل الميداني[٣] .

***

(1)http:// www.as.ua.edu/ant/faculty / murphy/ 436 / coganth.htm (12-3-2008)

(٢) فتحية محمد إبراهيم – مصطفي حمدي الشنواني – مدخل لدراسة الأنثروبولوجيا المعرفية – دار المريخ للنشر – الرياض – بدون سنة نشر – صـ٤ .

(3) http:// www.as.ua.edu/ant/faculty / murphy/ 436 / coganth.htm (12-3-2008) مرجع سابق

رابعاً: الإطار المنهجي :

مناهج الدراسة :

ليس هناك بحث علمي دون منهج واضح يتم وفقا لقواعده دراسة المشكلة محور البحث .

- المنهج العلمي هو مجموعة من القواعد والمبادئ العامة التي يسترشد بها الباحثون في دراستهم للظاهرات الفيزيقية والاجتماعية للوصول إلى معرفة صادقة[1] .

المناهج المستخدمة في هذه الدراسة :

- المنهج الوصفي التحليلي .
- المنهج التاريخي .
- المنهج الأنثروبولوجي (الدراسة الميدانية)

(١) المنهج الوصفي التحليلي :

المنهج الوصفي التحليلي هو المنهج الرئيسي في كل دراسة أنثروبولوجية للثقافة أو المجتمع موضوع الدراسة حيث يتجه اهتمام الباحث إلى دراسة سمات الثقافة وتحليل عناصرها دون النظر إلى أي ثقافات أخرى . هي دراسة متكاملة للنظم والوظائف الاجتماعية [٢] تبدأ بتكوين صورة واضحة من واقع المجتمع موضوع الدراسة ، وبفضل الدراسة التحليلية لمجتمع الدراسة يستطيع الباحث دراسة الدين والمعتقدات الدينية لقبائل البمبارا والتنشئة الاجتماعية وتربية الأطفال ، وهي طريقة يستخدمها عالم الثقافة حيث يتبع أشكال النظم وأنماط الفكر والعمل علي سائر الثقافات والمجتمعات وقد قامت الباحثة بجمع المادة الأثنوجرافية من مجتمع البحث (البامبارا) وتحليلها في ضوء النظرية المعرفية وفي إطار ثقافة مجتمع البحث التقليدية.

---

(١)محمد عبد الغني سعودي – محسن أحمد الخضيري – كتابة البحوث العلمية ورسائل الماجستير والدكتوراه – مكتبة الأنجلو – القاهرة – ٢٠٠٧.

(٢)المرجع السابق ص ص ٢٠ – ٢٣.

٣- المنهج التاريخي :

يقصد بالمنهج التاريخي في البحوث الوصول إلى المبادئ والقوانين عن طريق البحث والتقص والاستقرار في أحداث الماضي وتحليل ما يرتبط بها ، وقد اعتبر حوادث التاريخ أكبر معمل تجري فيه التجارب العلمية والاجتماعية بمشكلات الحاضر ، وقد أشار ابن خلدون إلى أهمية استخدام الأسلوب التاريخي وقد اعتبر أحداث التاريخ أكبر معمل تجري فيه التجارب العلمية والاجتماعية على سجيتها[(١)] .

ووفقا لهذا المنهج يقوم الباحث بتحديد المشكلة ووضع الفروض أو الأسئلة التي تتطلب الإجابة عليها وهو يجمع ويحلل البيانات ويختبر الفروض حيث يثبت اتفاقه أو عدم اتفاقه مع الدليل التاريخي .

أخيرا تقوم الدراسات التاريخية على تثبيت الماضي للتنقيب عن الحقائق العلمية المجردة وتفسيرها ليس فقط من أجل فهم ومعرفة الماضي بل من أجل صياغة الحاضر والتخطيط للمستقبل .

وبالنسبة لموضوع الدراسة فقد كان لابد من استخدام المنهج التاريخي حيث يدرس الباحث مجتمع له تاريخه القديم سواء كان مالي الدولة الأم أو قبائل البمبارا التى كانت يوما ممالك البمبارا فوجب على الباحث استخدام التاريخ للإشارة إلى هذا المجتمع بتاريخه القديم بالإضافة إلى الحديث عن الديانات والمعتقدات التقليدية في هذا المجتمع العريق القديم في الإسلام .

أن مضمون المنهج التاريخي إنما يتم ويتحقق عن طريق التحليل التاريخي والتفسير الزمني لمختلف أشكال الظواهر والسمات الثقافية ، وقد تطورت استخدامات المنهج التاريخي في الانثروبولوجيا الثقافية المعاصرة ، فبدلا من دراسة الثقافة التقليدية في مجتمع معين أو في مجتمعات أخرى أو في ثقافة معينة وغيرها من الثقافات في بقية أنحاء العالم وفي العصور والأزمان السابقة بدأت الدراسات الحديثة تترك ذلك ، فقد دعا كل من جيبوفاني فيكو Givovani Bvico وسانت سيمون Sant Simon وأوجست

(١)عبد الله محمد عبد الرحمن وآخرين – مناهج وطرق البحث الاجتماعي – دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية – سنه ٢٠٠٢- ص ١٧٣.

كونت August Count من علماء عصر النهضة الحديثة حيث دعوا إلى ضرورة استنباط النظريات من الحقائق التاريخية حيث أن ملاحظة الماضي تسهم في فهم المستقبل ، أي أن التنبؤ العلمي ينبع من ملاحظة القوانين العامة التي تخضع لها ظواهر الماضي كما أن جميع الظواهر التي تتطور في وقت واحد يؤثر بعضها في البعض الآخر ويتأثر به[1] .

المنهج الأنثروبولوجي (الدراسة الميدانية) :

أن الدراسة الميدانية هي جوهر الدراسة الأنثروبولوجية وهي دراسة تحتكم إلى الواقع وجوهر الدراسة الميدانية هو دليل العمل الميداني(ملحق رقم ١) واستخدام الأدوات اللازمة لجمع المعلومات ومن أمثلتها المقابلات تمت في القاهرة مع الجالية المالية وهم طلبة في جامعة الأزهر وأكثرها تم في مجتمع الدراسة في مالي بالإضافة إلى زيارات المراكز الثقافية والمكتبات والمقابلات مع بعض المسئولين في وزارة التربية والتعليم بالإضافة إلى الإقامة في مجتمع البحث وزيارة العائلات في المجتمع الأصلي

(البمبارا) ومشاركتهم مناسباتهم الاجتماعية ، وهذا مسجل بالصوت (الفيديو) والصور (الكاميرا).

ورغم قصر فترة الزيارة إلا أن الباحثة كانت ملمة بالقدر الكبير من المعلومات عن المجتمع الأصلي من خلال الجالية المالية (جالية جمهورية مالي بالقاهرة) .

مجالات الدراسة

* المجال الجغرافى : اشتمل على القاهرة فى مدينة البعوث الإسلامية وسفارة دولة مالى واشتمل أيضا على قرية سيكورو فى مدينة سيجو، ارتئت الباحثة اختيار مدينة سيجو لتجمع قبائل البمبارا بها ولأهمية هذه المدينة لدولة مالى فهى الثانية من حيث الأهمية والعاصمة الإسلامية لمالى وتم اختيار قرية سيكورو وهى إحدى قرى مدينة سيجو للإقامة بها وإجراء الدراسة الميدانية والتعايش مع أهلها .

* المجال البشرى : تم تطبيق الدراسة الميدانية على مجموعة من الطلبة الجامعيين

(١)محمد محمد الهادي ، أساليب إعداد وتوثيق البحوث العلمية ، ط١ المكتبة الأكاديمية ، ١٩٩٥ ، صـ ١٠٤

المقيمين فى مدينة البعوث فى القاهرة .

وبعض من عائلات وأفراد قرية سيكورو وكلهم من قبائل البمبارا بالإضافة إلى المؤسسات الحكومية الرسمية فى باماكو العاصمة

* المجال الزمى : من شهر ٧/٢٠٠٨ إلى ١٠/٢٠٠٨ جمع معلومات عن مجتمع بمبارا .

الفترة من ١/ ١١ / ٢٠٠٨ إلى ٢١ / ٦/ ٢٠٠٩ لقاءات مع الجالية المالية فى القاهرة.

الفترة من ٢١/ ٦ / ٢٠٠٩ إلى ٨/ ٢٠٠٩ السفر إلى مالى والإقامة فى قرية سيكور وفى سيجو.

خامساً : بعض الدراسات التى تناولت التنشئة الاجتماعية :

(١) دراسة « مارجريت ميد » عن « النمو والتنشئة في غينيا الجديدة »:

قامت مارجريت ميد بدراسة امبريقية لعمليات النمو والتربية في مجتمع بدائي آخر منعزل في جزيرة مانوس Manus وهو مجتمع بحري يعيش علي الملاحة والتجارة ولكنه رغم ذلك يحافظ على طابع العزلة وعلى أسلوبه وتقاليده المتوارثة .

ولأن الدراسة عن النمو والتنشئة فقد اهتمت ميد بدراسة طرائق وأساليب التنشئة التي ينشأ عليها الأطفال في هذا المجتمع ويتشربون بها عادات الكبار ومحرماتهم وقيمهم ، فهي تدرس ظواهر النمو النفسي المختلفة في مجتمع بسيط وبين عدد محدود وفي إطار ثقافي معين ، وباعتبارها أستاذة لعلم النفس الاجتماعي فهي تدرس الظواهر السلوكية في إطارها الثقافي حيث اتجهت إلى تفسير وقائع النمو والتنشئة للأطفال في جزيرة مانوس في ضوء الإطار الثقافي العام للقرية البدائية ، وحاولت أن تربط بين سلوك الأطفال وسلوك الكبار وبين قيم هؤلاء وبين الأسس التي يتبعها الكبار في تربيتهم لأطفالهم[(١)] .

(١) (مارجريت ميد : « النمو والتربية في المجتمعات البدائية » ، الترجمة العربية – المرجع السابق – ص ص (هـ – و).

ولا تتناول الدراسة ظواهر النمو المختلفة عند الأفراد من الجنسين فقط ، ولكنها تعرض أيضا لمجموعة من المشكلات التربوية في المنزل والأسرة في مجتمعاتنا المعاصرة ، كما اهتمت بمشكلة العناية بالتقاليد وأهميتها في احتفاظ الناشئة بتراث الأجيال، وعالجت مشاكل تربية الشخصية بكل مكوناتها الرئيسية وركزت على ضرورة اعتماد الطفل على تراث مجتمعه ، حيث إننا نرى أبناءنا في صورة ما نقرره من قيم وما نمارسه من اتجاهات إزاءهم وما نتيح لهم من فرص النضج والتعلم الحقيقية الأمر الذي يترتب عليه أننا نستطيع أن نغير في سلوكنا وآرائنا إزاء أطفالنا حتى نستطيع أن نعودهم على العادات الاجتماعية التي تتطلبها عملية التوافق المعقدة[١] .

ترى ميد في التربية عملية تنشئة اجتماعية وثقافية تتسع لتشمل أسلوب تنشئة الأطفال في كافة المجتمعات البشرية البدائية وغير البدائية ، وقد اتفقت الباحثة مع منهجها في الدراسات المقارنة، فالطفل يولد مزودا بدوافع فطرية تستثيرها بيئته بمساعدة الكبار ورعايتهم له ، ومادامت الدوافع النظرية الكامنة واحدة لدى الجنس البشري فإن البيئة طبقا لمدى بساطتها وتعقدها هي التي تحدد الاستجابة ، ولهذا فإن ميد ترى أنه رغم ما بين طفل « نيويورك » وطفل « غينيا الجديدة » من فرق حضارى شاسع ، إلا أن هناك تشابها كبيرا في العملية المعقدة الشاملة (التنشئة الاجتماعية) التي يمر بها كل منهما في محيط ثقافته ليصبح عضوا عاملا في بنائه الاجتماعي ، وليست تلك العملية سوى عملية التربية .كذلك توصلت « ميد » إلى أن دور الأم في غينيا الجديدة يقف جنبا إلى جنب مع دور الأم في نيويورك، فكلتاهما تتساوى من حيث فهم كل ما يحيط بها من أنماط ثقافية تطبع بها وليدها[٢] .

وقد وجهت دراسة ميد نظر الباحثة إلى التفرقة بين الجنسين في مجتمع البمبارا . كما استفادت الباحثة من الدراسة فى ربط التربية بعملية التنشئة الاجتماعية والثقافة السائدة فى المجتمع كذلك دراسة الظواهر السلوكية فى إطارها الثقافى .

(١)المرجع السابق ، ص (ز).

(٢)زكي محمد إسماعيل : « أنثروبولوجيا التربية – دراسة ميدانية في قبيلة الشيلك بجنوب السودان » ، مرجع سابق ، ص ص ٥٦– ٥٧ .

(٢) دراسة : حامد عمار[١] عن : التنشئة الاجتماعية في قرية سلوا – أسوان :

أجريت الدراسة في قرية مصرية « سلوا » بمحافظة أسوان ، وهي مجتمع محلي يتسم بالتجانس والتماثل ، ورغم عزلة القرية (في الخمسينات) من الناحية الجغرافيـة إلا أن هذا لم يمنع تأثرها بما يقع من تغير اجتماعي[٢] .

وتتناول الدراسة الجوانـب الاجتماعيـة والسيكولوجية للتعليـم في هـذا المجتمـع القروي ، إذ أن البحث أجري في مجال نمو وتنشئة الطفل في هذا المجتمع الذي تسـوده الثقافة الإسلامية ، وكان المدخل الثقافي هو الغالب في الدراسة ، وقد اسـتعان الباحـث كـذلك بالمـدخل التكـاملي وخاصـة الجمـع بـين الإسـهامات التـي قـدمها علمـاء الانثروبولوجيا وتلك التي قدمها علماء النفس ومزج بينهمـا لخدمـة الدراسـة ، وركـز الباحث على توظيف تلك الإسهامات في توضيـح عمليـة الـتعلم للأطفـال في « سـلوا » بصورتها التقليدية وأشكالها الحديثة وتمحـيص الأثـر النـاجم عـن التعلـيم المدرسـي الحديث على ثقافـة هـذه القريـة ، وبهـذا يصـبح اهتمـام الدراسـة منصـبا عـلى الثقافـة والشخصية ، وهي أول دراسة ميدانية تعالج موضوع النحو والتنشئة والتعليم في مجتمع محلي عربي

وكان للتنشئة الاجتماعية في « سلوا » هدفان : الأول تدريب الطفـل مهنيـا وتـدريب الصغار عـلي أداء أدوار الكبـار ، والثـاني ثقـافي وهـو تلقـين الأطفـال قواعـد السـلوك الاجتماعي ونقل التراث الاجتماعي.

ولقد توصلت هذه الدراسة إلى ما يلى :

- أن تلقين الطفل قواعد السلوك بمثابة تأديب للطفل لكي يتوافق مع معايير مجتمعه ويطيع أوامر الكبار ، وأن تأديب الطفل عملية أساسية هدفها استمرار البناء الاجتماعي .
- تقوم عملية تلقين الطفل لقواعد السلوك الأخلاقية على القهر والإلزام .

---

(١)قام حامد عمار بهذه الدراسة الميدانية عام ١٩٥١ عشية قيام ثورة يوليو ١٩٥٢م ولكنها نشرت لأول مرة في عام ١٩٥٤ ، وهي الدراسة التي تقدم بها للحصول علي درجة الدكتوراه من معهد التربية بجامعة لندن .

(٢)مارجريت ميد : في مقدمة حامد عمار « التنشئة الاجتماعية في قرية مصرية (سـلوا) الترجمـة العربيـة مرجـع سابق ،ص ٤٤.

- تسود المجتمع ظاهرة التنافس والغيرة والصراع بين الأخوة ، ويعتقد أهل سلوا أن التنافس ظاهرة أساسية لتحقيق النمو .

- توضح الدراسة مظاهر النمو المختلفة بأطوارها المعقدة ، فطور الحضانة يمتد حتى سن الرابعة ويفطم الطفل غالبا في نهايتها ويتعلم الكلام والاستجابة لمطالب الكبار ، وتتميز تلك الفترة بالتساهل في عملية التربية ، أما في طور الطفولة فيبدأ انفصال الابن عن الأم وتستقطبه جماعات السن ، ويلعب الأخوة دورا بارزا في تشكيل اتجاهات الطفل ، وفترة الطفولة من أهم الفترات لفرض قواعد الأدب والنظام على الطفل ليعرف مكانه في العالم الكبير، ويدعم عملية التربية والتوجيه استعمال العقاب لردع كل انحراف، وقد أدى استعمال القسوة في التربية إلى دفع الأولاد للكذب بل وممارسة الخداع في اللعب ولا يقتصر هذا أحيانا على عالم الصغار بل يسود عالم الكبار أيضا .

وفي هذا الطور يتضح تفاوت الأساليب المستخدمة في توجيه الفتى والفتاة إلى السلوك المقبول ، فالمجتمع يميل إلى استعمال القسوة والإلزام على الفتاة أكثر من تطبيق هذه الأساليب على الفتى ، فالشدة هي ما يميز معاملة الأسرة للبنت ، ولا يرجع التفاوت في أساليب التربية إلى تفوق جنس على آخر ، بل إلى القيمة الاقتصادية والاجتماعية للجنس (النوع) التي تحقق للأسرة الاستمرار والبقاء

- أما في طور البلوغ فلا يراه المجتمع امتدادا لفترة الطفولة ، بل هو مرحلة فاصلة بين الطفولة والشباب بيد أن القيم الاجتماعية والمعايير وتوقعات الأدوار المدمجة في شخصية الطفل في سلوا تماثل قيم الكبار ، فالاختلاف بين شخصية الصغير وشخصية الكبير اختلاف كمي وليس اختلافا في نوع القيم إذ يحمل الطفل سمات الوالدين والأقارب المحيطين به وقيمهم ومعاييرهم

- أهمية دراسة الشخصية في كل من بعديها الاجتماعي والسيكولوجي ، فالباحث يرى أن الأعراف الاجتماعية أنساق القيم والمعتقدات الدينية والمكانة هي التي تقرر السلوك الاجتماعي للفرد بشكل مباشر كما أنها تعبر في اتساقها في مقدمة العوامل المحققة لاستقرار الشخصية[1] ، وقد استخلص الباحث من دراسته لعناصر البناء في

(١) حامد عمار : « التنشئة الاجتماعية في قرية مصرية « سلوا » ، الترجمة العربية ، مرجع سابق ، ص ٤١٩ .

« سلوا » وأساليب التنشئة السائدة ، أن الشخصية تتميز بالمثابرة والدأب على العمل ، والرغبة في الإلحاح ، وضمور الخيال والانطلاق والانبساط والاستجابة ، ورد الفعل السريع إزاء الأمور والأشياء[١].

وقد وجهت دراسة حامد عمار نظر الباحثة إلى المراحل التي يمر بها الطفل في مجتمع البمبارا وسن الفطام وقواعد السلوك التي هي بمثابة تأديب للطفل وهذا التأديب عملية أساسية هدفها استمرار البناء الاجتماعي ، وأهداف التنشئة الاجتماعية والمؤسسات الغير رسمية المسئولة عن التنشئة الاجتماعية .

(٣) السياق الثقافي لتنمية القوة المحركة : الأوضاع والممارسات المتبعة في الحياة اليومية لأطفال بامبارا (مالي) :

the cultural context of motor Development Poustural manipulation in Dailly life of Bambara Babies (Mali)

تقوم تلك الورقة بتناول تأثير تلك الأساليب الثقافية التي يتم ممارستها في الاهتمام بالأطفال وتنشئتهم على مدى تنمية القوة المحركة ، وذلك من خلال ملاحظة أربعة من الأطفال لمدة يومين والقيام بتسجيل كل ما يفعلونه سواء بالكتابة أو بتسجيل مقاطع الفيديو ، وقد اتضح أن هناك دوراً كبيراً على الأم القيام به أثناء الاهتمام والعناية بهؤلاء الأطفال وأثناء عملية تنقلهم من مكان لآخر وذلك بالحرص على زيادة التوعية لدى هؤلاء الأطفال وذلك من خلال السلوك اليومي لهم[٢].

(٤) العلاقة ما بين الطفل والأم في بيئة بامبارا التقليدية (مالي) :

The mother –Childrelationship in the traditional Bambara (Mali) environment :

تقوم تلك الورقة البحثية بتوضيح كيف أن صورة الأم و مبادئ العائلة وطبيعة الجماعة ككل تؤثر على شكل العلاقة بين الطفل وأمه في مجتمع بامبارا (Bambara) . حيث أن دور الأب هو القيام بتوفير السلطة والحماية ، بينما دور الأم يمتد إلى تلك

(١) خيرى عبد الحافظ – التنشئة الاجتماعية والتعليم عند قبائل الباجندا – مرجع سابق.

(2)131 International Journal of Behavioral Development . (1986)Vgnu P. 39 – 53 Dec

الجوانب الأخلاقية التي عليها أن تغرسها في أطفالها أثناء فترات نموهم ، حيث أن هناك رابطة قوية تجمع ما بين الأم وطفلها منذ الولادة ، حيث يظل بينهم ذلك الاتصال الطبيعي فيقوم الطفل بتناول الرضاعة من أمه وقتما شاء ، ومع ذلك فإن هؤلاء الأمهات يتهمن بأنهن يصبحن شديدي الاتصال بأطفالهن بشكل مبالغ فيه .

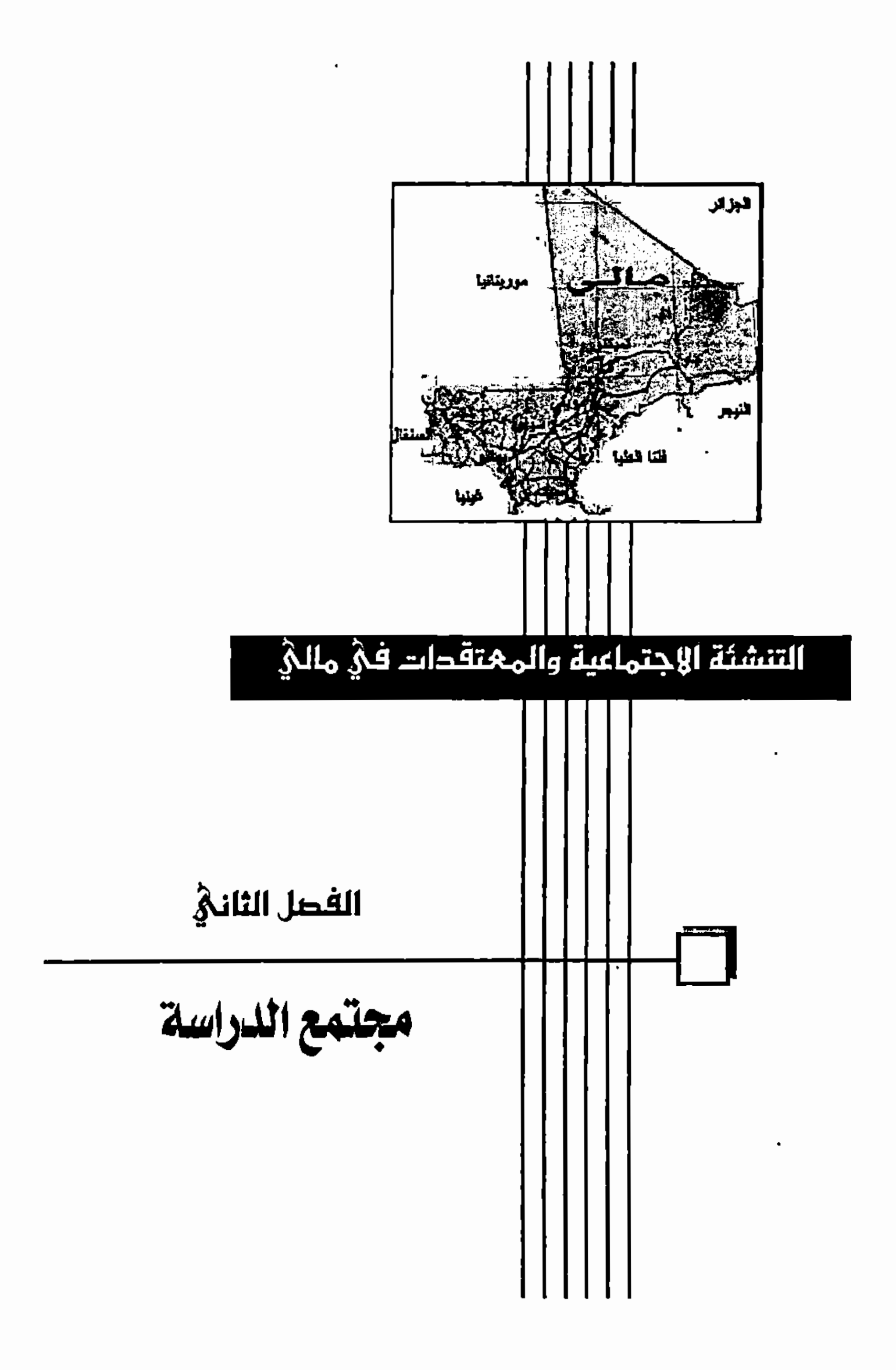
كما أن القيام بتسلية الطفل وتدليله يمكن لباقي نساء الجماعة أن تشارك الأم فيه ، كما أنه من خلال تلك الرابطة بين الأم وطفلها ، فإنها تبدأ في تعليمه كيفية دخوله إلى المجتمع ، ثم بعد ذلك تقوم بتعليمه المبادئ الجنسية والقيم الاجتماعية ، ومن هنا يمكن القول بأن تلك العلاقة بين الأم والطفل أصبحت هي الخطوة الأولى للتعليم الاجتماعي والثقافي للطفل[1] . هذه الدراسة والدراسة السابقة وجهت نظر الباحث إلى العلاقة بين الأم والطفل في مجتمع البمبارا وقد لاحظتها الباحثة وألقي الضوء عليها أثناء الدراسة الميدانية

تعقيب على الدراسات السابقة :

هذه بعض الدراسات عن التنشئة الاجتماعية فى بعض المجتمعات البسيطة ، وتكمن الاستفادة من هذه الدراسات فى معرفة مدى تأثير الثقافات فى تربية الأطفال . وان التربية عملية تنشئة اجتماعية وثقافية تتسع لتشمل أسلوب تنشئة الأطفال فى كافة المجتمعات البشرية البسيطة والمعقدة ، فالطفل يولد مزود بدوافع فطرية تستثيرها بيئته بمساعدة الكبار ورعايتهم لة .وتأثير الثقافة على مراحل الطفولة ومسمياتها المعروفة حيث أن لكل ثقافة مراحل الطفولة الخاصة بها .بالإضافة إلى أهداف التنشئة الاجتماعية والمؤسسات الغير رسمية المسئولة عن تنشئة الأطفال وخاصة الأسرة ودورها المميز فى التربية .



(1) Revue »de-Medecine – Phychosomenatique»(1975)et – de – pshychologle – Medicalo . vol . 17 (2) . 121 –



التنشئة الاجتماعية والمعتقدات في مالي

الفصل الثاني

مجتمع الدراسة

تمهيد: يتناول هذا الفصل مجتمع الدراسة وهو ينقسم إلى :

أولاً : مقدمة مختصرة عن المجتمع الأم دولة مالى الحديثة

ثانياً : تعريف قبائل البمبارا ويشمل نبذة تاريخية عـن قبائـل البمبـارا و أصـل اسـم بمبارا والبمبارا كلغة

ثالثاً : مجتمع الدراسة الميدانى وهو مدينة سيكو (سيجو) وهو مكان إقامة الباحثة وخاصاً فى قبيلة سيكورو وسبب اختيار هذه المدينة نظرا لأهميتها الإسلامية عند البمبارا وبالإضافة إلى أنها مركز تجمع قبائل البمبارا . ونستعرض هنا الموقع والمنـاخ والحيـاة الاقتصادية والاجتماعية والمسكن والتعليـم وفى ختـام الفصـل نـوجز بعـض المعـالم السياحية فى القرية موضحة بالصور .

أولاً : مقدمة مختصرة عن دولة مالى الحديثة :

إن الحديث عن مالي يشد الباحث إلى العصر الوسيط حيث كانـت إمبراطوريـة مـالي شعلة نور وهاج في قلب إفريقيا حيـث كانـت حـدود الإمبراطوريـة متراميـة الأطـراف وعاصمتها مركز إشعاع وزعماؤها شيوخ البحث والفكر في مختلف الفنون .

والعجيب أن الدولة التي أخذت اسم الإمبراطورية الفسيحة التي كانت تسيطر عـلى منطقة الساحل دولة أخرى وعلى هذا استطاعت مالي الجديدة أن تحقق الكثيـر لتصـبح جديرة برعاية التراث الضخم الذي خلفته جمهورية مالي في العصور الوسيطة .

يرجع التأثير الثقافي للإسلام في مالي إلى دخول الإسلام ذاته في منطقة السـودان الغربـي ، كما ارتبط نشر الثقافة العربية الإسلامية بانتشار التعاليم الدينية الإسلامية ، حيث كانـت نتيجة ذلك أن اتجه الشعب الذي اعتنق الإسلام إلى التخلي عن بعض العادات والتقاليـد التي لا تتمشى مع روح الإسلام وأخذ بدلا منها مبادئ الإسلام .

يري المؤرخون أن الاهتمام بالتعليم العربي الإسلامي يرجع إلى عام ١٢٤٠م بعد أن حلت إمبراطورية مالي مكان غانا حيث أصبحت عاصـمتها الجديـدة نيـاني(NIANI) مركزا رئيسيا للتعليم الإسلامي وقد ذكر ابن خلدون أخبار ملك التكرور ومدى اهتمامه بالتعليم واجتذاب العلماء إلى بلاده ، ومن أشـهر العلمـاء الـذين اصـطحبهم السـلطان

الفقيه أبو عبد الله الكوفي المهدي القدامي .

كما بنيت عدد من المدارس الملحقة بالمساجد خاصة في تمبكتو وحتى نياني العاصمة[1] .

وقد شهد عهد آلاسكي محمد قمة التطور في التعليم العربي الإسلامي حتى لقب باسم «أمير المؤمنين» ، وفي عهده توثقت علاقات مالي بالمغرب والمشرق العربي خاصة وذلك في مجال الثقافة عامة والتعليم خاصة وأقيمت بعثات للعلماء المسلمين للتدريس والمحاضرة في مدن مملكة سونغاي، وشهدت الفترة ذاتها تزايداً في البعوث العلمية إلى الأزهر وتلمسان والقيروان بالإضافة إلى مدينة قامي، وكذلك نشطت حركة التأليف في المدن الجامعية التي شهدت تطورا في مجال التعليم .

وبعد انهيار مملكة سونغاي على يد المراكشيين تحولت المنطقة إلى دويلات أكثرها وثنية ، وقد كان لذلك أثره علي مكانة المدن الجامعية مثل تمبكتو وجني وغيرها ، إلا أنها بقيت محتفظة بكيانها الثقافي والاقتصادي والحكم الذاتي وذلك نظرا لعلاقات المصالح المتبادلة بين المدن الإسلامية الجامعية والقوى الوثنية الجديدة في المنطقة[2] .

من مظاهر تمسك دولة مالي بالإسلام شدة الحرص على تعليم القرآن للصبية ، وقد شهد ابن بطوطة خلال رحلته إلى مالي ١٣٥٢ – ١٣٥٣ م كثيرا من هذه المظاهر ، منها مثلا أنهم يقيدون الأطفال والصبية بالحديد ، إلى أن يتموا حفظ القرآن الكريم .

كذلك شهد ابن بطوطة صلاة الجمعة في مالي ولأى مدى ازدحام المصلين ، وشهد بكثرة المساجد وانتشارها في جميع أنحاء دولة مالي ، ويذكر أن أشهر ملوك مالي كنكن موسى أنه كان يبني مسجدا في كل مدينة تدركه صلاة الجمعة فيها[3] .

فقد كان انتشار الإسلام في مالي وحرص ملوكها وعلمائها على التمسك بمظاهره

---

(١)إبراهيم نجاتي « الإسلام في دولة مالي :« الإسلام والمسلمون في إفريقيا قدرة جمعية الدعوة الإسلامية العالمية في ليبيا ١٩٩٨ – ٣١٨ .

(2) http://en.wikipedia.org/wiki/Islam_in_Mali 22 - 12 - 2008 .

(٣) (إبراهيم علي طلخان ،دولة مالي الإسلامية ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٣ ، صـ ٥٤ .

فضلا عن الدعوة إليه أما عن طبيعة انتشار الإسلام في مالي وغيرها ودول السودان الأوسط والغربي وتفسير سرعة انتشاره وقبوله فإن من الملاحظ أن الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء ظفر بأقوى القبائل وأعظمها شأنا ، مما أدى إلى قيام الإمبراطوريات الإسلامية الكبرى في جميع بلاد السودان من المحيط الأطلسي غربا إلى مملكة سنار الإسلامية شرقا في حوض النيل ، ولقد جاء الإسلام إلى الزنوج وهم سادة في أوطانهم يتمتعون بكامل الحرية والسيادة والاستقلال والقوة ويمارسون حكوماتهم وينظمون شئونهم الخاصة ومجتمعاتهم ، فلم يكن لدعاة الإسلام من العرب والبربر أوادنى قسط من السيطرة وإن كان نفوذهم الروحي عظيما ومقبول عن رضا واقتناع[(١)].

كان هذا تأثير الإسلام على الثقافة المحلية في منطقة السودان الغربي بدأ هذا التأثير مع بداية دخول الإسلام إلى المنطقة ، إلا إنه ومع دخول الاستعمار، أول ما سعى إليه الاستعمار هو التصدي إلى الثقافة الإسلامية والدين الإسلامي ، باعتباره عائقا أمام أطماع المستعمرين ثم إنهم أرادوا القضاء علي الإسلام لصالح المسيحية ، حتى يتمكنوا من خلالها من السيطرة على المنطقة ، سيطرة ثقافية إلى جانب السيطرة السياسية والاقتصادية . فلجأ المستعمرون إلى أساليب كثيرة مثل اضطهاد المسلمين ونشر التعليم الفرنسي وجعله أساساً وشرطاً للدخول إلى عالم الوظيفة والمكانة الرفيعة في المجتمع حتى يضطر الناس الإقبال على المدارس الفرنسية والانصراف عن التعليم الإسلامي وهذا ما حدث بالفعل في مالي إلى الآن حتى بعد الاستقلال[(٢)]. وكان التعليم الإسلامي يتمثل في الكتاتيب ، ثم بدأت تظهر مدارس عربية على نظام المدارس الفرنسية ورغم محاولات الاستعمار إلا أنه لم يفلح في إثناء المواطنين عن الاهتمام بالإسلام وتعاليمه ، ونجد أن بعض الأسر اتجهت إلى الجمع بين النظامين التعليم الإسلامي والفرنسي حتى يضمنوا لأطفالهم مستقبلا وظيفيا في الإدارات التي أقامها المستعمر مع الحفاظ على قدر كبير من العلوم الإسلامية تعينهم في شئون دينهم[(٣)].

أخيرا فأن الاستعمار رغم بطشه وإصراره وأدوات القمع المتوفرة لديه لم يستطع

(١)المرجع السابق ٥٩ .

(٢)إبراهيم نجاتي ، الإسلام في دولة مالي ، مرجع سابق ، ٣١٨ .

(3) http:en.wikipedia.

القضاء علي الإسلام والثقافة الإسلامية في مالي .

إن دولة مالي غنية بتراثها الثقافي. فقد قامت في أراضيها الحالية في الفترة ما بين القرنين الرابع والخامس عشر الميلاديين ثلاث دول إفريقية هي دولة غانا ودولة مالي الإسلامية ودولة صنغي. (أنظر الخريطة رقم ٣)

أما إمبراطورية مالي فقد ازدهرت في الفترة ما بين عام ١٢٤٠ و ١٥٠٠م. وفي القرن الرابع عشر الميلادي كانت مالي أغنى وأقوى دولة في غرب إفريقيا. وفي فترة حكم الملك مانسا موسى (١٣١٢ - ١٣٣٧م)، استقدم العديد من العلماء المسلمين إلى الدولة حتى صارت مدينة تمبكتو مركزًا مهمًا للدراسات الإسلامية . بعد ذلك قامت دولة صنغي وكانت عاصمتها مدينة گاو في مالي الحالية. وفي الفترة من عام ١٤٩٣م وحتى عام ١٥٢٨م، فترة حكم الملك أسكيا محمد، بلغت تمبكتو قمّة ازدهارها بوصفها أغنى وأهم مركز تعليمي إسلامي.ولكن بحلول عام ١٥٩١م غزا البلاد جماعة من بلاد المغرب واستولوا على دولة صنغي. ومن ثم توالى حكام الممالك الصغيرة في المنطقة.

حاولت فرنسا في منتصف القرن التاسع عشر إقامة مستعمرة لها فيما يعرف حاليًا بمالي. ولكنها كانت تواجه بمقاومة عنيفة من قِبل السكان الأفارقة. وأخيرًا تمكنت من السيطرة على المنطقة عام ١٨٩٥م. وفي عام ١٩٠٤م تحول اسم المستعمرة إلى السودان الفرنسي وصارت جزءًا من إفريقيا الغربية الفرنسية. ثم منح السودان الفرنسي مرتبة الولاية في الاتحاد الفرنسي في عام ١٩٤٦م[(١)].

إن كلمة مالي تعني باللغة البمبارية « فرس البحر » وترمز التسمية إلى قوة الدولة ، وكانت إمبراطورية مالي جديرة بهذه التسمية ، وحظيت خلال بعض عصورها بمكانة سامية في التاريخ ، ويبدو أن هذا التاريخ كان يدوي في آذان الغرب فأراد الاستعمار أن يخفي هذه التسمية حتى لا يرتبط الأحفاد بالأجداد فيتخذوا من تراثهم دوافع وقوة تزلزل أقدام المستعمر . ومن أجل هذا أطلق الاستعمار سنة ١٩٠٤ على هذه المنطقة اسم السنغال العليا والنيجر وفي عام ١٩٢٠ أطلق الاستعمار عليها السودان الفرنسي ثم

(١)إبراهيم علي طرخان – دولة مالي الإسلامية – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – ١٩٧٣ صـ ١٦٩.

أصبحت إقليما من أقاليم إفريقيا العربية الفرنسية . إلا أن التسمية القديمة كانت في أعماق الشعب إلى أن استعادوها وأطلق عليها مالي كما هي الآن . ومنذ استقلال مالي اتجهت اتجاها واضحا لخدمة القضايا التي يجلبها عليها تاريخها ومكانتها في إفريقيا ، فهي تساند كل جهد للحرية الكاملة وتستجيب لكل اتجاه للوحدة الإفريقية.

إن عاصمة جمهورية مالي الآن هي باماكو وعقب الاستقلال اختير موديبركينا رئيسا لها في يناير ١٩٦١ وهو من أسرة إسلامية عريقة إحدى فروع قبيلة بمبارا(١) .

ولقد استقل كل من الجمهورية السودانية والسنغال عن فرنسا في ١٩٦٠ تحت اسم اتحاد مالي ثم انسحب السنغال بعد أشهر قليلة من الاتحاد واختارت الجمهورية السودانية لنفسها اسم مالي . وكان العام ١٩٩١ نهاية لنظام الحكم الدكتاتوري عندما تولت شئون البلاد حكومة انتقالية إلى أن أجريت أول انتخابات رئاسية ديموقراطية في مالي في عام ١٩٩٢ ومنذ إعادة انتخاب الفا عمر كوناري رئيسا للجمهورية وفي عام ١٩٩٧ واصل الرئيس كوناري دفع عجلة الإصلاحات السياسية والاقتصادية ، كما استمر في حربه ضد الفساد وفي عام ١٩٩٩ أشار كوناري إلى أنه لن يرشح نفسه لفترة رئاسة ثالثة في الانتخابات الرئاسية المقبلة(٢) . أما فترة الدراسة فكان رئيس دولة مالي هو ممادو توري .

حصلت مالي على الاستقلال عن فرنسا في ٢٢ سبتمبر ١٩٦٠ لذا فإن العيد القومي الوطني في هذا اليوم وهو ٢٢ سبتمبر وهو عطلة رسمية في البلاد .

ولقد أقر الدستور المالي في ١٢ يناير ١٩٩٢ ، أما النظام القانوني فهو مستمد من النظام القانوني المدني الفرنسي والقانون العرفي ، وتجري مراجعة القوانين القضائية في المحكمة الدستورية والتي تأسست رسميا في ٩/ ٣/ ١٩٩٤ . أما عن حق الاقتراع فهو مكفول لمن يبلغ الحادية والعشرين من الذكور والإناث(٣) .

(١)أحمد شلبي موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية – معهد الدراسات والبحوث الأفريقية – الطبعة ٣ – سنة ١٩٨٧ صـ ٥٥٥ – ٥٥٦.

(2) http://www.mngatel.com/mokatel/dtae/Mali / 7-8-2008

(3) www.dvd4arab.com/showthre? T=834238 12-7- 2008

تشغل دولة مالي الركن الشمالي من وسط غرب إفريقيا وتتوسط بين سبع دول إفريقية وهي كالآتي : من الشمال الجزائر ، ومن الشرق النيجر ، ومن الجنوب الشرقي بوركينا فاسو ، ومن الجنوب كوت دي فوار ، ومن الجنوب الغربي غينيا كوناكري والغرب كل من السنغال وموريتانيا (خريطة٤).

تعداد السكان حوالي ثلاثة عشر مليون نسمة تقريبا [1]. مُعظم السكان في مالي من الأفارقة الأصليين ويكوّن الفولاني وأقاربهم التكرور أكبر مجموعة سكانية في مالي. أما المجموعة الثانية من حيث الحجم فهم الماندينجو. وينقسمون إلى ثلاث مجموعات ثانوية هي: البمبارا والمالنكيون والسوننكي.كذلك تضم المجموعات السكانية الكبرى في مالي الدوجُن والصنغي والفولنا. وتشكل العناصر البيضاء خمسة في المئة من مجموع السكان وهم من العرب والأوروبيين والفرنسيين، خاصة المغاربة، والطوارق.

يعيش ثلاثة وسبعون في المئة من سكان مالي في مناطق ريفية ، في حين يسكن المدن سبعة وعشرون في المئة من السكان فقط . ونجد أن معظم السكان الأصليين يقطنون في قرى صغيرة في الجزء الجنوبي من البلاد، ويعتمدون في معاشهم على الزراعة كما يعملون في المزارع الريفية بالأجر. ويكفي الفرد منهم زراعة ما يحتاجه لغذاء أسرته. أما بالنسبة لمحاصيلهم الغذائية فهي المنيهوت والذرة الشامية والدخن والأرز والذرة الرفيعة واليام. ولكن معظم المزارعين في مالي لا يستطيعون شراء الآلات الزراعية الحديثة، لذلك فهم يعتمدون في زراعتهم على الأدوات والأساليب اليدوية. كما أنهم يسكنون في منازل صغيرة تُبنى من الطين وأغصان الأشجار.

تؤدي المرأة دورًا مهمًا في الإنتاج الزراعي في مالي، حيث تساعد في بذر الحبوب وفي الحصاد بجانب رعي الماشية. وقد أعدت الحكومة برامج حديثة لتدريب النساء العاملات، ولكنَّ قليلاً منهن اللائي يستفدن من هذه البرامج نظرًا للأعباء الكثيرة ومسئولية الأسرة التى تشغل معظم أوقات المرأة .

تعتبر دولة مالي إحدى دول غرب إفريقيا المدارية الجافة والحبيسة وتمثل المركز الثاني بعد دول غرب إفريقيا بعد دولة النيجر من حيث المساحة والمركز السابع بالنسبة

(1) www.omanss.com/book/datd/datd1/172.htm

لدول القارة الإفريقية ككل[1]. مناخ مالي مناخ قاري لبعده عن المسطحات المائية والبحرية وبالتالي يمكن وصف مناخ مالي

في أربعة عناصر أساسية :

(١) الحرارة العالية صيفا .

(٢) موسم واحد لهطول الأمطار .

(٣) موسم واحد للجفاف .

(٤) رياح سائدة (هارمتان) .

تعد جمهورية مالي من أفقر دول العالم ، تصل نسبة الأراضي الصحراوية و شبه الصحراوية إلى ٦٥ ٪ من إجمالي مساحتها وينحصر النشاط الاقتصادي في البلاد إلى حد كبير في المنطقة النهرية التي تروى من مياه نهر النيجر ، يمثل البدو نحو ١٠ ٪ من إجمالي السكان ويصل نحو ٨٠ ٪ من السكان في الأنشطة الزراعية وصيد الأسماك[2].

تتمثل أهم المحاصيل الزراعية في الدخن والأرز والذرة والفول السوداني كما يزرع قصب السكر والتبغ والشاي ، وتمثل مالي المركز الثاني في إفريقيا من حيث إنتاج القطن ، وتربي الماشية لتلبية احتياجات الأسواق الداخلية وللتصدير . كما يعتبر صيد الأسماك من أنهار النيجر وباني والسنغال أحد مصادر الدخل

ولديها قطاع صناعي صغير يرتكز على تجهيز الأغذية ، وتمثل الزراعة ٣٦ ٪ من الناتج المحلي الأصلي وتمثل الصناعة ٢٧٪ و٣٧٪ خدمات ، وهذا حسب إحصائيات ٢٠٠٣ . وتعتبر صناعة النسيج والمواد الغذائية والمنتجات الجلدية من أهم النشاطات الصناعية بالبلاد.

أما اعتماد مالي الاقتصادي أساسا فهو علي الزراعة ، حيث توجد منطقة زراعية هائلة في جنوب البلاد يرويها نهر النيجر ونهر باني ونهر السنغال وفي الشمال توجد الصحراء

(1)htt://www-mnqatel.com/p.6 op – cit

(2)http:// encyclopedia.freedictionary.com /Bambara + language (27-7-2008)

الفسيحة ويرتبط اقتصادها بهاتين الظاهرتين ، ففي المنطقة الزراعية تنمو الحاصلات التي ذكرنا سابقا .

ويعد الأرز المحصول الرئيسي للاستهلاك المحلي ، فالزراعة هي المصدر الرئيسي لاقتصاد مالي ويشتغل بها حوالي ٦٠ ٪ من السكان ، وتنتج البلاد كل حاجاتها الغذائية ، ولا يوجد فائض كبير تحاول تصديره للخارج .

أما المناجم فأهمها الذهب والملح ، وللذهب والملح تاريخ طويل في هذه المنطقة ، وتعد مدينة تمبكتو مركزا تجاريا للملح والذهب . وهناك آثار تدل علي وجود الحديد الخام والمنجنيز والماس والبترول وقد بدأ العثور على بعضها ولكن بقدر غير تجاري حتى الآن .

ويرتبط بالمعادن موضوع الصناعة فليس في مالي صناعات ثقيلة لعدم وجود المواد الخام بكميات تسمح بالتصنيع ولذلك تتجه الصناعة إلى المنتجات المحلية كصناعة الزيوت والجلود والصابون والأدوات المنزلية(١) . وتواجه مالي العديد من المشكلات الاقتصادية، إذ يَعتمد القطر على الزراعة في حين أن خُمس أراضيه فقط تعتبر أرضًا خصبة وصالحة للإنتاج الزراعي. لذلك تعمل الدولة للتقليل من قيمة الزراعة من خلال خفض أسعار السلع الزراعية. كما يواجه الإنتاج الزراعي بمخاطر تَذَبْذُب الأمطار التي قد تصل إلى ما دون المتوسط، هذا بجانب أن المرعى الطبيعي قد ينحسر كثيرًا في بعض الأحيان. ولقد تعرضت الحياة النباتية في إقليم السهل في فترة السبعينيات والثمانينيات من القرن العشرين إلى سنوات جفاف أدت إلى تدمير مساحات واسعة من الغطاء النباتي وإلى موت ملايين الأبقار والأغنام والمعز. كما أدى تدني أسعار القطن وزيادة أسعار البترول في السوق العالمية إلى شدة تدهور الأوضاع الاقتصادية في البلاد(٢) .

الثروة الطبيعية :

من أهم موارد الثروة الطبيعية في جمهورية مالي الذهب والفوسفات والكاملين (صلصال أبيض نقي عادة يستخدم في صناعة الخزف الصيني) والملح والحجر

---

(١)أحمد شلبي – موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية .ط٣– معهد الدراسات والبحوث الأفريقية -١٩٧٨ ص ص ٥٦١ – ٥٦٢.

(2) http:// marefa .com op-cit

الجيري واليورانيوم والطاقة المائية .

اكتشف في أراضي مالي خامات البوكاسيت والحديد والمنجنيز والقصدير والنحاس ولكنها لم تستغل بعد .

استخدام الأراضي الزراعية :

- أرض زراعية ٢ ٪.
- مراع دائمة ٢٥ ٪.
- غابات واحراج٦ ٪ .
- استخدامات أخرى ٦٧ ٪ طبقا لتقديرات ١٩٩٣ .
- الأراضي المروية ٧٨٠ كم٢ طبقا لتقديرات ١٩٩٣ .

الأخطار الطبيعية : تعاني جمهورية مالي مواسم الحرارة الشديدة والريح المحمل بالأتربة الذي يغطي سماء البلاد في مواسم الجفاف ويسمي هارماتان harmattun ومواسم الجفاف المتكررة .

أما المشكلات البيئية : فهي تعاني من إزالة الغابات والتصحر وتآكل التربة وندرة موارد المياه الطبيعية العذبة والتعدي علي الحيوانات البرية النادرة[١] .

يبلغ طول الطرق في مالي ١٨.٠٠٠ كم منها ١٠٪ فقط معبدة أضافة إلى نهر النيجر الذي يصلح مجراة للملاحة داخل أراضي مالي .وهناك خط سكة حديدية يربط باماكو مع داكار في السنغال كما تملك مالي خطوط طيران قومية تعمل داخل القطر وخارجة للأقطار الإفريقية وأوروبا . وفي مجال الاتصالات هناك صحيفتان يوميتان للدولة بجانب محطة واحدة للبث الاداعي[٢] .

إجمالي الصادرات (مليون دولار أمريكي) : ٣٢٢ عام ٢٠٠٤ .

(1)htt://www.mnqatel.com / mokatel / data / Behoth / Dwal Modn 18Mali / Mokatel – 7 – 8 – 2008)
(2)http:// www. Marefa.com مرجع سابق

إجمالي الواردات (مليون دولار أمريكي) : ١٨٠٨ عام ٢٠٠٤ .

الصادرات الرئيسية : القطن – الفول السوداني – الحبوب – الماشية .

الواردات الرئيسية : المكائن ومعدات النقل – مواد البناء – النفط – المنسوجات .

الشركات التجاريون الرئيسيون : بلجيكا – إيطاليا – ألمانيا – الولايات المتحدة – الصين – فرنسا[١] .

أما التعليم من المشاكل التي تواجهها مالي أن معظم السكان فيها أميون ونحو ٦٥٪ من الراشدين لا يعرفون القراءة والكتابة في حين أن ٢٧٪ فقط من الأطفال يلتحقون بالمدارس وهناك العديد من المدارس الثانوية فى مالي ولكن كثيراً من الطلاب يفضلون الحصول علي درجات التعليم العالي من أقطار مثل فرنسا ومصر والسنغال[٢] .

وأما عن صورة التعليم الإسلامي في مالي فإن الشيخ عبد العزيز نيباري رئيس اتحاد المدارس الإسلامية في مالي يذكر أن في جمهورية مالي ثلاثمائة مدرسة إسلامية ، ابتدائية وإعدادية وثانوية ، يدرس فيها مئة وخمسون ألف طالب ويعمل فيها أربعمائة مدرس .

ومن المشاكل التي يواجهها التعليم نقص الكتب والمناهج مشيرا إلى أن اتحاد المدارس الإسلامية تأسس عام ١٩٨٥م لتنسيق التعاون بين هذه المدارس ويعمل على توحيد المناهج وتنظيم وتطوير هذه المدارس والتعاون مع الحكومة المالية والمناهج والكتب الدراسية لمدارس مالي الإسلامية تأتي من عدة بلدان إسلامية.

وقد اعتمد التعليم في بدايته علي الكتاتيب والزوايا وخلاوى تحفيظ القرآن الكريم ، واستمر على هذه الحال قرنا من الزمن ، وعرف نظام التعليم الإسلامي الحديث طريقه إلى العقول مع بدايات القرن العشرين مبتدئا بمدينتي (كاي) و (سيجو) حيث افتتحت فيهما بعض المدارس الإسلامية على يد بعض المثقفين الحدثين من المسلمين حيث تلا ذلك قدوم مجموعة من المعلمين من الأزهر ساهموا في إقامة بعض المدارس وإدخال المناهج الأزهرية فيها ، وأقبل الناس عليها وتأثروا بمنهجها في التعليم ، وكان

(١)www.dvd4arad.com/showthreadphp?T=834238

(٢)http:// marefa .com ibid

نتيجة ذلك أن ظهر نمط جديد من المدارس يركز على تعليم اللغة العربية وحفظ القرآن الكريم وتنظيم حلقات الوعظ والإرشاد .

وفي السبعينات الميلادية اتسع نطاق تعليم اللغة الفرنسية في المدارس الحكومية نظرا لمبدأ العلمانية الذي تقوم عليه الدولة واعتمادها تلك اللغة لغة رسمية للتداول كما ساهمت تلك الفترة في الاهتمام بتعليم العلوم التطبيقية مثل الكيمياء والفيزياء والرياضيات .

وجاءت دراسة العلوم التطبيقية رغم أهميتها على حساب تعليم اللغة العربية والدراسات الإسلامية ، لكن تلك المشكلة تم التغلب عليها بمزيد من الاهتمام باللغة العربية والدراسات الإسلامية بفضل عودة الكثير من الطلبة الماليين الذين تخرجوا من الجامعات والمعاهد العربية ، حيث استطاعوا أن يلائموا بين التعليم الديني بصفته أساسا في تكوين هوية المجتمع المالي وبين التعليم التقني باعتباره أساسا للتقدم وهكذا أصبح خريج المدارس الإسلامية اليوم مكوناً تكويناً ملماً بكلا الجانبين .

وحرصا على هذا التطوير لسير التعليم الإسلامي أنشئ الاتحاد الوطني للمدارس العربية والإسلامية[1] الديانة : يدين ٩٥ ٪ من سكان مالي بالدين الإسلامى ، ورغم أن الغالبية العظمى من السكان مسلمون إلا إنه يوجد العديد من الثقافات التقليدية في ممارسة الدين ، وأيضا يستخدمون الفن التقليدي لخدمة الدين حيث إنهم يستخدمون بعض الحيوانات للإلهام مثل الفهد و الغزال و الزرافة و الخنزير و الأسد و وأيضا بعض الأشجار مثل أشجار الصمغ . كما أنهم يستخدمون الأقنعة واحتفالات التشي وارا قبل رمي البذور في الأرض للزراعة ولحصول البركة في المحصول(صورة ٥) ، كما أنهم يؤدون نفس الاحتفالات قبل جني المحصول للحصول على البركة أيضا في إيجاد محصول وفير. كما يستخدمون الأقنعة في المسارح لنقل العادات والتقاليد إلى الشباب كنوع من الحفاظ علي التقاليد (صورة ٦) .

علاقة مصر بمالي[2]:

بالنسبة إلى مصر هناك العلاقات التجارية والثقافية والصداقة التقليدية بين مصر

(١)http : // www.daralbachir.com/vb/sowthread.php?t=266kum4 –10 –2008

(٢)علي طرخان صـ ٦٨.

ومالي وقد توطدت هذه الصداقة ودعمت بصفة خاصة منذ حج السلطان كنكن موسي ١٣٢٤م زمن السلطان محمد بن قلاوون.

ولكن علاقة مصر ببلاد غربي إفريقية القديمة ترجع إلى ما قبل الميلاد ببضعة قرون حتى أن كثير من النباتات والحيوانات والصناعات وصل من مصر إلى جميع بلاد غربي إفريقيا بما فيه مالي .

إن أول الحضارات أتت من مصر إلى جميع بلاد إفريقيا السوداء جنوبي الصحراء الكبرى منها بناء القوارب واستعمال اللبن في البناء وهو مرحلة متقدمة والأسلحة الحديدية من دروع ورماح وبلط وقسي « أن قبائل التيهو أو التدا Tibu/ ted هي التي أدخلت الصناعات الحديدية إلى إفريقيا الزنجية نقلا عن مصر »[1] .

هذه الصلة مع مصر ترجع إلى أقدم العصور وزادت منذ العصر الإسلامي وخاصة أن مصر كانت من بين المنابع التي أتي منها الإسلام إلى غربي إفريقيا .

بالإضافة إلى أنها في طريق الحج وكانت الأراضي المقدسة الإسلامية تحت نفوذ سلاطين مصر وكانت مصر مركز الخلافة الإسلامية . ومن ملوك مالي المعروفين الذين مروا بمصر خلال حجهم : يرمندانه ومنسا ولي ين ماري جاطه الأول وساكورة ثم كنكن موسي ومن بعده سليمان وغيره[2] .

من أبرز الدلائل الحية الباقية إلى الآن تلك المعالم التي مازالت في القاهرة وتؤكد الصلات القوية التي كانت بين مصر وبلاد غربي إفريقيا وخاصة مالي منها حي « بولاق الدكرور » المحرفة عن التكرور ونسبة إلى أحد صلحاء التكرور[3] الذين دفنوا في مصر .

بالإضافة إلى تخصيص رواق للتكاررة من أروقة الأزهر شاهد حي علي مدي مالقية مسلمو غربي إفريقيا وطلاب العلم من ترحيب بجانب إنشاء مدرسة ابن رشيق في فسطاط مصروهي المدرسة التي أنشأها حجاج التكاررة علي نفقتهم الخاصة لتدريس

(1)Johnston H.H. : A history of the colonization of Africa by Allien Rales Camber 1913 ، P. 20

(٢)إبراهيم علي طرخان – دولة مالي الإسلامية – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٧٣ صـ١٦٩ .

(٣)كلمة تكرور يقصد بها كل من جاء من غربي إفريقيا .

الفقه المالكي وللإقامة فيها عند مرورهم بمصر .

هذه شواهد تدل علي مدي قوة الرابطة بين مصر وغربي إفريقيا المسلمة وبما فيه مالي.

وأيضا من قوة الرابطة بين مصر ومالي ، كانت الأزياء في مالي الغالب في أكثر بلادها ملابس مصرية وهي لا تتوفر إلا لذوي اليسار . أن أهل مالي عامة لباسهم عمائم بحنك مثل العرب وقماشهم أبيض من ثياب القطن ويلبس الفقهاء عمامة علي نسق العمامة الشرقية مع ترك عزبة تدلي علي الظهر .

هذا كان حديثنا عن الدولة الأم وهي جمهورية مالي الإسلامية ونتقل الآن إلى الحديث عن قبائل البمبارا .

ثانياً : من هم البمبارا :

البمبارا هم أهم شعب من شعوب الماندنجو أو الماندى ، وهم منتشرون بين المحيط الأطلسي غربا إلى منحنى النيجر شرقا ، ويمتد جنوبا إلى قرب خط العرض التاسع ، وقد ظهر في هذا الإقليم السودان الغربي أو الفرنسي ، وظهرت وحدات سياسية أخري مثل جمهورية السنغال ومالي وغمبيا وغنيا وبها بعض القبائل التي تنتمي إلى شعب الماندنجو ، والدول التي يتمثل بها الماندنجو أكثر من غيرها هي جمهورية مالي .

ويشتمل الماندنجو على عدة قبائل تحمل أسماء مختلفة مثل ديولا وكاستكي وجالتكي وبمبارا وسوننكى ومانكي

ويوصف الماندنجو شكلا بأنه طويل نحيل تقاطيعه تقربه من الشكل القوقازي وغزير شعر اللحية إذا قورن بسائر الزنوج والبشرة خفيفة السمرة[1] .

يمثل البمباريون الجماعة الاثنية الأكثر أهمية فى مالى وهم منتشرون فى كثير من المناطق غير مالى منها بوركينا فاسو وغينيا وموريتانيا وساحل العاج .

الاسم : هناك العديد من الجدل الذي مازال مستمرا حول الدلالة التي يشير إليها

(1)http : // www.princetonel .com / groups / bamana . htm 21-8-2008 .

الاسم ، حيث يقال الاسم Bamana يعني هؤلاء الذين يرفضون من أوامر الإله ذلك لأن هؤلاء القوم كانوا لا يقبلون سيادة من أحد عليهم وهي مشتقة من كلمة لدى الماندي هي Bam وتعني (يرفض) و ana (الإله) كما أن بعض الناس من هؤلاء ال Bamana في المقابل يقوموا بترجمة ذلك الاسم بأنه يعني« عدم قبول رئيس أو سيد » كما أنه لايوجد أي من الدلالات أو الإشارات تشير إلى أصل ونشأة ذلك الاسم ولكن يبدو أن الـ Bambara هذه ترجمة فرنسية غير دقيقة لكلمة Bamana[1].

كما أنه يطلق على البامبارا أسماء كثيرة ، فهم البامانا والبامبارا والبمبرة كل هذه الأسماء تعني البمبارا .

ووفقاً للأسطورة فإن اسم بان- مانا الذى أصبح معرفاً بمصطلح بمبارا أطلق على أولئك الذين تخلوا عن دولتهم الأصلية واسولو (جنوب باماكو) فى بداية القرن الثالث عشر الميلادى رغبة فى التخلص من وصاية المالينكيين على أسيادهم . نرى من ذلك أن أسم عرقهم يدل على رفضهم للخضوع على من فازوا عليهم فى الحرب .

ويبدوا أنه من خلال هذه الأسطورة استطاع ديلافوس القول بأن البمبريين من أصول تورو ، وهى منطقة شرقى واسلو والواقعة بين أودينى (ساحل العاج) وسيكاسو (مالى) .

مهما كان الأمر ، فإن التقاليد تدل على أنهم من أصول الماندى ، وهى تلك المنطقة التى كانت تشمل أقصى الجنوب – الغربى لجمهورية مالى والشمال – الشرقى لغينيا والشمال الغربى لساحل العاج ، وكادوا أن يصلوا إلى نيجر عبر الموقع الحالى لإقليم سيغو بعد ما اتجهوا تدريجيا إلى جهة الجنوب الشرقى والشمال الشرقى .

ولكن لم يستطيع البمبارا تأسيس كيان سياسي مستقل إلا فى القرن الرابع عشر الميلادى بزعامة عشيرة كوليباليين ، حيث أسسوا فى سيغو إمارة قوية تضم بجانب البمبارا كل من نجا من الغزو السوسى وجميع الشعوب القاطنة فى هذه المنطقة وتحديداً جماعة بوزو القادمين من الشمال فى القرن الثامن الميلادى .

وبما أنه قدمت لأصل كلمة بان – مانا ، فإن التفسير وفقاً لمشتقات الكلمة يعتبر أكثر

(1)en.Wikipedia.org/wiki/Bambara:people 4uk.23-7-2008

انتشاراً .

ويقول المؤيدون لهذة النظرية بأن الكلمة مشتقة من مصطلح باما أو بامبا أي تمساح ، ومعناها ناس التماسيح ، كما يطلق مصطلح ناس فرس النهر على الماليكيين ويطلق عليهم ناس الثعبان الكبير على جماعة الميناكنيين ...

يبدو هذا التفسير غير دقيق تاريخياً إذا قورن بذلك التفسير الذى يشير إلى أن البمبارا قد تمردوا ضد أسيادهم وهاجروا مناطقهم الأصلية ، حيث يبدوا أكثر واقعية[(١)] .

نبذة تاريخية :

على إثر تدهور إمبراطورية مالي القديمة نهض فرع من فروع الماندنجو في القرن السابع عشر الميلادي وهو فرع البمبارة ، ونجح هذا الفرع في تأسيس مملكتين متنافستين علي أنقاض مالي وصنغي الزائلتين .

إن قبائل البمبارة هي أهم مجموعة من مجموعات الشعوب المتكلمة بلغة الماند ، انتشرت في وديان النيجر وفرعه الأعلى باني منذ القرن الثالث عشر الميلادي وكانت جزءا من إمبراطورية مالي .

بعد الهزائم المتلاحقة التي لقيتها مالي على أيدي إمبراطورية صنغي نجح البمبارة في تكوين دولة حول مدينة سيجو على النيجر الأعلى وصارت هذه الدولة إمبراطورية قوية في القرن السابع عشر.

وفي مطلع القرن التاسع عشر الميلادي كانت السيادة في السودان الغربي موزعة بين أربع دول قوية : دولة التكاررة في مؤنا في الغرب ويليها من الشرق دولتا البمبارا في سيجو وكأرتا ثم الولايتين في ماسنة في حوض نهر النيجر وفي بلاد الهوسا على أن أعظم هذه الدول وأقواها هما دولتا البمبارا .

تبعا للأساطير المحلية كان البمبارا بزعامة أخوين هما :

برامانجولو Bramangolo ونيانجولو Niangolo قيلت حولهم أساطير كثيرة و

(1)Bokar N‹Diaye‹(1970) ‹ groupe ethnique au MALI‹ Bamako: Editions populaires .P 92

كان هذا يقترن بمؤسس الدول .

الثابت تاريخيا أن سلاله الأخ الأول وهو براما نجولو نجحوا في تأسيس دوله في سيجو وخضعت هذه الدولة فترة من الزمن لسيادة بشوات تنبكت ودفعت لهم الجزية ، وفي ١٦٦٠ - ١٧١٠م اتسعت دولة سيجو وتخلصت من سيادة تنبكتو امتدت دولة سيجو في تلك الفترة في وديان النيجر من كنجابا من الماندنجو جنوبا إلى تنبكت وإلي الصحراء شمالا ونجح كولوبالي في طرد مانسا مالي من العاصمة سنه ١٧٦٠م وجاءت نهاية دولة سيجو ١٨٦١م على يد الحاج عمر سلطان التكاررة ثم تولي ملوك البمبارا إلى أن جاء هذه السلالة السلطان كانديان Kandian بعد هذه الأحداث زالت دولتا البمبارة في سيجو وكارتا ثم ظل الماندنجو منقسمين إلى أن أتخذ ساموري التوري لقب إمام وتصدى لكفاح الاستعمار الفرنسي الذي ظهر على الساحة ، ولم يتقيد بشروط المعاهدة التى عقدها معه الفرنسيين . ولقد استمر الكفاح ضد الفرنسيين من ١٨٨٢-١٨٩٨م ثم هرب ساموري التوري إلى أعالي نهر الفولتا وكان يقود جيش ساموري أبنه سارانتي ، ويؤرخ لهذا النصر عام ١٨٩٧م وأخيرا تمكن الفرنسيون من القبض عليهم في ٢٩ سبتمبر ١٨٩٨م في مدينة جويلومو Guelemu في أعالي ساحل العاج ونفوه إلى جابون حيث مات ١٩٠٠م وجرد الفرنسيين قواته من السلاح وبعد هذا لم نسمع عن غارات الماندنجو (ساموري التوري : هو جد أحمد سيكوتوري رئيس جمهورية غينية الحديثة[1] .

البمبارة الآن :

هم من أكبر المجموعات العرقية في مالي ، ويوجدون في بلاد كثيرة ، ولكن أكثرهم متمركز في مالي ويشكلون حوالي ثلث سكان مالي.

تتمركز الكتلة الكبيرة من البمباريين فى منطقة تمتد من الوسط الشرقى إلى غرب مالى وتتوزع بين إقليم سيغو ونيونو (دلتا الوسطى لنهر النيجر) وبيلديوغو(دائرة كولوكانى فى شمال بماكو) ذات الحدود مع منطقة الساحل ، ومن كارتا إلى حدود دائرة كيتا ، ومن جنوب نيورو إلى شمال دوائر كوليكورو ، وديولا وبانمبا وبوغى ويانفليلا

(١) إبراهيم علي طلخان - دولة مالي الإسلامية - دراسات في التاريخ القومي الإفريقي - الهيئة المصرية للكتاب - القاهرة - سنة ١٩٧٣ ص ص ١٧١ - ١٧٥.

وكولونديبيا وسيكاسو .

ويلاحظ بأن البمبريين مختلطون مع عناصر من جماعات أثنية أخرى مختلفة فى هـذه المناطق ولكنهم يسيطرون (البمبارا) على هؤلاء أحيانـا بدرجـة أن كـادوا باسـتيعابهم جميعاً .

لم يسبق للشعب البمبارى أن أسس كيانا سياسيا قط . ويتكون البمبارا مـن عـدد مـن العشائر التى تنحدر من نفس الأصول الحقيقية أو الأسطورية . وأن المناطق التى كـانوا يسيطرون عليها هى التى تمثل عاملاً فى التمييز بينهم ، أى تحديد اعضائهم . حيث نقول سيغو – كاوو (أهل سيجو) للذين يقطنون سيغو ، بيليدوغو – كاوو(أهل بيليدوغو)، وللذين فى بيلديوغو كارتا- كاوو (أهل كارتا) للذين يعيشون فى كارتـا ويـدعون أيضـاً ماساسى أى المنحدرين من عرق ماسا ... الخ .

يصـل عـدد البمبريـون ومـن يشـابههم فى العـادات والتقاليـد بالفعـل إلى حـوالى ١٦٦٥٠٠٠ نسمة ويمثلون ٣٥،٥٠٪ تقريباً من الشعب المالى[(١)] .

مناطق تواجدهم :

تتمركز البمبارا بشكل اساسى فى المناطق الممتدة من دوائر سيغو ، بيونـو ، ديـولا ، كوليكورو ، بانمبا وجزء من دائرة بماكو ومن كولوكانى ، جنوب دائرة نارا ، شمال دائرة كيتا وجنوب دائرة نيورو ، دائرة بوغونى ، وينفوليلا وكولانديا فى الجنـوب مـن دائـرة سيكاسو ، وبعض جزر فى دوائر ماسينا فى الشمال ، وإقلـيم كـاى وييليمـانى فى الغـرب وكوتيالا فى الشرق .

ويجدون أنفسهم محاصرين فى هذه المناطق ببماكو ، وكوليكانى ، وفى الجنوب لهم حدود مع دائرة نارا ، وتحدهـم السينغال والمناطق التى يسيطر عليها الفلاة وسـيراكولى شمالا ، وفـ الجنوب من قبل جماعة المالينكى ، ومن ناحية الشـرق مـن قبـل جماعـات ميناكا وبوبو ، ومن الغرب جماعة ساركولى وخاسوكى التابعين لمنطقة ديـافونو (دائـرة ديليمانى).

(1)90 - Groupe ethnique au MALI . Ipid . Pp 88

ويمكن القول بأن البمباريين يسيطرون على وادى النيجر من بماكو متوجها إلى سيغو حيث يوجد تمركزهم الساسى .ويجانب هذه التجمعات للبمبارا فإننا نجد البمبارا فى دوائر مدينة جينى وموبتى وبانديغارا ولكنهم أقلية فى هذه المناطق ذات الأغلبية الفولانية . تتميز المناطق التى يسيطر عليها البمبارا بأشجار وأعشاب كثيرة فى الجنوب ورملية فى الشمال[١] .

اللغة[٢]: يوجد في مالي حوالي اثنين وثلاثين لغة ولهجة ، ولكن الفرنسية هي اللغة الرئيسية والرسمية ، والبمبارا هي اللغة المحلية لجميع فئات الشعب فهي تحتل مكانة كبيرة في الحياة الثقافية ، وتوجد اللغة العربية أيضا وهي لغة المثقفين بالإضافة إلى أن هناك مدارس تدرس باللغة العربية بالإضافة إلى أنها لغة الدين الإسلامي[٣] .

وتعد اللغة البمبارية من اللغات التي يتحدث بها شعب مالي بما يعادل ٦ مليون شخص (وبما في ذلك أيضا من يتحدثون اللغة الثانية ، وتسمي تلك اللغة « بلبامانكان» Bamanankan . وهناك اختلاف بسيط بين اللغة البمبارية والديولا ، فالثانية هي لغة للتفاهم والتحدث بين القليل من الأشخاص في بعض البلدان مثل بوركينا فاسو ، كوديفوار ، وجامبيا ، بينما يتحدث اللغة البمبارية مبدئيا المجموعة العرقية لبامبرا والتي تعادل ٢.٧٠٠.٠٠ شخص ، كما أن الديولا تمثل لغة دخيلة على شعب مالي.

وتنتمي اللغة البمبارية لمجموعات لغات متقاربة تسمي لغات الماندينج (Manding) أي اللغات الماندنيغيه (المنتشرة في أفريقيا الغربية) والتي بدورها تنتمي لمجموعة أكبر وهي المانديَMande ، ولها لهجتان أو نبرتان ، كما أن بها سبع حروف متحركة (u، o، I، ɛ،e، a) وقد كتبت بهذه اللغة مبكراً بالحرف العربى حتى اجبر الجميع على الكتابة بالحرف اللاتينى . وقد ظهرت الكتابة أثناء الاحتلال الفرنسي ، حيث أصبحت حروف الهجاء ذات أهمية قصوى وخاصة في المناطق الريفية[٤] .

(1)P91 . Ibid . Groupe ethnique au MALI

(2)http://www.bethany .com/profiles p.code 4/2406.htm / 7-2008

(3)http: // www.princetorol .com/groups/the people of Mali 21 – 8 – 2008

(4)The people of Mali ، Ibid

ومازال الأدب المكتوب في دور النمو وذلك نظرا لسيطرة اللغة الفرنسية سيطرة تامة في التعليم ، إلا أن هناك ثروة من الأدب الشفهي والذي عادة ما يتناول قصص الملوك والأبطال ، كما يتناول بعض الأغاني القديمة التي عادة تحكي عن مملكة مالي القديمة .

« وبامبرا هي اللغة القومية لمالي ، وكذلك الأكثر انتشارا وفهما »

وهناك بعض اللهجات مثل سومونو ، سيجو ، بامبرا ، بامانتكان (سان – بيليدوجو – جانادوجو – واصولو وسيكاسو) .

* **وبدأت كتابة اللغة البمبارية مع الاستعمار الفرنسى بالأبجدية اللاينية وكانت** تستخدم الحروف المتحركة مثل الـ a ،e(سابقا é) ، والـ i ، o (سابقا ó وكذلك الـ u للدلالة على تناسق الأنغام . والدوغراف (حرفين يمثلان صوتا واحدا) السابق ny تحول ليكون (ń) (بالسنغال) ، وكذلك ذلك الدوغراف الغامض (ng) والذي يمثل في الإنجليزية صوتان هما «ng» كما في «tinger» و «n» » كما في «singer» تحول ليصبح «n» طبقا لما أشارت به اتفاقيات باماكو الهجاء بشأن ذلك الصوت .

وقد وضع مخطوط كتابة الـ Niko سلوماناكانتي Solomana Kante عام ١٩٤٩ وجعلها نظاما كتابيا للغات الماندبغيه بغرب إفريقيا ، وتعني كلمة «Niko» = I say أو « أتحدث » في جميع اللغات الماندبغيه . (انظر ملحق رقم ٤).

وقد قام كانتي بوضع تلك اللغة ردا علي ما رآه في المعتقدات القديمة والتي ترى الشعب الأفريقي « شعبا بلا حضارة أو ثقافة » وبالتالي بلا نظام كتابي إفريقي للغة. وقد تم استخدام اللغة الكتابية Niko أولا بكانكان ، وغينيا ، وانتشرت بعد ذلك إلى الدول الأخرى التي تتحدث الماندبغيه بغرب إفريقيا ومازال ذلك المخطوط يستخدم للدلالة علي اللغة البمبارية برغم الانتشار الأكبر للأبجدية اللاتينية .

وكذلك توجد بعض الصحف باللغة البمبارية[1] .

إن اللغة التي يتكلمونها هي لغة البمبرة وتكتب بطريق انكو Niko ، لغة بمبرة يتكلم

(1)Republique Du Mali N،ko،Mouvement Culturel pour le Developpement – Bamako du 2003 جولبي بالفولانية معناها الأمير

بها كثيرون وهم موزعون في بلاد كثيرة وهي تسعة دول وهي : مالي ، غينيا (كونكري) ، جامبيا ، غينيا (بيساو) ، بوركينا فاسو ، سيراليون ، ساحل العاج ، ليبيريا ، جنوب السنغال .

كما أن اللغة العامية في مالي هي لغة البمبرة بالإضافة إلى أنهم يتكلمون في مالي الفرنسية والعربية ولديهم أيضا ثلاث مدارس التدريس فيها باللغة العربية .

ثالثاً: مدينة سيجو (سيقو) Segou

ارتأت الباحثة أن تكون مدينة سيقو هي مجتمع الدراسة الميدانى ، حيث يتجمع بها أكبر عدد من البمبارا لذلك كانت هى موطن إقامة الباحثة أثناء الدراسة وبالتحديد فى قرية سيكورو.

يعد شعب سيجو من أقدم الشعوب في إفريقيا الغربية ، في الماضي كانت سيجو عاصمة مملكة بمبارا القديمة والتي تأسست عام ١٨٥٢م بفضل كالاديان كوليبالي ، تعد سيجو في الوقت الحاضر العاصمة الإسلامية بالإضافة إلى المنطقة الرابعة في مالي من الناحية الاقتصادية .

ولمدينة سيقو مكانة إسلامية كبيرة في دولة مالي وفي نظر أهل مالي خاصة أثناء كفاح مالي أمام الاستعمار الفرنسي ، ويكفي أن نعرف إنه بسقوط سيقو في يد الاحتلال الفرنسي سقط أكبر حصن إسلامي في غرب إفريقيا .

وإلى اليوم تعتبر سيقو مدينة إسلامية وفيها أكبر التجمعات الإسلامية ومراكز علمية وحركات تيجانية وفي الماضي كان الناس يرون في مدينة سيقو صورة مصغرة لمدينة رسول الله ﷺ يوم كان الجيش العمري مرابطا فيها بعد دحر الوثنية ورؤساء الكفر والشرك عام ١٨٩٠ م ، وإلى اليوم يلقب الزعيم الديني الإسلامي هناك بلقب أمير المؤمنين ، وهو من آل عمر القوني وآخر من لقب به هو الشيخ الموافي بن صنغي بن أحمد جولبي بن عمر تال المجاهد الكبير وقد توفي الموافي في سيقو يوم ٢٩/ ٤/ ١٩٩١م ونفي والده إلى تمبكتو ولم يتول الإمارة ، وبعد فترة سمحت له السلطات الفرنسية بالرجوع إلى قوتا حيث مسقط رأس أجداده واتخذ سيقو موطنا له وهو في طريق العودة إلى قوتا وسمح له بالبقاء في سيقو ولكن بشروط منها أن لا يعلن الجهاد ضد فرنسا .

أما أحمد الجولبي بن عمر تال فإنه خلف أباه على سيقو في حين كان الوالد يواصل زحفه إلى الشرق وبعد وفاة الحاج عمر عين ابنه أحمد أميرا على جميع الإمبراطوريات الإسلامية في بلاد السودان، واتخذ سيقو عاصمة لخلافته إلى عام ١٨٩٠م حيث لم يستطع الوقوف أمام الجيش الفرنسي الزاحف ذات المعدات المتطورة فلما كانت الهزيمة وشيكة فر أحمد تال إلى كانو في نيجيريا حيث أخواله هناك .

بالرغم من هذه المكانة الإسلامية لسيقو إلا أن اتخذتها الحركة البروتستانتية مكانا لعقد مؤتمرها الأول في جمهورية مالي وعلى غفلة من أهلها وهذا يوضح لنا مدى نشاط البعثات التبشيرية والحركات التنصيرية في مالي[١] .

تقع سيجو في وسط مالي، ويحدها من الجنوب سيكاسو، ومن الشرق جيني وتنمبكتو ، ومن الجنوب الشرقي بوركينا فاسو ، ومن الغرب كونيكورو . انظر خريطة (٣)

يبلغ عدد سكانها سنة ٢٠٠١م (١.٨٨٧.٠٠٠) نسمة ، ومساحتها ٦٤.٩٤٧ كم ، وهذه المساحة تمثل ٥ ٪ من المساحة الكلية لمالي ، وتنقسم المحافظة إلى ٧ دوائر وتضم ١١٨ بلدية ومحلية و٢١٦٦ قرية ويضم إقليم سيجو غابة كاربتيس وتمتد إلى مساحة أربعة آلاف وأربعمائة وأربعة (٤٤٠٤) قدم وتمثل المدينة المرتفعة ويقع إقليم سيجو على مسافة ٢٠٠ كم شمال شرق باماكو على الطريق الوعر حيث أن سيجو تمثل الاستراحة التي تتميز بالجو المعتدل وتمثل طريق المعبر أو الترنزيت الذي يؤدي إلى العديد من المواقع السياحية في البلد[٢] .

إن مدينة سيجو تكشف عن السحر والجمال الذي يستحق منه التوقف فيها من أجل التأمل

جغرافيا سيجو:

تقع سيجو فى الإقليم السوداني حيث أن في مالي ثلاث مناطق طبيعية مختلفة ومنطقة ثانوية شبه غابة صغيرة جدا .

---

(١)الشيخ شيرتو عمر تيام « الإسلام في الدولة العلمانية » مالي ، ط١ ، جمعية عباد الرحمن – باماكو ١٩٩٣ ص ص ـ٣٨ ، ٤٣.

(٢)المرجع السابق ، ص ٤٤.

المناطق هي :

- إقليم صحراوي - إقليم ساحلي

- إقليم سوداني - إقليم شبه غابة

سيجو من الإقليم السوداني وهي تحتل جنوب البلاد تماما ويمثل منطقة انتقالية ما بين السافانا الفقيرة ذات الحشائش القصيرة والسافانا الغنية ذات الحشائش الطويلة ، حيث تزداد غطاءاتها النباتية كثافة كلما اتجهنا نحو الجنوب كما أن مطرها السنوي يزداد غزارة بالتدريج نحو الجنوب ، متوسط مطرها سنويا يتراوح ما بين ٦٠٠ إلى ١٥٠٠ ملمم . يمتاز الإقليم السوداني بأنه منطقة زراعية من الدرجة الأولي لخصوبة أراضيها ووفرة مياهها وكثرة مستنقعاتها وشبكة مجاريها مما أعطتها خصائص جاذبة للسكان

ويمكن تقسيم هذا الإقليم من البلاد إلى جزئين :

أ- القسم الشمالي . ب- القسم الجنوبي

إن ما يهمنا الحديث عنه القسم الشمالي ، وهو يضم (كاي ، سيقو « سيجو » ، سان) وتتميز هذه المنطقة بغطاءات بنائية متوسطة في الكثافة ، وأشجارها أقل تباعدا من المنطقة الساحلية ، وأهم أشجارها (باوبات - بلانزاكيارنيا) وأهم سكانها (ساسونكي - فلاه أو تكلور - بامانا - يويو - يوزو) .

يتراوح المطر في الإقليم السوداني ما بين ٦٠٠ - ١٥٠٠ سنويا ، حيث يبدأ التساقط في شهر يونيو وينتهي في شهر أكتوبر وتعتبر أكثر مناطق مالي غزارة وتمتاز بالأمطار الشديدة والرياح القوية والعواصف الرعدية والرطوبة العالية حيث يظل جو المنطقة مشبعا بالمياه حتى بعد انقطاع الأمطار بمدة قليلة .

الحياة الاقتصادية والسياسية :

يعتبر البمبارا مجتمع زراعي ، المحصول الرئيسي لديهم الدخن) الذرة الرفيعة ، ويزرعون الأرز والتبغ والذرة والقطن والعديد من الخضراوات ، وتوجد لديهم مزارع خاصة ولديهم أبقار وخيول وماعز وأغنام . وتهتم البمبارا بالزراعة في موسم قصير وهو موسم المطر ، ويقوم بعضهم باصطياد الحيوانات مثل النعام والخنزير والظبي .

الزراعة من عمل الرجال والنساء علي السواء . وكذلك الأطفال من سن ١٢ – ١٤ سنة يعملون على مساعدة الأسرة في العمل [١].

المناخ والنشاط الاقتصادى لسيكورو :

لا بد لنا أن نؤكد على أن جميع الأهالي في بمبارا يقومون بالزراعة وأن هذه القبائل قبائل زراعية في المقام الأول ويعتمدون على الزراعة كمصدر أساسي للحياة الاقتصادية .

هذا ويبدأ الرجال يومهم في الصباح الباكر بالذهاب إلى الحقل ، وهذا في موسم الزراعة الذي يستمر ٤ شهور في السنة فقط « يبدأ التساقط في شهر يونيو وينتهي في شهر أكتوبر ، وهذه المنطقة من أكثر مناطق مالي غزارة وتمتاز بالأمطار الشديدة والرياح القوية والعواصف الرعدية والرطوبة العالية حيث تظل المنطقة مشبعة بالمياه حتى بعد انقطاع الأمطار فترة طويلة.

فنجد جميع أفراد الأسرة من الرجال والنساء والأطفال في الحقول للزراعة ، يذهب رب الأسرة ومعه الأولاد في سن العمل من سن ٦: ٨ ، سنوات حيث يبدأ الأطفال في هذه السن الخروج مع الأب لمساعدته ويتعلم بعض الأعمال التي يتقنها الأب .

يقوم الرجال بالزراعة أما الأولاد فأنهم يقومون برعي الأغنام تحت أشراف أحد الشباب ورعايته ، أما رعي الأبقار فهم يقومون باستئجار رجل من الفولاني لرعي الأبقار لأنهم لا يرعون الأبقار بأنفسهم .

وفي وقت الظهيرة يأتي الطعام من المنزل ترسله الزوجة أو تأتي به بنفسها، وفي أغلب الأحيان تكون الزوجة مع الزوج في الحقل للزراعة وترسل الجدة أو الابنة الطعام لهما من المنزل ، وبعد تناول الطعام يأخذون راحة ويستأنفون العمل مرة أخرى إلى وقت الغروب وهو وقت العودة إلى المنزل ويتناولون العشاء .

وفي المساء يجلس الرجال في ساحة مخصصة لذلك وتكون في وسط المنازل حيث يجتمع فيها الرجال للحديث والأطفال للعب وينتهي اليوم على ذلك ، وهكذا باقي الأيام طوال فترة الزراعة (٤ شهور) فكل العمل وكل الجهد وكل الحديث

(١)مرجع سابق en.wikipedia .

والتفكير في الزراعة فقط وهي زراعة الحبوب منها الدخن = ساينو Sanye بلغة البمبارا والشعير = Nyo وحبوب الأرز والفول السوداني ، كل الزراعة مواد غذائية يتم جمعها وقت الحصاد ويتم تخزين المحصول بما يكفي احتياجات الأسرة لمدة عام .وتعتبر مهام الزراعة من المهام الرئيسية التى تقوم بها المرأة وإن كان الرجل يشترك معها فى بعض هذه المهام .

بعد انتهاء الشهور الأربعة تبدأ المرأة في زراعة الحديقة ، لكل فرد حديقة تبعد قليلا عن المنزل، كما تقوم بزراعة المحاصيل الخاصة باحتياجات المنزل. كما أن مسئولية الرجل هي زراعة المحصول الأساسي وهو الحبوب أما باقي الوجبة الغذائية واحتياجاتها من طماطم و فلفل و بصل و أي شيء آخر فهو مسئولية الزوجة وعلى نفقتها أيضا.

هكذا نجد الأسرة في البمبارا كلها تعمل بعضها مع بعض ، وتخرج المرأة مع زوجها للزراعة ، وإذا مرض أو عجز عن العمل نجد أن جميع أفراد الأسرة تعمل معها في الزراعة. ومن الملاحظ أن مرض الزوج أو وفاة الزوج ليست مشكلة مثل مرض الزوجة أو وفاتها فإن هذا يمثل مشكلة كبيرة للأسرة في حالة عدم مقدرة الزوجة عن العمل سواء بالمرض أو الوفاة .

ولا توجد ملكية فردية عند البمبارا أي أن الأرض الزراعية والماشية والأغنام فهي ملك للأسرة كلها ملك للرجال وليس النساء ، والمرأة لا تملك ، وإن كانت ترث زوجها في حالة الوفاة ويمكن لها أن تزرع الأرض وتنتفع بها ولكنها لا تملكها وليس لها حرية التصرف فيها بالبيع . من الممكن أن تتنازل عنها هبة لأحد ابنائها الذكور .

إذن الزراعة هي الأساس وفي المقام الأول ولكن بالإضافة إلى الزراعة توجد أعمال أخرى مثل صيد الحيوانات حيث يمارس الرجال الصيد في الأوقات التي لا يوجد بها زراعة في فصول الجفاف ، أما في موسم الزراعة يتم الزراعة أولا وبعدها الصيد إذا رغب في ذلك . يخرج الرجال إلى الغابات للصيد ويرجعون بما اصطادوه طعاما للأسرة كلها .

- ومن المراكز الصناعية والبمبارية في سيقو مركز كومانكس للمنسوجات التابع لشركة مالي للمنسوجات

- كما توجد أيضا الصناعات الغذائية ممثلة في شركات تكرير السكر (دوجا يوجو وسيري بالا) ويوجد أربع شركات للأرز هي كولوجر تومر و مولودو و دوجولبري و وبيوجو .

الصناعات التقليدية :

تشتهر مدينة سيجو بالأعمال اليدوية ، منها الغزل على النول والرسم على القماش وعمل الماسكات وعمل التماثيل ونحت الخشب والمصنوعات الجلدية ، وهذه الأعمال تتم في صور فنية جميلة تصور الحياة الاجتماعية وهذه الأعمال يشتغل بها الكبار والصغار والشباب فهي مورد رزق وتشغيل أيدي عاملة وتعتبر سوقا رائجاً يخدم السائح .

الحياة الاجتماعية :

التنظيم الأسرى :

تتكون الوحدة الاجتماعية عند البمبارا فى الأساس من العائلة الممتدة .

وهى عبارة عن نوع من مجموعات متقاربة من ناحية الأب وتسمى بلون – داه ويقصد بها كل العشائر المنحدرة من نفس الجد . ويتمتع أعضاء بولون – داه بنفس الحقوق بالرغم من أنهم ينقسمون إلى بيوت متناثرة ، ويمثل كل بيت أسرة مصغرة . وكثيرا ما تنقسم المنازل بواسطة جدران تعطى شكل رابط أساسي للخلية .

يتزعم بولون – داه أب العائلة ، والذى يعد أكبر إخوته من نفس الجيل ، اما غورو فيتزعمها رب البيت المختص .

يخضع جميع أبناء بولون – داه لأب العائلة الروحى الذى يتولى المسئولية الأخلاقية والمادية لجميع أعضاء العائلة . ويتكون مجلس العائلة من جميع غواتيغى للمجتمعات العائلية . ويتم توسيعه أحيانا حسب الظروف إلى حضور جميع كولوسى – تيغى أى من يلبسون النطلون .

يتولى غوانتيغى مسئولية أعضاء عائلته ، والتى تتقلص غالباً إلى رب البيت ، وزوجاته

وأولاده . ويمكن أن تنضم إليه والدة رب البيت ، وخاصة إذا كان يتيماً وأن إخوته رجالا ونساءً من نفس الأم غير متزوجين .

الهدف الأساسي من هذا العمل المشترك هو من اجل زراعة الأرض . ويتم تنفيذ هذا العمل تحت رعاية رئيس جمعية العائلة ، أى أن أب العائلة هو الذى يدير تراث العائلة[1] .

ولذا هو المسيطر على أموال المجتمع : الراضى ، الحيوانات ، مهر النساء ، الوراثة ، وكل ما يتم حصاده من العمل الجماعى المشترك من قبل أعضاء العائلة . لكن فى المقابل ، يجب علية ضمان حياة هؤلاء من خلال : الغذاء ، الملابس ، إخراج المهر للرجال الذين يتزوجون ، الضرائب .... إلخ .

الشخصية الثانية فى دائرة بولون – داه هى الزوجة الأولى للأب . ويتلخص دورها فى إدارة الشئون الداخلية للمجتمع العائلى . وهى المسئولة عن الحيوانات المنزلية . وتتولى إدارة المحاصيل القابلة للبيع ، الألبان والدواجن ، ومن ثم تقدم المبالغ المالية لأب العائلة . وتقوم بتوزيع العمل بين بقية زوجات الأب وتراقبها . وتقوم بدور الحكم بينهن مستخدمة فى ذلك سلطاتها بكل اخلاص بينهن وبأدلة مؤكدة . وترعى الأطفال الصغار فى الوقت الذى تكون أمهاتهم مشغولة[2] .

مجتمع البمبارا مجتمع أبوي .. مثل الـ Dogon ، الفولاني ، وبعض المجموعات الأخرى من المنطقة

والتي تحدد العلاقة مع الأب أو مع الأخ كما يكتسب الطفل اسم عشيرته الأبوية .

وتحتوى كل قرية في المتوسط نحو ستمائة من الأفراد ، ولها رئيسها ، وتعد العائلة الممتدة أساس نظام النسب عند البامبارا فى مالى .

وتتحدد الأدوار داخل كل قرية من سن السادسة. ولكل عائلة مساحة من الأرض ، توفر لهم فرص العمل فيها وتوفر لهم الغذاء ، من الدخن ، الأرز ، الذرة البيضاء ، الفول

(١)ميدانى .

(2)Groupe ethnique au MALI . Ipid . P102

السوداني والبطيخ وغيرها من المحاصيل ، ويعمل كل أفراد العائلة معا طوال الأسبوع باستثناء يوم الاثنين اليوم الرئيسى لسوق القرية .

يشيدون بالترابط الاجتماعي الأسري حيث أن عميد الأسرة أي الأكبر سنا يجمع الأبناء والأحفاد في منزل واحد لذا فمن الممكن أن يصل عدد أفراد أسرة واحدة يمكثون في منزل واحد إلى خمسين فردا ، لأن الأبناء يتزوجون ويمكثون في نفس منزل الأسرة والزوجة والأبناء والبنات من ممتلكات الرجل .

الزواج :

الزواج في الغالب من الأقارب أنساب أو أقارب دم ويتجه الشاب أولا إلى أقارب الأب وإذا لم يجد العروس يتجه إلى أقارب الأم ، والشاب لم يقدم علي الزواج من زوجة لمجرد الرغبة فيها حبا أو غرائزيا بل سيفعل ذلك من أجل تنفيذ مهمة محددة قد فرضتها عليه التقاليد ، وقد تختلف العادات من مجموعة إلى أخرى تقليديا ، كأن يتم الزواج في الغالب لإرضاء وإسعاد الآلهة والعشيرة ، ومن المتعارف عليه تقليديا أن الزوج يبتعد عن زوجته أثناء الرضاعة [١] .

سن الزواج في الفتيات من ١٣ — ١٤ سنة في قرى بمبارا وارتفع في باماكوا عاصمة مالي إلى ١٨ سنة أما سن الفتيان فهو من ١٨ سنة .

المرأة برغم دورها الكبير في مساعدة الرجل في الزراعة وتربية الأبناء حيث يقع علي عاتق الأم مسئولية تنشئة الأطفال وغرس معتقدات وعادات وتقاليد الأسرة بالإضافة إلى أعباء المنزل إلا أن الرجل ينظر إليها على أنها من العبيد (قيل هذا باللفظ) وتعامل معاملة قاسية وجافة ، فإذا خرجت الفتاة من منزل عائلتها للزواج لاترجع إلى هذا المنزل إلا للزيارة فقط .ذكرت الباحثة فيما سبق تعدد الزوجات وقد عدد الأبناء لرجل واحد إلى ٢٥ طفل من أكثر من زوجة بالطبع .

وكما وضحت سابقا فإنه لا يتم الزواج عن حب أو اختيار سواء من جانب الفتى أو

(1)Hampate Ba . (1972) ،aspects African civilization (person،culture ،religion) ،paries translatd by Susan B.Hunt، Chapter 4 . (http://pender.ee.upenn.edu/rabii/toes/BaAspects CH4html)

الفتاة ، إنما يتم بناء على اختيار ورغبة الأب أو كبير عائلة الفتى المرشح للزواج ، كما أن العروسة هنا لا تعرف من ستتزوج إلا يوم الزواج ، ولا يؤخذ رأيها أو رأي والدتها والعريس أيضا أول زوجة له هي من اختيار الأب أما الزوجة الثانية فمن اختياره أو اختيار الأم .

وتعد القرابة هى المحدد الرئيسى لاختيار الزوجة فالزواج المفضل يكون من بين الأقارب ، علاوة على أن هناك محددات أخرى للاختيار تتمثل فى صحة العروس وسنها فكلما كانت العروس صغيرة السن ، صحيحة البدن ويكون تاريخ عائلتها يشهد بذلك ، ويكون أقاربها من النساء اللائي سبق لهن الزواج لديه من أبناء كثيرة.

يتقدم الفتى للفتاة مع كبير عائلته سواء الأب أو الجد أو العم ، الأكبر سنا هو الذي يذهب مع الشاب وبالمثل بالنسبة للفتاة الذي يتولى أمر الحديث والاتفاق مع أهل العريس الأكبر سنا في عائلة العروس الجد الأب ، العم ، ليس بالضرورة الأب.

بعد الموافقة يقدم الشبكة (هدية الزواج) يطلق عليها Minakolo sonko بلغة البمبارا ويقدم المهر المتفق عليه وبعض الثياب والنعال . المهر يقدم للرجال من أهل العروسة أما الشبكة فهي تقدم للعروس والثياب والنعال تقدمه نساء أهل العريس لنساء أهل العروس . ويتم هذا في بيت الزوجة (العروسة) ويتفق علي ميعاد عقد القران [(١)].

يتم عقد القران بطريقتين الطريقة الإسلامية والطريقة التقليدية ، ويجب أن تتم الطريقتان بحيث تلو الواحدة الأخرى، ومن الممكن إتمامهما في يوم واحد أو تفصل بينهم بعض أيام أو شهر أو شهور . وفى حالة إتمام الطريقتين في يوم واحد يتم الاحتفال من أول النهار إلى آخره ، بأن يكون أول اليوم إسلاميا والنصف الثاني من اليوم تقليديا ، ولابد من الاتفاق على ميعاد الزواج بالطريقتين وتحديد الأيام عند الاتفاق على الزواج من البداية .

* أما الطريقة الإسلامية ففيها يستدعي الإمام وهو يقوم مقام المأذون ، ويقوم بعقد القران بالطريقة الإسلامية المعروفة ، ويتم دفع المهر من العريس إلى والد العروس أو

(١)ميداني .

ما ينوب عنها فهو عقد إسلامي شرعي ويأخذ العريس العزوس إلى منزل الزوجية .

* و أما الاحتفال بالعادات والتقاليد ويطلق علية السونكو Sonko ، وهو عبارة عن احتفال سامي يأتي في المرتبة الأولى حيث تأتي النساء إلى منزل أهل العروس بحضور العروس ويجتمعون ويجلسون في شبه دائرة وتجلس الجدة في وسط الدائرة علي مقعد يقال له Kouroun كورون وتجلس العروس على مقعد آخر ويضعون أرجلهم في الماء Sinko وفي أثناء ذلك يتم وعظ العروسة وإعطاء النصائح لها مع الغناء ثم يقومون بتوصيل العروس إلى منزل زوجها مرة أخرى.

وتختلف ملابس العروس وفقاً للمناسبات المختلفة الحفلة التقليدية يكون غطاء للرأس أسود وغطاء النصف الأسفل من الجسم أبيض وتستمر بهذا الزي أسبوع تقابل به المهنئين بالزواج وحتى عند جلوسها مع عريسها في المنزل فتجلس بهذا الزي ، ولا يجوز للعروس الخروج من منزل زوجها إلا بعد أسبوع وإن خرجت تخرج بهذا الزي أيضا ، أما العريس يلبس رداءً أبيض مكون من قميص طويل وسروال ويستمر في ارتدائه أسبوعاً[1]

(وسيرد ذكر ذلك بالتفصيل حفل زفاف مدعماً بالصور)

من العادات والتقاليد أنه عند ميلاد الطفل يوضع في ماء حمام الطفل أول مرة زيت (شي تولو) بلغة البمبارا وهو زيت يؤخذ من شجرة معينة هذا الزيت له فوائد في اعتقادهم للصحة والجلد وخاصة للمولود .كما يستخدم هذا الزيت في علاج أمراض جلدية للكبار.صورة (٧)

وتلعب العلاقة بين أعضاء المجتمع دوراً هاماً في عملية التنشئة الاجتماعية حيث تعد سمة احترام الكبير من السمات الثقافية الذى يوليها مجتمع البمبارا اهتماما خاصاً بها حتى إذا مات أحد كبار المجتمع تمشي الأسرة على خطاه .

وتتمثل علامات احترام الكبير فى مراسم تناول الطعام حيث يتم عمل ثلاثة أماكن للطعام : الأولى للرجال والشباب والثانية للأطفال من الجنسين والثالثة للسيدات

(١)الدراسة الميدانية في مجتمع البحث في ٢٨ / ٦/ ٢٠٠٩.

والآنسات ، في حضور الكبير لابد من الإمساك بمائدة الطعام بإبهام وسبابة اليد اليسرى وتناول الطعام باليد اليمنى ، ويظل ممسك المائدة بهذه الطريقة ولا يفلتها إلا بعد الانتهاء من تناول الطعام وانصراف الكبير.

وتنقسم البامانا إلى طبقات على أساس المهنة ، ويحظر الزواج من خارج المجموعة ، وتعد طبقتا المزارعين والحرفيين من أهم الطبقات الاجتماعية عندهم .

وتنحدر أكبر مجموعة بين هؤلاء البامانا(وهم الحدادون) من إمبراطورية Manding وتنفصل تلك المجموعة عن ذلك الأساس الزراعي للمجتمع . وهؤلاء الحدادون هم من أهم خبراء التكنولوجيا في ثقافة البامانا حيث إنهم منذ عصور قديمة يكونون طبقة مستقلة ومنفصلة يطلق عليهم اسم nyamakalaw وهم المتعاملون مع الطاقة ، وتضم تلك المجموعة أيضا الأعمال الجلدية ، النساجين والشعراء وكذلك الحدادين . ويعتبر زواج الحدادين زواجا داخليا من داخل طبقة الحدادين ويحظر عليهم الزواج من الجماعات الأخرى وذلك لاتهامهم بأعمال السحر .

وعلى الرغم من أن طبقة الحدادين ينظر إليهم باحترام كبير في ذلك المجتمع فأننا مع ذلك نجد أن باقي أعضاء المجتمع يتجنبهم بشكل كبير وذلك بسبب القوى السحرية لهم ، ويقوم الرجال بالعمل على نحت الأخشاب والحديد للمزارعين ، بينما تعمل نساؤهم بأعمال الخزف ، بينما يظل الفتي الصغير جالسا أمام والده يراقبه ويشاهد ما يفعل خطوة بخطوة لكي يتعلم منه كل ما يخص تلك المهنة ويبدأ في عمل بعض الأعمال البسيطة حيث إنه يبدأ في العمل مع والده عندما يصل إلى سن السابعة أو الثمانية أعوام، حيث يقوم بأعمال حدادة بسيطة ، ثم نحت الأخشاب ونقش الجديد .

و يطلق علي هؤلاء الحدادين اسم numuw (Nuni في العصور القديمة) حيث أن Nyama هي قوة خارقة ينظرون إليها على أنها تستخدم القوة والطاقة لكي تدير الكون وتسيطر عليه كما أن هؤلاء الحدادين يعتقدون أنهم يرثون تلك القوى الخارقة عن أسلافهم ، وأنه عليهم أن يتعلموا كيفية استخدام تلك القوى والتعامل معها بشكل سليم والـ Nyama هذه ليست بالشيء الجيد أو الشيء السيئ الشرير ، حيث أن ذلك الاتجاه الذي تأخذه سواء كان خيراً أو شراً تعتمد على ذلك الشخص الذي يتعامل معها

ويكون عمل الحدادين في المقام الأول أعمال الحدادة للقرويين ، وهي الأدوات اللازمة للزراعة من السكاكين والزخارف وزينة الخيول ، والبنادق ، حيث إنه منذ إدخال الأسلحة النارية في القرن السادس عشر عن طريق المغرب فإن هؤلاء الحدادين أصبحوا ماهرين في صنع وإصلاح الأسلحة[١].

مما سبق يتضح لنا أن الأسرة هي أهم جانب في حياة الشخص من البمبارا والعلاقات الأسرية هي المركزية في الحياة الاجتماعية والثقافية ، كما تعتبر النساء والأطفال والإناث من الممتلكات وللرجل حق ممارسة تعدد الزوجات وهي زيجات للمساعدة في تعزيز العلاقات بين القرى فالزواج مهم جدا عندهم ورغم أن الزواج أمر مكلف ، لكنهم يعتبرونه نوعا من الاستثمار ، والغرض الرئيسي هو الإنجاب والغرض من إنجاب الأطفال توفير العمالة للأسرة ويضمن مستقبل الأسرة في النسب . معظم النساء ينجبن في المتوسط ثمانية أطفال[٢] .

المسكن :

تبنى المساكن على مساحة كبيرة من الأرض وهي مساكن واسعة وتبنى على الأرض مباشرةً بارتفاع مناسب وكل مسكن وحدة خاصة بالأسرة التي تسكن فيه وأغلب المساكن تبنى بالطوب اللبن أما الآن فمع التقدم أصبحوا يستخدمون الطوب الأسمنتي كما هو موضح في الصور ، ملحق الصور والخرائط صور رقم ٨،٩ .

يتكون المنزل من الداخل من عدد من الغرف متجاورة كل غرفة يسكنها ابن من الأبناء الذكور وزوجته وتوجد غرفة لكبير العائلة ومؤسسها وبجانبها غرف زوجاته مع أطفالها . يقسم المنزل إلى غرف متجاورة ، وفي آخر المنزل جزء منه غرفة تستخدم لإعداد الطعام وطحن الحبوب ، وفي وسط المنزل يترك الماعز والأغنام ، أما الماشية لها مكان مخصص بجوار المنزل ، أن وسط المنزل بدون سقف ، أما الغرف فسقفها في باماكو مصنوع من الصفيح ومقسم إلى مجرات لجمع مياه الأمطار أما في سيجو فهو على هيئة مثلث هرمي مصنوع من جريد النخل .

(1)htt:// www. Princontonol . com / groups / The Bamana of Mali 21-8-2008
(2)http : // www.bethany.com profiles / home 12-3-2008

بجوار كل منزل مخزن للحبوب على شكل اسطوانة كبيرة سقفها على شكل هرمى وبه باب صغير في وسط الأسطوانة شكل (١٠) يحتفظون فيه بمحصول العام . يقوم رب الأسرة ببيع جزء من المحصول ويحتفظ بالباقي لإطعام العائلة لمدة عام كامل .

قريب من كل منزل حقل خاص بالزوجة الأولى ثم تأتى الزوجة الثانية لمساعدتها هذا الحقل خاص بالزوجات يقمن فيه بالزراعة لإكمال وجبة الطعام . تزرع فيه السيدة ما تطلبه الأسرة لوجبة الطعام من خضار وخس وطماطم ، كل ما تحتاجه الزوجة تقوم بزراعته يساعدها فى هذا الحقل الأبناء من الذكور والإناث ، وفي وسط الحقل بئر من المياه ليقمن بري الزرع وهذا البئر يفتح وقت سقوط الأمطار لتجميع مياه الأمطار به . بعض الصور التى توضح حقول الزراعة الخاصة بالسيدات .انظر الملحق صور ١٠،١١،١٢،١٣ .

البولو: صورة (١٤) في كل قرية يوجد مكان مخصص لكل أهالي القرية يجتمع فيه الكبار لحل المشاكل أو الاتفاق على الزواج ، وهو مكان مغلق مثل المنزل ولكن مساحته أصغر من مساحة المنزل المتعارف عليها ، وهو مكان مفتوح في كل الأوقات لا تغلق الأبواب إلا عند الاجتماع ، ويكون الاجتماع قاصراً على الرجال وخاصة كبار السن.

الجالا : صورة (١٥) يترك في كل قرية مكان واسع كبير يتم اختياره على أساس وجود أقدم شجرة في القرية وتكون شجرة كبيرة تظلل المكان ويصنع تحت هذه الشجرة مايشبه المسطبة من جذوع الأشجار ومرتفع عن الأرض قليلا ويستخدم للجلوس علية ويستخدم أهل القرية هذا المكان (الجالا) في جلسات السمر للرجال والشباب في المساء ، أما الأطفال يلعبون في ارض فضاء بجوار الجالا ، في الجالا يتسامر الرجال فقط ويتبادلون أخبار القرية فقط أما المشاكل والمنازعات والاتفاقات تكون في البولو .

تقسيم البمبارا إلى فئات عمرية : Ton

يوجد بمجتمع البمبارا نظام التقسيم العمري فئات مختلفة وهو ما يعرف ب (Ton) ويسود هذا النظام من التقسيم لدي غالبية مجتمعات الماندي ، إلا أنه يوجد بقوة في

تاريخ البامانا حيث تقسم الجماعات طريق الجنس (ذكر وأنثى) وفقا لشعائر التكريس أو طقوس المرور أو حسب العمر حيث يتم التقسيم تبعا للفئات العمرية وخاصة في مرحلة الشباب قبل أن يتزوج الشاب أو حسب المهنة مثل الزراعة أو الصيد[(١)].

ينقسم المجتمع البمبارى إلى ثلاث طبقات رئيسية :

١- طيقة تون تيغى أى السياد فى المقدمة ، ويقصد بها النبلاء ، المنتمين للأسر الحاكمة وكل المنحدرين من أصول نبيلة .

٢- طبقة نياماكالا (الحرفيين) وتتشكل من نومو (الحدادين) ، لوهرو (حرفى الجلود) ، كولى (حرفى الأخشاب) ، غارنكى (صناع السرج) وديلى (الشعراء التقليديين) وأخيرا فيناه (الدينيين)

٣- وتتكون المرتبة الثالثة من ديون (العبيد) الذين يتفاوتون فى الدرجات أيضا بين من ولدوا فى أسرة السيد ولهم وضع خاص وأوائل العبيد من تجارة الرقيق [(٢)].

التعليـــم :

يعد التعليم عند البامانا تعليماً إلزامياً علي كل طفل أقل سناً من ١٥ سنة عليه الذهاب إلى المدرسة ، إلا أن أطفال المناطق الريفية إذا كانوا قادرين على الذهاب إلى المدرسة فأنهم في الغالب لا يستمرون في المدرسة طويلا نظرا لمطالب العمل في الزراعة ومساعدة الأهل لذا فإننا نجد أن سكان القرى أميون تماما.

ويعد سن سبع سنوات سن التحاق الطفل بالمدرسة الابتدائية ، وقبل هذا السن يمكث بالمنزل ويتعلم بالمحاكاة من الأم والكبار . فتتعلم الفتاة الأعمال الخاصة بالمنزل ، كما يتعلم الذكر جميع المهام الخاصة بالزراعة والصيد .

أما عن تعليم الإناث فليست له أهمية كبرى في مالي وباماكو العاصمة ، أما في بمبارا فليست له أهمية إطلاقا فلا يولي البمبارا اهتماماً لتعليم الإناث ، فالمرأة أولا وأخيراً للزواج إنجاب الأطفال ومساعدة الزوج في الزراعة ، أما في حالة نيل البنت قسطا من

---

(1) en.wikibedia مرجع سابق

(2)Groupe ethnique au MALI . Ipid. P 101

التعليم كما في باماكو العاصمة فإنها تتعلم إلى سن ١٥ سنة فقط وتنتظر الزواج إذا لم تكن تزوجت بالفعل .

كما تلتزم الأسرة بإرسال الطفل بعد التحاقه بالمدرسة الابتدائية في باماكو العاصمة إلى (سيكو) وهي محافظة في بمبارا لكي يتعلم لغة البمبارا حيث أهميتها لكل سكان مالي بالإضافة إلى أن سيكو من أكثر المحافظات (المدن) تتمسك بالعادات والتقاليد والديانات التقليدية بجانب الإسلام .

الديانة والمعتقدات الدينية :

الثقافة والتقاليد هي من أهم الأشياء ولا يوجد أهم منها عند البمبارا بالرغم من غلبة الديانة الإسلامية عليهم إلا أنه مازالت لديهم المعتقدات التقليدية ، فمازال لديهم عبادة الأسلاف مثلهم مثل القبائل الإفريقية فإن دخول الديانات السماوية الإسلامية أو المسيحية لا يلغي المعتقدات التقليدية الخاصة بالقارة الإفريقية عامة وقبائل البمبارا خاصة فهي من القبائل شديدة الحرص على التقاليد والعادات والثقافات القديمة والتمسك بها وبالمعتقدات التقليدية لديهم بالإضافة إلى عبادة الأسلاف لديهم السحر وكثير من الممارسات من المعتقدات التقليدية ولا يلغى الإسلام وحضورهم في المدارس القرآنية الدين التقليدي .

وسوف نسرد بالتفصيل في الجزء الخاص بالديانات التقليدية عند البمبارا وبعض المعتقدات الخاصة بهم قبل الإسلام وبعده .





الفصل الثالث

المعتقدات الدينية عند البمبارا

تمهيد :

كلمة دين Religion مشتقة من الكلمة اللاتينية Religere وهي تشير إلى الإيمان بوجود قوة عليا مسيطرة والدين بهذا المعني شيء لازم وضروري في حياة الإنسان ولا يستطيع أن يعيش بدونه فهو فطرة فطر عليها الإنسان[1] وهو(أي الدين) ظاهرة اجتماعية يقوم بدوره كنظام اجتماعي ينظم علاقة الإنسان بكائن أو كائنات أخرى أو قوى ميتافيزيقية ويحتوي الدين على نسق سلوكي وقانوني وأخلاقي ويحدد العلاقة بين الأفراد والجماعات وله وظائف كثيرة .

هذا وقد اعتبر دوركايم أن الدين يخلق الحياة الاجتماعية ، لأن المجتمع في رأيه ما هو إلا الأفراد المتفاهمون فيما بينهم على فكر معين ، سواء أكان ذلك عن المقدس sacred أو غير المقدس وعلى طريق ممارسة الطقوس والشعائر المناسبة لكل منهما باتباع نظام رتيب مستقر يقبله جميع أعضاء الجماعة .

ويمثل الدين أحد المستويات العليا في الثقافة ، والواقع أن طبيعته الرمزية في مستوى أسمي بكثير من المستوى التكنولوجي أو المستوى الاجتماعي ، وكل المعتقدات الدينية سواء البسيطة أو المركبة تمثل خاصية واحدة عامة ومشتركة ، ومع ذلك تتأثر المعتقدات الدينية بالبنية الاجتماعية ، وليس من السهل تعيين حدود دقيقة للدين أو المعتقدات كحقيقة بصفة عامة ، ولذا فمن الأفضل التركيز على المواقف والسلوك الذي يدفع إليه المعتقد ويعطيه خاصية مقدسة[2] .

وللدين في كل مجتمع إنساني ، وظائف اجتماعية رئيسية تهدف إلى حفظ تماسك وترابط أفراد المجتمع بالإضافة إلى الوظائف النفسية مثل الشعور بالراحة النفسية والقوة للاعتقاد في أن قوة خفية عظيمة تساعد الإنسان في حياته وبعد مماته ، لذلك لا يعيش مجتمع إنساني بدون دين ، ونلاحظ أن الأديان السماوية الإسلام والمسيحية

---

(1)Durkhaim،E.(1966) the division of labour in society، translated by G.Simpson،the free press New Yourk،London ،p.56.

(٢)عيد محمد السيد عيد ، أثر المعتقدات الدينية وممارساتها في الحياة الاجتماعية لدى النيليين ، رسالة ماجستير ٢٠٠٤ ص ٦٢

واليهودية قد هبطت في مجتمعات متمدينة أما المجتمعات الأولى شبه البدائية فقد فرضت عليها عزلتها الاجتماعية والسكانية عدم التعرف على الأديان السماوية الكبرى إلا منذ عهد قريب ، لذلك ظل معظمها متمسكا بمجموعة من العقائد والطقوس المتوارثة من أجيال قديمة ، وقد اهتمت المجتمعات المتمدينة بواجبها الديني نحو المجتمعات البدائية فعملت على شرح الأديان السماوية في تلك المجتمعات مما أدى إلى اعتناق الكثير منها الإسلام والمسيحية[(١)] .

وقد فشلت الحملات التبشيرية التي أرسلتها الدول الغربية في المجتمعات البدائية في تعميق المفاهيم الدينية في عقول البدائيين ، لذلك عندما خرج الاستعمار الأوروبي من إفريقيا ارتدت الكثير من هذه المجتمعات إلى دياناتها التقليدية وتركت المسيحية .

أما الإسلام فأنه يقوم بنشر الدعوة بدون حملات تبشيرية مقصودة أو منظمة ، ويقوم بتلك المهمة مشايخ الدين الإسلامي في المجتمعات البدائية في إفريقيا وإندونيسيا بطريقة الإقناع وهؤلاء المشايخ يتلقون التقاليد الدينية في الأزهر ، يقوم هؤلاء المشايخ بشرح تعاليم الإسلام لأفراد ينتمون إلى المجتمعات البدائية ويقوم هؤلاء الأفراد بنشرها في قبائلهم ، وقد انتشر الدين الإسلامي بسرعة كبيرة في مناطق شاسعة في العشرين سنة الأخيرة . ويرجع ذلك لأسباب متعددة منها خروج الاستعمار الأوربي والجمعيات التبشيرية من معظم مناطق أفريقيا، ومنها انتشار وسائل المواصلات التي تربط المجتمع الإسلامي العظيم في شمال أفريقيا بالمجتمعات البدائية في وسط وجنوب أفريقيا[(٢)] .

وتنتشر في إفريقيا كثير من العقائد التقليدية ، كما تنتشر بها مجموعة من العقائد الوافدة مثل الإسلام والمسيحية ، ومن العقائد البدائية تقديس ظواهر الطبيعة وأرواح الأجداد أو تقديس أرواح وهمية غامضة وكذلك تقديس الأبطال والرؤساء.

ولا يمكن الحديث عن الديانة التقليدية على أنها موضوع واحد أو دين واحد ، لأن ذلك سوف يقودنا إلى أخطار جسيمة ، لأنة لا يوجد شخص واحد يستطيع تمثيل جميع ميزات دينه ليصبح نموذجا مثاليا في كل الأماكن في أفريقيا ، فهناك من يسكنون بجانب

(١)فاروق العادلي وعاطف أمين وصفي،مبادئ الأنتروبولوجيا ومدخل اجتماعي ثقافي سنة ٢٠٠٣ ص ١٨٨.
(٢)المرجع السابق ص ١٩٨.

البحر وهناك من يعيشون بالغابة وهناك من يسكنون بالصحراء والسافانا وبالتالي تختلف السلوكيات والأخلاق وكذلك العلاقات الدينية المتوارثة طبقا للأماكن[١] .

ويري البعض أن الديانة التقليدية يجب الكلام عنها بصيغة الماضي ، حيث يعتقدون أنها قد انتهت تلاشا إلا أنها لا تزال تمارس بواسطة أفراد موجودين إلى الآن بالتبعية لآبائهم وأجدادهم وتمثل لهم رابطة بين الماضي والحاضر وبين الحاضر والأبدي .

وتنتشر الديانة الإفريقية حتى الآن في أجزاء عديدة من القارة الأفريقية حتى في بعض المناطق التي وصلتها الديانة المسيحية أو الإسلامية مثل مناطق البانتو وسط وجنوب القارة الأفريقية ، وتشكل جزءًا من الثقافة الإفريقية التقليدية ، وقد أساء الأوروبيون الأوائل للديانات التقليدية في أفريقيا ، وذلك لأنهم أخفقوا في فهم الثقافة التقليدية في القارة الإفريقية[٢] .

ونظر البعض للإفريقيين على أنهم متوحشون وليس لديهم دين ، وكما أساء البعض الآخر وصف المعتقدات الدينية التقليدية واعتبرها وثنية أو عبادة أصنام وتعاويذ من صنع الإنسان نفسه.

ولم تتبلور حقيقة وطبيعة الديانة التقليدية الإفريقية بالنسبة للعالم الخارجي إلا بعد أن انفتحت القارة على العالم الخارجي باستقلال دولها والاهتمام العالمي بالتعرف عليها مع قيام الأفارقة أنفسهم بالكتابة عن أوضاع القارة الاجتماعية ، فلا يستطيع فهم الأفريقي إلا الأفريقي خاصة في مجال الديانات والمعتقدات التقليدية التي تتضمن الكثير من الرموز التي لا يفهمها إلا كل من عاشها أو تعايش معها[٣] .

وقد اختلفت التسميات الخاصة بالديانات الإفريقية ، فقد وصفها البعض بأنها الوثنية payanism بينما عرفها البعض الآخر بأنها fetishism وتعني الشئ الذي

(1)) Hampate ، Amadou Ba (1972) Aspects of African civilization (person ، culture ، religion) Paris ، translated by Susan B. Hunt . (http://pender.ee.upenn.edu/rabii/toes/BaAspects htmI)

(2)Idowu ، E. Bolaji (1977) . African traditional religion . A definition ، London ، PP. 104 – 116

(٣)حورية توفيق مجاهد ، الإسلام في إفريقيا ، مكتبة الأنجلو ، القاهرة ، ٢٠٠٢ ، صـ٤٦ .

يقوم الإنسان بصناعته.

وقد استخدم الفرنسيون تعبير JuJu وهو مستمد من اسم لعبة ، ويعتبر الإفريقيون هذه التسمية استخفافا بمعتقداتهم التقليدية .

وقد وصفت الديانة التقليدية في إفريقية بالهمجية أو الكفر Heathemism أو الروحانية Animism أو أنها عبادة الأسلاف Ancestor worship وكذلك أطلق عليها في بعض الدراسات بالديانة القبلية Tribal Religion أو الديانة البدائية . Primitive Religion

ويدين بالديانة التقليدية في إفريقية حوالي ٢٠٪ من مجموع سكان أفريقيا ، هذه النسبة في تناقص مستمر نتيجة انتشار المسيحية والإسلام . ألا أنة في بنين وبتسوانا وبوركينا فاسو وإفريقيا الوسطي وغينيا ، وساحل العاج وبعض دول الجنوب الإفريقي نجد أن الديانة التقليدية تنتشر بشكل كبير ، حيث تشير الإحصائيات إلى أنها تشكل ما يقرب من ٥٠٪ من السكان وتختلف النسب الخاصة بالديانة الإفريقية التقليدية في أجزاء أخرى من القارة الإفريقية [١].

[راجع مجلة comboni التبشيرية – إفريقيا جديدة – العدد الخاص – يناير ٢٠٠٠] [٢]

الخصائص المميزة لممارسة الديانة التقليدية :

تلتقي هذه الديانات كلها عند أساس واحد هو عمق الإحساس وللروابط الوثيقة التي تربط المجتمع البدائي بالبيئة الطبيعية التي يعيش فيها المجتمعات التقليدية لم تعرف الفصل بين الأمور الدينية والزمنية أو الدنيوية وهي هنا متفق مع أحد أسس الدولة في الإسلام الذي يقوم علي عدم الفصل بين الأمور الدينية والزمنية وهو من العوامل التي ساعدت علي تقبل الإفريقيين للإسلام ، هذا المبدأ بالرغم من اتفاقه مع الإسلام إلا أنه لا يوجد في المسيحية فهي تختلف هنا عن المسيحية التي تقوم علي مبدأ

(١)المرجع سابق .

(2)[Cf.Comboni Missionary Magazine ، NewAfrican – leadershiop – speacial Issue of January 2000]

ازدواج السلطتين حيث أن الديانة المسيحية جاءت كديانة روحية خالصة تركز علي الأمور الدينية فقط انطلاقا من قول السيد المسيح «أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله »(١) .

* ارتباط المجتمع وأفراده بالبيئة الطبيعية التي يعيشون فيها سواء كان مجتمع صيادين أو ملاك قطاعان أو زراع فهم يعيشون في كنف العناصر الطبيعية وعلي قطاعها حيث لا يستطيع الإنسان أن يتميز علي الأشياء ولا تتميز الأشياء عن الآدميين بل هم يعتبرون أنفسهم صورة من صور الكون الكلي ويشكلون حياتهم وفقا لما يتصورونه عن هذا الكون ولا يري المجتمع الفعلي في الحيوان والنبات ولا ي الجماد إلا مخلوقات لا يختلف عنها ولا تختلف هي عنه ولا يستطيع السيطرة عليها فأضفي عليها كل صفاته وأحاسيسه ورغباته الإنسانية وصور له خيالية بسبب ذلك الإحساس أن الإنسان بالمثل حيا أو ميتا له قوة يستطيع أن يتخذ شكل حيوان أو نبات وأن الجماعة الإنسانية حليقة وتسبق لجماعة الحيوان ويبلغ تصوره بهذه الصلة أن يستأذن الصياد فريسته كي يقبلها أو يقدم قرابين لا يسترضيها أو أن يقدم ضحية لقوسه أو بندقيته حتى لا تخطئ في الهدف (٢) .

* أهم ما يميز الديانة الإفريقية أنها تؤدي بشكل جماعي سواء في تقبل المعتقدات في مجموعها أو في ممارسة طقوسها واحتفالاتها كما أن الديانات الإفريقية جزء أساسي من طريقة حياة كل شعب في إفريقيا وتأثيرها يمتد لكافة أوجه الحياة وأن دخول أي فرد أو جماعة في دين آخر أو خرج علي جماعة فهل يظل متماسكا ببعض الأوجه المتوارثة أي هناك عدم هجر كلي للثقافة(٣) .

* حيث لا تعارض بين الدين الذي انتمي إليه وديانته الأصلية حيث يحتفظ بالكثير من خلفيته الدينية الثقافية أما إذا حدث تعارض فيظل الفرد في تجاذب بين جذوره وانتماؤه الأصلي وبين دينه الجديد فيلجأ إلى التوليف كوسيلة لتحقيق التوازن أو هجر الدين الجديد واختيار دين آخر أكثر مرونة في تقبل الممارسات الخاصة بشعب أو جماعة .

* وكثيرا ما ينقل الأفراد بعض أبعاد معتقداتهم التقليدية للدين الجديد وبما أن

---

(١)حورية توفيق مجاهد ، الإسلام في إفريقيا ، صـ ٧٢ .

(٢)هوبير ويشان ، الديانات في إفريقيا السوداء ، صـ ١٠٣ ، مرجع سابق .

(3)Mbitr، J.s. Introduction to African Religion . P.13 مرجع سابق

النشاط يمارس تقليديا علي أساس جماعي لا فردي معني ذلك دخول الأسرة بل والقرية بأكملها في الدين الجديد بدخول شخص فيه وبالتالي فكثيرا ما تدخل القبيلة بأكملها في الإسلام خاصة علي خلاف المسيحية لأنها تعمل علي تنصير الفرد وتعتبر قلية منفردا فهي تصل علي أساس فردي اجتماعي ويعتقد الباحث أن هذا من أسباب انتشار الإسلام وخاصة في مجتمع الدراسة [١] .

* من الملاحظ أن الأفارقة عادة ينجذبون إلى كل ما هو جماعي الجماعة هي الروح المناضلة في طبيعة القبيلة الأفريقية والاجتماعات والأعياد والاحتفالات هي مظهر من مظاهر حبهم وشغفهم للمجتمع والجماعات فهم يفكرون تفكير اجتماعيا إذا دعوا ألهتهم دعوها جمعا وإذا ابتهجوا كان ابتهاجهم وطربهم جماعيا في وحدة تربطهم بعضهم ببعض حاضرهم وغائبهم وحيهم وميتهم وهذه الوحدة المليئة بالحيوية العارمة تبدو في انفعالاتهم الصارخة وسط مظاهر عظيمة من الاحتفالات والابتهاج الجماعي في مكان واحد مزادهم بألوان الطعام يشترك فيه الجميع سواسية [٢] .

وقد حضر الباحث إحدى هذه الاحتفالات الخاصة بمالي والبمبارا احتفالهم في القاهرة بمقر سفارة مالي كان الاحتفال بعيد الأضحى المبارك وأقيم الاحتفال ثالث أيام العيد وجمع جميع الطلبة الماليين ومنهم من بمبارا وقري أخر يدرسون في القاهرة في مدينة البعوث الإسلامية في كليات جامعة الأزهر وغيرها وضم أيضا جميع العاملين والموظفين في السفارة ماليين ومصريين والسفير وكان بسماع موسيقي صاخبة وتجمعهم بعضهم مع بعض للعب الورق (الكوتشينة) وآخرين بالحديث وقاموا بالرقص الجماعي وبعد ذلك تقديم الطعام وجلسوا جميعا يأكلون في وقت واحد وبطريقة واحدة وكان الطعام المتعارف عليه كما في مصر في عيد الأضحى تغلب عليه الأرز والخبز واللحم (الفته) ولكن يختلف عندهم لا يوجد خبز فهو أرز ولحم فقط وهذا هو الطعام الشهير والأساسي عند البمبارا ومالي كلها [٣] .

(1)httpill WWW. Shikanda . netl african – Religion / islam paper 3011 – 2008

(٢)هوبير ديشان . مرجع سابق . صـ١٠٧ .

(٣)دراسة ميدانية .

انجذاب الأفارقة إلى الجماعات والممارسات الجماعية هذا أدي إلى انجذابهم إلى الإسلام وإلي الممارسات والجماعات الصوفية التي تكثر من حلقات الذكر والإنشاد وهذا يشد انتباه الإفريقي كشكل جماعي منظم لممارسة بعض الشعائر الدينية .

يلاحظ أن الإفريقيين مغرمون بشدة بالموسيقي والرقص والغناء وهي من الظواهر الموجودة في كل جماعة في إفريقيا الموسيقي والاحتفالات موجودة في كافة أنشطة الحياة ، الزراعة ، الحقول ، الصيد ، الاحتفالات الشعبية ومن إفريقيا انتشرت الموسيقي الإفريقية للقارات الأخرى ، يهم للموسيقي لا يمنعهم عن استخدامهم والرقص في الطقوس الدينية وكثيرا ما يعبر الإفريقيان عن انطباعاتهم الدينية بالرقص وهذا ما يعتبره المبشرون المسيحيون من سمات الوثنية وتجعلون هجرة متطلبا سابقا للدخول في المسيحية .

كثير من الموسيقي الإفريقية والرقص يتبادلان أفكارا دينية وممارسات دينية والاحتفالات والطقوس الدينية تصاحب دائما بالموسيقي والغناء وأحيانا بالرقص[١] ، وفي الفن الإفريقي النحت والأعمال الخشبية حيث الأقنعة لها دور في ممارسات الحياة بما فيها الديانة وتعرضت أيضا لعدم الفهم خاصة من المبشرين .

أهم ما يميز الديانة الإفريقية هم الأجداد أو الأسلاف التي يتم معاملتها باحترام وخوف فأرواح الأجداد الذين فروا من هذا العالم إلى عالم آخر فالأفارقة يعتقدون أنهم أقرب إلى الرب منذ وفاتهم ولهذا فإن من يغادر هذا العالم الحي يحتلون مكانة مرموقة في مكان هذا الدين وفي مقابل ذلك فإن الأفارقة يخدمون أجدادهم هذا يعتبر عبادة كما يتخيلها العرب ولكن من الممكن النظر إليها علي أنها نوع من الاحترام والضيافة .

في عالم الأفارقة لا يوجه موت بمعني الانفصال الجذري من العائلة أو المجتمع القبلي ولكنهم يعتقدون أن الحياة أبدية وحركتها ليست حظية ولكن دائرية ويعتقدون أن روح الأجداد تعيش نفس المدة التي عاشتها علي الحياة وهم أحياء في فترة الموت .

الأجداد الموتى يستيقظوا بإحساساتهم وشعبهم التي يجب أن يتبع كما لو كانوا

(١)مرجع سابق Hampata Ba . P. 16

أحياء فهم يشعرون بالجوع والعطش فهم كانوا جوعا أو سعداء علي أساس سلوكيات أطفالهم الذين هم علي قيد الحياة الميت الحي يكون قاسيا إذا أهمل ولكن يكون حسنا إذا عومل باحترام ، لذلك فالآباء والأبناء يضعون طعام لأجدادهم الموتى(١) .

بمفهوم الدين التقليدي الأجداد الموتى يلعبون دور الوسيط بين أسرهم والآلهة فهم يعتبرون أوصيا علي شئون وتقاليد وأخلاقيات وأنشطة أسرهم وينظر إليهم علي أنهم يترأسون روحيا علي رخاء هذه الأسرة .

وفي عالم الكون الإفريقي بالإضافة إلى الأجداد الموتى توجد أرواح أخرى أو قوى روحية تخدم أو تدمر البشر(٢)، في هذه القوى يوجد العرافة والسحرة والمشعوذين العراف يستخدم علي نطاق واسع في مفهوم الدين الإفريقي فيدل علي الضرر فأي ضرر يحدث يرجع سببه إلى العراف .

ومن أهم ركائز المعتقدات الدينية الإفريقية السحر وإن كان أسيء فهمه إلا أنه لا يخرج عن كونه محاولة للسيطرة علي القوى الطبيعية وما وراء الطبيعة وإبعاد الضرر عن النفس أو التأثير في مجريات الأحداث علي الغير بالضرر أو النفع .

وجدير بالذكر أن الإسلام اعترف بوجود السحر وورد في القرآن الكريم لفظ السحر ومشتقاتها بعدد اثنتان وستون مرة في ٥٢ آية إلا أن الإسلام كان حازما وواضحا ضد السحر حيث أكد أنه من أعمال الشيطان قوله تعالي « وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر(٣)» ولا يفلح القائمون به « وإنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتي »(٤).

وكثيرا ما يلجأ الإفريقي إلى المشايخ لكتابة الأحجبة وغيرها للسيطرة علي القوى الغيبية حسب المفاهيم التقليدية المتوازنة ونجده أيضا بعد الإسلام يلجأ إلى العلماء

(1)Paris ، Peter J. (1995) The spirit uality of African peoples – Minneapdis Minnesota : fortress P. 52
(2)Opoku ، Kofi Asare (1978) west African traditional religion . Acca Ghana ، Feb، International private limited P.10 .

(٣)سورة البقرة آية ١٠٢ .

(٤)سورة طه آية ٦٩ .

والمشايخ المسلمين للاستعانة بالقوى الروحية علي السحر والحسد[١].

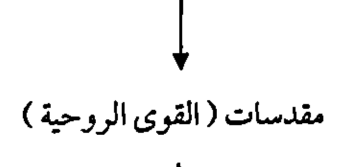
بصفة عامة المجتمعات التقليدية في إفريقيا تقوم أساسا علي التسامح ولا تعرف التعصب الديني ولا يعرفون ما يسمي بحرب الأديان فإن دخول أي فرد في دين سماوي لا يعني استبعاده عن الجماعة أو طرده من القبيلة أو الأسرة حيث قد يضم المسكن الواحد من ينتمي للدين التقليدي والإسلام أو المسيحية دون حساسية كبيرة.

أخيرا نجد أن جوهر الدين الإفريقي من حيث الإيمان بوجود خالق أعظم بصفاته وخصائصه المعتقد فيها بتقارب مع جوهر الإسلام دين الفطرة فالوحدانية الصريحة أو الضمنية في مركز الديانة الإفريقية مما يجعل مفهوم الوحدانية المطلقة في الإسلام أقرب إلى الفهم والعقل ومن تقبل الإفريقي للدين الأسلاف كان أسرع وأسهل من أي ديانة سماوية أخرى وهذا ما سوف نتعرض له في جزء خاص من الدراسة.

(١)حورية توفيق مجاهد صـ ٧٥ مرجع سابق.

هيكل الديانة التقليدية الإفريقية

الإله الأعظم (خالق الكون)



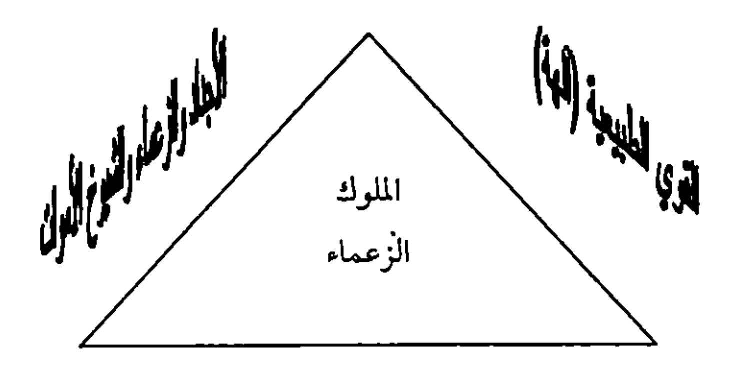
مقدسات (القوى الروحية)

آلهة طبيعة		قوى سحرية		أرواح الأجداد

(أرواح ظواهر طبيعيـة)

في القمة (السماء)

(وترمز للخالق الأعظم الذي ينساب منه كل شئ ويعود إليه كل شئ)



القاعدة (الأرض)

(وكثيرا ما يرمز لها بأنها إلهة ، وأهميتها للفرد أنها منتجـة لغذائـه ومسـتقر لجسـده بعـد الموت).

قصة الإسلام في غرب إفريقيا عند مالي علي وجه الخصوص :

من الخصائص الفريدة لغرب إفريقيا التي عرفت بالسودان الغربي قيام الإمبراطوريات والممالك التي تميزت بتقدم نظمها الاجتماعية والسياسية وذلك من القرن الثامن الميلادي وحتى الاستعمار الأوروبي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وقد تميز تلك الإمبراطوريات والممالك بالسلطة المركزية والتنظيم الإداري الهرمي بالإضافة إلى ظهور الدور السياسي للإسلام في حياة هذه الإمبراطوريات التي أسهمت بدورها في نشر الإسلام وساعدت علي جعل منطقة غرب إفريقيا تمثل مركز الثقل بالنسبة للإسلام في القارة جنوب الصحراء .

فقد دخل الإسلام غرب إفريقيا بقيادة عقبة بن نافع وتعتبر غانا من أقدم الإمبراطوريات في غرب القارة وحاولت الجيوش الإسلامية دخولها ولكن ذلك لم يتم ومع ذلك انتشر الإسلام في قبائل السونينك وقبائل الهوسا والبورتو والدوغامبا وضعفت إمبراطورية غانا فقامت قوات المرابطين يضمها إليهم ووصلت الجابون وتعتبر أول جماعة مغربية تنشيء دولة أسسها عبد الله بن ياسين وعرفوا بالملثمين وفتحوا بلادا واسعة جنوب فانتشر الإسلام حتى حوض النيجر ومن أهم شخصياتهم عبد الله بن ياسين بن مكوك الجزولي مؤسسهاو يحيي بن عمر تلميذه وأبو بكر بن عمر ويوسف بن ناشقين(١) .

نجد أن إمبراطورية غانا كانت فاتحة لعهد الدولة متسعة النطاق في غرب إفريقيا بدأت في القرون الأولي بعد الميلاد وانتهت في القرن الثالث عشر وخلفتها إمبراطورية مالي وبلغت أوجها في القرن الرابع عشر وكانت أكثر الإمبراطوريات ثراء وازدهار ، فكانت مالي هي أعظم ممالك السودان المسلمين قامت في القرن الثالث عشر الميلادي في جنوب المغرب متصلة غربا بالمحيط الأطلسي وشرقا ببلاد البرنو وشمالا بالصحراء الكبرى وجنوبا الوثنيين ، وقد اشتملت علي خمسة أقاليم كل منها مملكة مستقلة ثم أصبحت كلها تحت ملك صاحب مالي ، ومالي هي أصل مملكته وهذه الأقاليم هي :

١- مالي واتخذت الإمبراطورية هذا الاسم وقاعدتها بنبي .

(1)http://www.Islam religion.com / articles / 304 (22 – 12 – 2008)

٢- صوصو إلى الغرب من إقليم مالي .

٣- بلاد غانة غرب إقليم صوصو وتجاور المحيط .

٤- بلاد كوكو شرق إقليم مالي .

٥- بلاد التكرور شرق إقليم كوكو وقاعدته مدينة تكرور .

وقد قامت مالي في قلب السودان وفي حوض نهر النيجر وأصبحت غانة بعد ضعفها أحد أقاليم إمبراطورية مالي الإسلامية أما جمهورية مالي الحديثة فهي جزء من دولة مالي الإسلامية وقد استقلت عام ١٩٦٠ وكانت تعرف قبل استقلالها باسم السودان الفرنسي وأخذت مالي بعد الاستقلال إحياء المجد القديم[(١)] تعتبر دولة مالي الحالية من الورثة أو إن جاز القول هي الوارثة الكبرى للإمبراطوريات والممالك المتعاقبة التي شهدتها منطقة غرب إفريقيا ما بين الصحراء الكبرى شمالا حتى الغابات الاستوائية جنوبا ومن شرق نهر النيجر إلى المحيط الأطلسي غربا ، ذلك أن مالي بحدودها الحالية التي رسمها الاستعمار احتلت دائما مكانا مركزيا في تلك الإمبراطوريات والممالك بدليل أن كثيرا من المدن الحالية في مالي كانت مركز إشعاع في هذه المملكة مثل مدن تمبكتو وجنى JENE وغاو GAO وكانغابا KANGABA وقد عرف أهل هذه المنطقة الإسلام منذ وقت مبكر القرن العاشر والحادي عشر .

منذ تلك الفترة بدأ اهتمام السلاطين بالإسلام ليس فقط كدين عبادة وإنما أيضا كحضارة يقتبسون من منجزاتها لإثراء دولهم منها إيفاد البعثات إلى البلاد الإسلامية للتعليم خاصة فاس / مصر في الأزهر وجلب العلماء من هذه البلاد لقيادة حركة التعليم والتنوير في بلادهم وقد شهدت هذه الحركة ازدهارا خاصة في عهد ملك مالي الشهير كنكن موسى KANKN un Moussa المعروف بمنسي موسى MaNsa Mousa الذي قام بأداء الحج علي رأس موكب كبير عام ١٣٢٤ م ثم عهد ملك سونغاي في اسكي محمد الكبير ١٤٩٧م وقد كان الإسلام في تلك الأثناء يبدي إثارة في الثقافة

(١)ك. مادهو بانيكار ، الوثنية والإسلام « تاريخ الإمبراطورية الزنجية في غرب إفريقيا » ترجمة أحمد فؤاد بلبع ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ١٩٩٨

الشعبية. كانت تتميز هذه الإمبراطوريات والممالك في غرب إفريقيا بالسلطة المركزية التي قامت علي وجود رئيس واحد هو رئيس الدولة وقيامه بتفويض السلطة الممثلة في المناطق والوحدات الإقليمية المختلفة وهؤلاء الممثلون المحليون لم تجمعهم معه رابطة الدم وكان التركيز علي احتلال رؤساء تلك الدول لبعض التفوق والقوى الغيبية غير الطبيعية واستمرار بعض الأفكار الأسطورية عن أصل الحكام .

وأهم أبعاد تلك الأفكار هو محاولة ربط أصلهم بأصل إسلامي مقدس وتعبيرا عن ذلك ما نجده في إمبراطورية مالي حيث ساد الاعتقاد بأن أجداد العائلة الملكية وهي عائلة كينيا جاءوا من الجزيرة العربية حيث ظهر الإسلام ، وإن سنديانا كينا مؤسس الإمبراطورية كانت له قوة فوق الطبيعة Supra Natural بالإضافة إلى وضوح النفوذ السياسي للإسلام الذي كان واضحا في أول إمبراطورية وهي إمبراطورية غانا فعلي الرغم من أن قبل ١٠٧٦م لم يكن إمبراطور غانا مسلما إلا أنه اختار معظم وزرائه من المسلمين وكان احتلال إمبراطورية غانا بواسطة الرابطين ١٠٧٦م هو العلامة الأساسية علي طريق بداية نشر الإسلام في منطقة السودان الغربي وعلي الرغم من أن هذا الغزو لم يستمر طويلا إلا أنه نتج عنه دخول حكام غانا في الإسلام[١] .

انتقل الاتجاه نحو الإسلام بين الفئة الحاكمة للإمبراطوريات ففي إمبراطورية مالي كانت الطبقة الحاكمة والمحيطون بها مسلمين وقام الزعماء الماليون بعدة رحلات حج لمكة والمعتقد أن أول مسلم كما ذكرنا سابقا برمندانا كينا وأنه بعد إسلامه ذهب إلى الحج ١٠٥٠م .

وقد قام منسي موسى بجهود واضحة كبيرة في نشر الإسلام خاصة بعد رحلته الشهيرة للحج والجدير بالذكر أن هذه الرحلة وجهت الأنظار لثراء تلك المملكة وذلك لعظمة موكبه الملكي وكثرة ما حمل معه من ذهب للتصدق والظهور بمظهر لائق بعظمة مملكته ويلاحظ أن أول خريطة لإفريقيا في أوربا رسمت في البرتغال موضحة بقلب

(١)حسن أحمد محمود ، الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، سنة ٢٠٠٦ ، ٢١٥ – ٢١٦ .

غرب إفريقيا صورة مانسا موسى متربعا علي عرشها فوق تل ق الذهب[١].

فقد كان الحج بجانب التجارة من أهم العوامل التي ساعدت إفريقيا الغربية في القرن التاسع عشر علي إقامة علاقات وثيقة مع المناطق المجاورة ، فقد كان الحجاج المتجهون إلى مكة يقيمون علاقات بأماكنهم في المدن المختلفة ولم تكن الدول الإفريقية تتدخل في شئون المسافرين المعتادين سواء كانوا حجاجا أم تجارا وفي معظم المدن كان هناك مواطنون أو زائرون يكثرون من السفر وكان يوجد بالمراكز التجارية العظيمة مثل كانم وتمبكتو سكان لديهم معرفة كاملة بالبلاد الإسلامية وكان الاتصال بالشمال ذا جانب واحد لم يكن يزور شمال إفريقيا إلا أقل القليل من السودان حتى من الهوسا الموجودين في كل زمان ومكان ولكن الأراضي الغربية من الشرق الأدنى والقاهرة وغرب بلاد السودان وفي مقدمتها الأماكن الإسلامية كانت مألوفة لديهم كما أنهم لم يكونوا يجهلون جغرافية بلاد السودان بل كانت معروفة لديهم تماما[٢].

وسائل انتشار الإسلام في غرب إفريقيا :

يتميز انتشار الإسلام عامة بأنه جاء نتيجة الدعوة والاقتناع وليس نتيجة القهر فوسائل انتشاره جميعها تأتي كنتاج للدعوة والاعتبارات الاجتماعية بالدرجة الأولي وقد تنوعت تلك الوسائل وتنوع الدعاة الذين انتموا أساسا للمناطق المحلية في إفريقيا ومن أهم رسل الدعوة التجار ورجال الطرق الصوفية والأئمة والوعاظ من دارسي الأزهر والجامعات في شمال إفريقيا والمراكز الثقافية في غربها وغيرها من مراكز الإشعاع الإسلامي في القارة وخارجها .

أولا : التجارة والدعوة الإسلامية

من أولي وسائل انتشار الإسلام وأهمها هي التجارة فكان التجار المسلمين من أهم رسل الدعوة الإسلامية في إفريقيا فقد وفد الكثيرون علي مر العصور علي أجزاء القارة المختلفة بهدف أساسي هو التجارة ، ولذلك كاد الإسلام أن يتركز في المراكز التجارية

(١)انظر بالتفصيل رحلة حج منسي موسى ، محمد عبد العال أحمد ، منسي موسى سلطان التكرور ورحلة حجه الشهيرة ، دار المعرفة الجامعية ، القاهرة ، ١٩٨٧

(٢)ك. ماوهو بانيكار ، الوثنية والإسلام ، مرجع سابق ، صـ ٥١٦ ، ٥١٧

الهامة وفي المدن الكبرى وبعض هؤلاء التجار كان يجمع بين التجارة والتعليم فإذا ما استقر بهم المقام أنشئوا مدارس لتعليم القرآن أو أنشئوا مسجدا وقاموا في نفس الوقت بمزاولة النشاط التعليمي والاقتصادي ، وفي غرب إفريقيا علي وجه الخصوص كان لتجار الفولاني والحوصة والتكرور الدور الأكبر في انتشار الإسلام[1] .

من أهم ما يلاحظ عن انتشار الإسلام في إفريقيا أنه وإن كانت الدعوة للإسلام بدأت في غرب إفريقيا علي أيدي التجار من شمال إفريقيا إلا أن هؤلاء سلموا الدعوة وبطريقة تلقائية لشعوب المنطقة السودانية الذين قاموا هم بأنفسهم بحمل راية الإسلام وقد عبر عن ذلك عبد الله الا لوري بقوله « كلما اعتنقت قبيلة الإسلام تصبح بعد ذلك حاملة لواء الدعوة الإسلامية إلى ما قبلها من القبائل المجاورة »[2] .

طريقة تعامل التجار المسلمين وأسلوبهم في المعيشة جذب انتباه الأفارقة فكانت ملابسهم فضفاضة وغطاء الرأس المميز والأمانة التي تميزوا بها في التعامل في البيع والشراء والتيسيرات في البيع وأثاروا الفضول من حيث تطهرهم بالوضوء والصلاة علي مدار اليوم[3] . حيث أن الأقاصيص والحكايات تحكي عن الممالك الإفريقية القديمة التي وجدت قبل مجيء الاستعمار الغربي وقبل انتشار الإسلام عن نشاط التجار المسلمين فيها خاصة غرب إفريقيا وما يحكي ومازال إلى الآن لتداول قصة إسلام برمندانا كينا أول ملك من ملوك مملكة مالي القديمة قبل توسعها لتصبح إمبراطورية مالي علي يد سونديانا ١٢٣٠م .

وتحكي القصة أنه قد ساد المنطقة حالة قحط شديدة وجفاف كان يؤدي إلى الهلاك التام في هذه الأثناء طلب أحد التجار من الملك برمندانا أن يلجأ إلى الله طالبا بإخلاص هطول الأمطار « صلاة الاستسقاء » وعلمه هذه الصلاة وقاما سويا بالصلاة طوال الليل وفي الصباح هطل المطر وكانت هذه بداية إسلامه فأعلن إسلامه وبذلك كان أول ملوك مالي يعلن إسلامه ثم ذهب إلى الحج عام ١٠٥٠م ، مازالت هذه القصة تحكي في

(١)حسن أحمد محمود ، الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا ، مرجع سابق ـ صـ٤٨ .
(٢)آدم عبد الله الالوي ، عثمان بن مؤدبو الغلاني « الإسلام في نيجريا » ط٢ ، صـ١٧ ، سنة ١٩٧١ .
(٣)حورية مجاهد ، مرجع سابق صـ٢١٣ .

الصحف والمجلات وعلي أغلفة الكتب المدرسية في جمهورية مالي الحديثة[(١)].

ومن الأبعاد الاجتماعية لانتشار الدعوة الإسلامية عن طريق التجار هو تزاوج هؤلاء التجار من أسر رؤساء القبائل نظرا لقدرة التاجر المادية التي تميزه نسبيا عن الإفريقي العادي وبالإضافة إلى أن الإسلام ينادي بالمساواة المطلقة ولا يعترف في الإسلام باللون أدي هذا إلى اختلاط التجار بكافة الطبقات وتزوجوا منهم مما أدي إلى انتشار الإسلام[(٢)].

نجد من هذا – كيف أن التجارة والتجار هي من أهم وأولي وأهم أسباب انتشار الإسلام وإن كان من الملاحظ أن الهدف لم يكن أساسا نشر الإسلام ولا السيطرة علي القبائل والجماعات الداخلية بل كان الهدف الأساسي التجارة وجاء انتشار الإسلام من خلالها تلقائيا .

ثانيا : الطرق الصوفية[(٣)]

وهي واسعة الانتشار في المناطق الإسلامية في إفريقيا عامة سواء في الشمال أو الغرب أو الشرق وهي أوسع انتشارا وأكثر تأثيرا في إفريقيا جنوب الصحراء عنها في الشمال ومن الملاحظ أن نشاطها في نشر الدعوة بدأ متأخرا ولم يتبلور إلا في القرن التاسع عشر .

هناك تفسيرات كثيرة للكلمة البعض يفسرها أنها مشتقة من الصفة وهي فناء ملحق بمسجد الرسول(صل الله علية وسلم) بالمدينة أوي إليه بعض الفقراء من المسلمين وكانوا يلبسون الصوف وتفسير آخر هي الصوف للشاة والصوفة تؤخذ منه [(٤)] حيث اكتفوا بلبس الصوف كدليل علي الزهد والاهتمام بالباطن دون الظاهر أو الصفا «

---

(١)قصص وحكايات الأهالي ، إخباريين .

(٢)عز الدين عمر موسى ، انتشار الإسلام في غرب إفريقيا حتى القرن السادس عشر الميلادي ، ندوة العلماء الأفارقة ومساهمتهم في الحضارة الإسلامية بالخرطوم ٢٨ – ٣٠ يوليو ١٩٨٣ .

(٣)لمزيد من المعلومات عن الصوفية انظر الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة ط٤ ، دار الحرمين ، القاهرة ١٩٨٩م عن الطرق الصوفية عامة ص ص ٥٣٩ – ٥٩٦ .

(٤)الإمام محمد أبو بكر عبد القادر الرازي ، مختار الصحاح ، دار الحديث ، القاهرة صـ٣٧٣ .

الصفاء » ومنها يصفو وصفوة الشيء خالصة ومنها اشتقت كلمة صفوة أو اصطفاه أي اختاره وإعادة مصطلح الصوفية إلى الصفوة والاصطفاء مرده عند الصوفية الآية الكريمة ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ [(1)].

وأهم إنجازات الطرق الصوفية هو أن التحول للإسلام الفضل علي أيديهم من حالات فردية إلى حالات جماعية وهي تمثل عامة خطوة في تدعيم الإسلام في نفوس الإفريقيين والمعروف أن كثيرا من السادة الأفارقة ينشدون بركة المشايخ العارفين بأمور الدين والفقه ففي ظل الديانات التقليدية من الطبيعي أن يكون لمشايخ الطرق الصوفية مكانة خاصة .

من أهم الطرق الموجودة في إفريقيا هي القادرية والنيجانية والسنوسية والطريقة القادرية واسعة الانتشار في غرب إفريقيا وهي تعد أقوي الطرق في تلك المنطقة ومركزها الأصلي بغداد ومنها إلى مصر والمغرب والصومال واليمن والهند وتركيا وغرب إفريقيا ووسطها .

قام دعاة القادرية بنشر التعاليم الإسلامية وعملوا كمعلمين للصبية وأصبح بعضهم علماء بعد تفقهم في الدين كما اتجه البعض إلى كتابة التعاويذ والاحجبة وهي واسعة الانتشار في إفريقيا قديما وحديثا .

وتنشر أيضا الطريقة النيجانية في شمال وغرب إفريقيا ومؤسسها مغربي الأصل هو أبو العباس بن محمد بن المختار النيجاني وهي متأثرة كثيرا بالتعاليم الوهابية[(2)].

والسنوسية مؤسسها محمد بن علي بن السنوسي بن العرب الذي ينتمي إلى الأدارسة ومن دعوة السنوسي رأي أن الحدود السياسية في العالم الإسلامي حدود ومصطنعة وأنه يجب قيام حركة إصلاحية علي مستوي ذلك العالم الإسلامي في محاولة للقضاء علي البدع والانحراف والعودة للبساطة واليسر والتمسك بالكتاب والسنة وكانت بداية نشر

(١)سورة فاطر : آية ٣٢ .

(٢)حسن أحمد محمود ، الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا ، دار الفكر العربي ، القاهرة ٢٠٠٦ ، صـ ٥٤ – ٥٥ .

آرائه في الحجاز واعتمد في نشر دعوته علي نظام الزوايا والزوايا كانت مراكز للتعليم ونشر الهداية الإسلامية وبذر بذور الإسلام خصوصا بين الزنوج في أواسط إفريقيا[(١)] .

وقد اعترف كثير من المؤرخين والباحثين قديما وحديثا أن الفضل في نشر الإسلام في إفريقيا يرجع إلى الدور الذي قامت به الطرق الصوفية ولولا الاستعمار لأصبحت كل إفريقيا إسلامية وتصل نسبة النيجانية في مالي إلى ٢٠ ٪ .

ثالثا : المشايخ « المرابو أو الملا »[(٢)]

من الظواهر الواسعة الانتشار في إفريقيا وجود المشايخ الذين يطلق عليهم عدة أسماء من أشهرها المرابو في غرب إفريقيا والملا أو المعلم في شرق إفريقيا وقد اكتسب المرابو خاصة في غرب إفريقيا أهمية خاصة حيث لعبوا دورا أساسيا في نشر الإسلام ومازالوا وكلمة مرابو هي كلمة تبدو غريبة علي العربية فهي كلمة فرنسية Marabout ولكنها في حقيقتها مستمدة مباشرة من العربية من كلمة مرابط ويأتي من كلمة رباط يرجع انتشار الكلمة في غرب إفريقيا إلى الرباط الذي أنشئ في السنغال بأبعاده الدينية والعسكرية وإن كانت الكلمة أصبحت تعني وجود أحد المشايخ وحوله مريدوه أو طلبته[(٣)] والرابو أقدم تاريخنا في إفريقيا من الصوفية التي تبلورت في نهاية القرن التاسع عشر وقد أسهم المرابو في نشر الدين الإسلامي الذي استطاع بواسطتهم الوصول إلى الوجود الشخصي والاجتماعي للفرد الإسلامي استنادا علي القرآن أساسا كمصدر للوعظ والإرشاد .

إن انتشار الإسلام في العديد من المناطق الإفريقية يرتبط بالانتماء لأحد هؤلاء المشايخ أو المرابو بحيث أن الكثير من الإفريقيين يتفاخرون بانتمائهم هذا بل أن البعض لا يفهم الإسلام إلا في شكل هذا الانتماء ، وكان للمرابو أدوارا كثيرة بجانب التعاليم الدينية الإسلامية كانت لمساعدات اجتماعية ومالية للمحتاجين وعادة ما يقوم بتطوير المزارع الجماعية .

---

(١)حورية مجاهد ، مرجع سابق ، صفات متفرقة عن الطرق الصوفية من ٢٢٢ – ٢٢٨ .

(٢)الشيخ شبرتوهاوي عمر تيام « الإسلام في الدولة العلمانية مالي » ط١ ، جمعية عباد الرحمن باماكي ١٩٩٣ ، صـ ٥٥ .

(٣)حورية مجاهد صـ٢٢٨ .

وقد استطاع المرابو أن يلعبوا أدوارا كثيرة وأن يطوروا أنفسهم مع تطور المجتمعات وكانوا يقومون بتحفيظ القرآن للأطفال وتوفير العون والملجأ للفقراء والعجزة وكانوا يقومون بكتابة الأحجبة والتعاويذ وفك أعمال السحر وأيضا يقوم بدور المداوي يحل في ذلك محل الشفاء التقليدي القائم علي السحر والأطباء والسحرة [١].

رابعا : المعلمون والدعاة المحليون

يقوم المعلمون وعلماء الدين المحليون دور كبير في تعميق إسلام الإفريقيين ، حيث أكملوا عمل التجار وقاموا بتدعيم عملية التحول للإسلام ونجد أن البعض من علماء الدين من الإفريقيين أسهم إسهاما كبيرا في إثراء الحضارة العربية الإسلامية ليس فقط علي مستوي إفريقيا وحدها ولكن في البلاد الإسلامية الأخرى حيث قام بعضهم بالتدريس في الجامعات والمراكز الإسلامية المختلفة .

ولقد ازدهرت مراكز علوم إسلامية بفضل وصول المعلمين وعلماء الدين من الحجاز وشمال إفريقيا لنشر تعاليم الإسلام ومن أهمها مركز جني وتمبكتو وازدهر أيضا إيفاد دعاة رسميين من جانب الدول الإسلامية وعادة ما يكون هذا بناء علي طلب الدول الإفريقية استجابة لشعوبها ومن ذلك ما يقوم به الأزهر وبعثاته وكذلك إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية [٢].

الخاتمة :

نلاحظ من هذا أن الإسلام في إفريقيا لم ينتشر علي أيدي المبشرين منظمين مرتبطين أصلا بدولهم إنما الدعوة بدأت علي أيدي التجار العرب في الشمال والشرق وسرعان ما انتقلت إلى الشعوب الزنجية نفسها ليصبحوا هم رسل الدعوة الإسلامية في القارة بعد استيعابهم للإسلام

إن الإسلام انتشر سلميا وليس بحد السيف فهو انتشر ذاتيا وتغلغل في إفريقيا ممثلا

(١)إجلال محمود رأفت ، الدور السياسي للإسلام في السنغال ، دراسة تحليلية للطرق المريدية ، سلسلة بحوث سياسية رقم ٢٩ ، مركز البحوث والدراسات السياسية ، جامعة القاهرة ١٩٨٩ .

(٢)حورية مجاهد ، مرجع سابق ٢٣٣ .

قوة زاحفة من الشمال إلى الجنوب وإن كانت الفتوحات الإسلامية والجهاد والدول الإسلامية التي قامت علي أساسه قد أسهمت في نشر الإسلام نظرا لنشر الأمن وطرق المواصلات وتأمينها مما يسر انتقال الدعاة المجهولين ورجال الطرق الصوفية والتجار حملة الدعوة الإسلامية غير المنظمة كما جذبت السلطة العديدين للدخول في الدين الإسلامي انتماء للنجية في ضوء مبدأ المساواة الذي أكده الإسلام .

كما أن الاعتبارات الاجتماعية هي أساس انتشار الإسلام إفريقيا خاصة جنوب الصحراء نتيجة الاحتكاك والتفاعل بين الأفراد والشعوب بجانب دور التجار والحرفيين في غرب إفريقيا دورا هاما حيث استقرت هذه الجماعات بين مستوطنات غير إسلامية وتزاوجت فيما بينها وساهمت بذلك في نشر الإسلام وكانوا الحرفين آنذاك هم صناع الجلود والحدادين وصناع الأسلحة وغيرهم من الحرف الأخرى .

قامت الدعوة الإسلامية علي أساس جماعي وليس فردي فهي لم تدعو فردا وإنما مجموعة فهي تنمية العقل قبل القلب في شأن الخالق والكون وكان هذا أحد الأسباب الرئيسية لدخول كثير من القبائل بأجمعها في الإسلام ذلك لأنهم يميلون للتجمع والجماعات وبما أن رئيس القبيلة أو كبيرهم اعتنق دينا ما إذن جميع من هم في عائلته أو قبيلته علي نفس الدين .

إن الدعوة الإسلامية قامت أساسا علي التدرج والتسلسل وبالتالي لم يكن الدخول في الإسلام علي حساب الانفصال بين الإفريقي ومجتمعه وتغريبه عنه بل أن الانتماء إلى الإسلام جزءا من الأصالة الإفريقية فلم يرتبط الإسلام بثقافة وحضارة أجنبية ولم يقدم الدين بواسطة أجنبي ولم يتطلب التخلص تماما من بعض الممارسات التقليدية كالرقص وفن النحت والمعتقدات التقليدية كالإيمان بالأرواح والسحر والتقاليد الاجتماعية الموروثة كتعدد الزوجات أن الانتماء للإسلام لم يتبعه الشعور بالاغتراب بل العكس أدي إلى تأكيد الذات الإفريقية .

استمر نمو الإسلام نموا سريعا خاصة بالقرن العشرين والواحد وعشرين والآن بالدعم النقدي لنفط الخليج أصبح المسلمون قادرون علي زيادة معدل سرعة

التحويلات طبقا للإحصائيات بما يعادل ضعف سرعة المسيحيين بإفريقيا [١] .

كما أن هناك تشابه كبير بين ما يراه الإسلام من تقاليد والتقاليد والأعراف الإفريقية تأكيدا علي عادات الحياة اليومية والمعيشة اليومية كذلك القوانين الواضحة بشأن الرجل والمرأة وكيفية تعامله مع نظرية تعدد الزوجات كلها أشياء تؤكد التشابه الكبير بين الإسلام والتقاليد الإفريقية القديمة .

تطور المعتقدات الإفريقية في الوقت الحاضر[٢]:

تتسم المعتقدات الإفريقية بالطابع الجماعي والسلطان المطلق في بيئة جغرافية ضيقة محدودة ونشأت في جماعة قليلة العدد شديدة التماسك أو جماعات تحوطها ظروف جغرافية صعبة منعزلة ، فعاشت هذه الجماعات في عزلة وانحصرت في رقعتها المحدودة وخضعت لسلطات دينية أو سياسية قاسية فمتى طرأ على حياة القبيلة ظروف جديدة تضعف فيها هذه الروابط الاجتماعية وقلت سيطرة الدين وتطورت مظاهره وهذا ما حدث بالفعل ، فقد حدث تطور أحدثته الاستكشافات الحديثة في القارة الإفريقية وزحف المستعمر إلى قلبها وقد أحدثت انقلاباً سريعا شمل كل النواحي الثقافية لاسيما الديانة التقليدية .

أدى استتباب الأمن إلى إضعاف و شل سلطة زعماء القبائل والتي أدت بدورها إلى إضعاف التماسك الاجتماعي للقبيلة فتبع ذلك ضعف السلطة الدينية وسلطة الرؤساء الروحانية وقدسية الملوك ، وقد أصبحت الأوقات التي كانت مخصصة للاحتفالات والابتهالات والأضحيات تزاحمها أوجه نشاط أخرى .

وقد كان الفرد في الماضي مرتبطا بموطن القبيلة ارتباطا تاما ، أما اليوم فقد اضطرته الأحوال الاقتصادية الحديثة إلى أن يفارق بيئته طلبا للعمل أو العلم ، ومن ثم ضعفت الصلة بينه وبين أهله ومجتمعه وآلهته وهجر كثير منهم مواطن آبائه وأقام في المدن حتى

---

(١)Islam making in roads in Zambia» http://www.news from africa .org / articles / art. 31-7-2008 .

(٢)لمزيد من المعلومات راجع هوبير ديشان الديانات في إفريقيا السوداء . راجع أيضا موقع:
http://Islamic web. Com/bgml population .htm (13- 12 – 2008)

وإن عادوا إلى قبيلتهم فإنهم لا يشتركون في أعيادهم الدينية وعقائدهم كما كان يحدث قبل مغادرته للقبيلة فقد أصبح يحمل عقلية جديدة وأسلوباً آخر .

وقد أثر التعليم الحديث تأثيرا بالغا في حياة هؤلاء الأفارقة حيث أمدهم بمعارف وحقائق تناقض ما تلقوه عن آبائهم وأجدادهم ووجدوا في العلم الحديث حاجتهم في الوقوف على سر الكون الذي لم يعرفوا تفسيراً ماديا له غير الأساطير والأقاصيص التي توارثوها عن أسلافهم ، وقد أدت هذه العوامل إلى أن يتخلص الفرد من تحكم الأسرة والمجتمع إلا أنه قد خسر الأمن والاطمئنان الذى كانت تبعثه في نفسه علاقته بالجماعة ونظرته إلى البيئة الطبيعية ، وقد نشأ هنا الشعور بالحاجة إلى إعادة بناء الهيئة الاجتماعية والحاجة إلى معتقدات جديدة تتمشى مع التطورات الحديثة والتي عجزت الديانات المتوارثة أن تلم بها أو تسد تلك الحاجة إلى التجديد فالديانات المتوارثة لا تقوم على أسس ثابتة أو واضحة ومنظمة، ومن ثم لم تستطع الديانات التقليدية البقاء على حالها إلا في المناطق البعيدة عن العمران والتي يعيش أهلها بمعزل عن المدنية الحديثة وخاصة في القبائل الأصلية الزنجية .

أما في المناطق القريبة من العمران والمدن والمواصلات حيث يوجد المناجم والمزارع والمناطق التي في حاجة إلى أيد عاملة ، ومع تحرك الإنسان إلى هذه المناطق بدأ يسير التنقل الاجتماعي والديني سيرا واضحا ، ومن هنا بدأ الإحساس والشعور بالحاجة إلى دين يشجع فطرتهم الدينية ويريح اضطرابهم الروحي[1] .

أولاً : المعتقدات الدينية التقليدية عند البمبارا :

تركز كل القبائل الأنظمة سواء الاجتماعية أو السياسية أو الاقتصادية في القبائل الأفريقية جنوب الصحراء على فكرة الدين ،أي أن الدين يعد حجر الزاوية فيها وتعد هذه الشعوب من أشد شعوب الأرض تدينا .

تعد المعتقدات الدينية التقليدية عند البمبارا التي كانت سائدة قبل الإسلام بمثابة عادات وتقاليد مثلها مثل المتوارثات عن الأجداد وهي نتاج العلاقات الاجتماعية

(1)http://Islamic web. Com/bgml population .htm المرجع السابق

والمتوارثات القبلية ، وتعد البمبارا من أشد المجموعات العرفية في مالي خاصة والغرب الأفريقي عامة تمسكا بالمعتقدات التقليدية والعادات والتقاليد ولا يوجد في الوقت الحاضر سوى نسبة ضئيلة جدا ممن يعتقدون الدين التقليدي .

الدين التقليدي عند البمبارا :

* الإله الأعظم

تعتقد معظم الشعوب الافريقية بوجود إله متعال خالق للكون ولكنهم يختلفون في تقديم سلطته في تعريف أمور الدنيا . والفكرة السائدة بينهم هي أن هذا الإله يبعد بعدا شاسعا عن العالم بحيث يصعب على الناس الاتصال به ولذلك توجه العبادة إلى غيره من الآلة إذ أنهم المكلفون من قبله بالسهر على أمور هذه الأرض وهم رسله ووكلاؤه .

يعرف الإله الأعظم عند البمبارا باسم (فارو) faro وهو مخلوق من القديم الأزلي ، وصار إله الماء ثم تقلب على إله الأرض (بمبا) bmba ونظم شئون العالم ، هذا – الإله الأعظم قادر على كل شيء وخلق كل شيء ، هو الذي ينزل الغيث ويهب الحصاد ويمنح الخصب للإنسان ويعلم البشر فنونهم وصناعتهم وهو حافظ الأرواح ومصرف أمور الكون، كما يستطيع هذا الإله أن يظهر في أشكال عدة ، سواء كإنسان أو حيوان أو مظهر من مظاهر الطبيعة مكانه هو نهر النيجر ، وله عدد من الملائكة والجن يستخدمهم في كل مكان ولا يجوز أن يلوث محرابه طمث امرأة ولا يجيب دعوة الداعي إلا عن طريق الكهنة[(١)] .

وتتفق الديانة التقليدية عند البمبارا مع الإسلام في وجود خالق واحد أغلى وأسمى قادر على كل شيء ولكن تصورهم لهذا الإله يختلف عن تصور الإسلام .

أما عن تصورهم عن الشخص فهم يستخدمون للإشارة إلى الشخص أو التعبير عنه باستخدام Maa،May- الأولى تعني الشخص والثانية أهل الشخص وتشير العادات والتقاليد إلى أنه في البداية يوجد الـMaa ثم بعد ذلك الـMayaa فهم هنا يبدأون بالشخص كمركز ويمتد فيها إلى الباقية .

(١)هوبير ديشان – الديانات في أفريقيا السوداء – ترجمة أحمد صادق حمدي – دار الكتاب المصري . القاهرة .

وقد سبق هذا وجود آخر وهو الوجود الكوني ، حيث استقر الإنسان بهـذا الكـون في مملكة الحب والتناغم والتناسق التي تسمي Benke-so [١] .

وتتخذ العلاقة التقليدية بين الإنسان وربه بأفريقيا عدة أشكال البعض المقصود بما هو مقدس ، وكذلك الشعائر التي تـدعم ذلـك المقـدس تختلـف وتتنـوع طبقـا لنـوع وكينونة ذلك الإله، كما أن معظم تلك العلاقات التقليديـة المطروحـة هـي نتيجـة لمـا تريده تلك الآلهة وحسب أهمية كرمتها(الكرامات التي تفعلها الآلة للإنسان) لدرجة أن من يزور ذلك المجتمع يتساءل . هل هناك مكان لله في هذا المجتمع ؟

يمثل وجود الإله Mayaa،Maa وهو الله الملك الدائم الذي لم يخلق وهـو الـذي خلق كل شيء ، وهو وراء ذكاء الإنسان وهو موجود في كل شيء لأنه جزء من كل شيء في الكون ولا يمكن الوصول إليه كما انه قريب جدا من الإنسان ، والمسافة بـين العبـد وربه مثل المسافة بين الظفر واللحم ،ولكن المسافة بين العبد العاصي وبين ربـه بعيـدة كبعد السموات ، وهناك وسطاء لابد منهم بين العبد وربه[٢] .

*** عوامل الوساطة بين العبد وربه :**

نجد أنه طبقا للتقاليد يجب أن يحدد الثلاث عناصر الرئيسية للثالوث وهي :

١- القوى اللا مرئية التي تلهم وتوحي .

٢- عامل التحول والذي غالبا ما يكون عن طريق ظهور حيوان أسطوري .

٣- الرجل الذي يتلقى ذلك (الرجل أو الجد الأعلى أو المتلقي) .

وطبقا للتقاليد فإن مصدر تلك المعلومات مهما كان نوعها يجب أن يأتي من السماء ، لا يمكن لنا أن نفعل شيئا لم يأت من السماء عن طريق ماسا ديمبالي (وهو إله غير مرئـي) في الوقت الذي يحدده هو ، لذلك فهم لا يقولون « اخترع » الرجـل كـذا ، بـل نقـول : « اكتشف » أو « أعاد اكتشاف » ذلك الشيء .

---

(١)Hampato ، Amadou . Ba (1972) Aspects of African civilization (persomn ،culture ، Religion) chapter 1 . (http://Islamic web. Com/bgml population .htm)

(٢)Chapter 4 . Ibid

إن هذا الكائن الأعلى الأسمى من الصعب الوصول إليه وعبادته مباشرة لـذلك فهـم يلجأون لبعض الأفعال الوسائطية قرب السماوات negala kala يعظم في مكـان بعيـد جدا عن العبد المسكين Maanin ابن آدم لابد من وجـود وسـيلة تنقـل لـه الشـكوى والمرح وهي الأضحيات هي التي تحدد سعادة أو تعاسة المضحي .

وقد قسمت العوامل إلى مجموعتين الأولى عامة وطبيعية أما الثانية سرية وذات طبيعة خاصة

والكائن الأسمى لا يمكن تجسيده في هيئة حيوان أو نبات أو أي شيء كـالظواهر الطبيعية لأنه هو من يأتي بالظواهر الطبيعية « الرياح والأمواج والصواعق » وهذا الكائن الأسمى رهيب إلا أنه على الجانب الآخر رحيم ، كما أن الكلمات وحدها هي التي تؤثر عليه ، قد تجعله رحيماً ، فالكلمة هي التي تؤسس القواعد الرئيسية لتلك العوامل وقـد تحولها إلى بعض الأسحار .

ولا يقتصر الوجود الدائم للوسيط بين الإله والعبد فقط في العبادات وإنمـا نجـده في الحياة اليومية لشعب البمبارا ومالي ، فهم دائما يلجئون للوسيط من أجل تحقيق أمانيهم أو رغباتهم في شيء ما فهو المترجم لمشاعر هـؤلاء الأشـخاص ولكـل ملـك في بـامبرا مترجم خاص به حيث يطلق عليه « الفم المجيب The answering mouth » لذا فإن لكل إله مترجم خاص به والذي يعرف في عقيدتهم بالوسيط[1] .

***الأسلاف** The Ancestors :

نجد أن معظم الشعائر الدينية التي يمارسها الشـعب البمبـاري هـي محاكـاة بدائيـة لبعض الأفعال المستوحاة من ماسا ديمبالي Masa Dembali وهـو إلـه غيـر مخلـوق ودائم ، تلك الشعائر نقلت عن طريق سلسلة من الأجداد المتلقين للأوامر من هذا الإله ولا يقتصر هذا الأمر البمبارا فقط ولكنه يبدو أنه من الصعب إعادة تشكيل عقل الرجل الأسود الإفريقي بدون استشارة الأجداد وتنفيـذ أوامـرهم وتبجيـل الأجـداد أو عبـادة الأسلاف كما ذكرناها .

(1)http://pender.ee.upenn.edu/rabii.toes/Ba Aspects ch4 . 9-8-2008

والسلف دائما شخص مسن أو الجد الأعلى للقبيلة أو العشيرة ويكون أول من تداخل في علاقة مع قوى الطبيعة المرتبطة بالله ، فهم يظنون هذه القوى الطبيعية خارقة أو كائن ليس له مثيل (روح) أو حيوان أو ظاهرة كونية فلكية ويكون هذا الشخص قد تلقى نوعاً من المعرفة الخاصة من تلك القوى ثم نقلها إلى ذريته وعليه فإن الجد الأعلى (السلف) ساماكي Samake كان قد تداخل في علاقة غير مرئية مع فيل منفرد عظيم ، كما تداخل الجد الأعلى لديارا Diarra مع أسد بدون أسنان[١] .

وهناك أربعة عوامل طبيعية رئيسية بين العبد وربه هي : النار و الهواء والأرض و الماء ورغم ذلك فأن أقرب الوسائط وأكثرها شهرة وتأثيرا هم الأسلاف ، فهم قد أسسوا القرية أو أقاموا العشيرة حيث أن هناك علاقة دم تربط بين السلف وبين ذريته من الرجال فهناك إذن رابطة عاطفية وأخرى خاصة بالإرضاع ، كما تربطه بنسله من النساء ، لذا فهو مقدس . ومن الطبيعي أن يكون مقبرة هذا الجد العظيم بالقرية أو بقرب منزل العائلة حتى يكون أقرب لأهله من الكائن الأعلى الذي يسكن السماوات والذي يخشاه البشر ، ويمكن للرجل أن يتحدث مع جده بلغته الطبيعية ويذكره بأنه من ذريته ونسله ويسأله بعض الأشياء ، فالجد بإمكانه التحدث مع الكائن الأعلى والأسمى كما أنهم يفضلون الحديث مع الجد فكيف يصلون للرب فبينهم وبينه عقبات كثيرة سحاب وجبال ... الخ فقد يضيع صوت العبد بين السحاب والفراغ ولا يصل للرب (في اعتقادهم).

دائما ما يضحي الرجل بشراب من أجل جده قبل أن يطلب منه شيئا ، وهذه ليست بعادة دينية فقط بل أيضا هو واقع من وقائع الحياة اليومية . لذلك عندما يقوم أحد بزيارتهم أثناء إقامة تلك الشعائر فإن أول ما يحدث أن يقدم إليك الماء سواء كنت تشعر بالعطش أم لا ، ولا يتحدث إليك قبل أن تبلل شفتاك ، فلتشرب هذا الشراب أولا ، و كما أن من يشعر بالعطش يفقد روحه فذلك الذي يرفض الماء يرفض الحياة ويرفض أي فرصة من أجل إقامة علاقة طيبة[٢] ومن ثم الشرب أولاً .

(1) أسماء جدود Samake ، Diarra Ibid (http://Islamic web. Com/bgml population .htm
(2) www.princet.oral.com (Op-cit)

ويتحول الجد بعد موته إلى روح حارسة شريطة أن تكون ذريته قد أقامت له الجنازة المشرفة لروحه وقامت بالاحتفالات الخاصة باليوم الأول والثالث والسابع والأربعون بعد وفاته .

فالروح قد تحررت أخيرا من الجسد الذي يمثل عدم النقاء والطهارة فمجرد تحررها تصبح طاهرة نقية بعيدة عن أي شوائب من الحياة فتستطيع أن تستجيب لأى دعاء .

وعبادة الأسلاف عند البمبارا أن تتقمص الروح طفلا يسمى باسم سلعة ويحمل كتيبة وسفارة ويعتقدون أن روح جد الأسرة تحل في أحفاده ولا يليق أن يعيش الطفل مع أبيه تحت سقف واحد فإن سلطاته تتعارض مع سلطة والده وهو رب الأسرة .

يعتقد البامانا أن الرجل هو بذور من الكون تستخدم في الاحتفالات للسيطرة على البيئة فالرجل لا وجود له كفرد لكن كشخص ، فهو موجود مع أشخاص آخرين لتحقيق أغراض مشتركة ولكل منهم سلف ورموز خاصة به . يعتقد البمبارا أن الإناث رمز إخصاب الأرض سواء في أوقات الجفاف أو الحصاد والذكور هي الواهبة للحياة حيث أن سلالة أول رجل هي التي جعلت الأرض صالحة للزراعة وهو الذي أسس أول قرية ، فهو يحتل نصيب الكاهن الأكبر حيث يقوم بطقوس العبادة في الأرض ويدعو للجفاف في وقت اشتداد المطر لكي يرسل المطر بعيدا إذا استمر طويلا فهو يعتبر الزعيم الروحي التقليدي[1] .

*** عبادة الطبيعة (الحيوان – النبات – المعادن والأشياء) :**

الحيوان في عرف البمبارا نفسان (ني – وديا) مثل الإنسان العاقل ، فإذا قتل صيدا ما تعقبه روح تلك الفريسة في أنحاء الغابة لتنتقم ، منه لذلك يجب علي الصياد أن يؤدي مراسم خاصة ليقتنص فريسته ، ولكل أسرة قريب أو نسب ما من الحيوان يحرم عليها أكل لحمه ، والحدادون لهم القدرة على التحول إلى ما يشاءون من أنواع الحيوان .

***

(١)هوبير ديشان – الديانات فى افريقيا السوداء – مرجع سابق – ص ص ٣٣ – ٤٢ .

النبات والمعادن :

تزعم البمبارا أن النبات يسري به أحد جوهري الروح (تي) فلابد من إقامة شعائر دينية للاحتفاظ بهذا السر وكما تزعم أن الطماطم وحدها هي التي يكمن فيها الجوهر الثان(ديا) ويعتقدون أنها هبه الله لعباده ، وأنها سبب الحياة بحيث إذا أكلت منها امرأة وخصبت من نطفة الرجل أنجبت ، فهي تساعد علي الإنجاب.

عبادة الأرض والعناصر والنجوم :

تعتقد البمبارا في عناصر أربعة ، هي : الماء والهواء والتراب والنار ، إلا أنهم يعطون أهمية كبرى لإله الماء والنار ، فإذا فاض نهر سارعت القبائل إلى تقديم قرابين له ضارعين إليه أن يروي أراضيهم حتى يزرعوها . ويعد الماء مكملاً لقوة النار وليس ضده ، لأن النار تحدث بخار الماء الذي يرتفع للسماء ثم يعود إلى الأرض في هيئة المطر وتلك هي دورة الحياة .

العلاقة العرقية بين الكائن المقدس وظهوره :

إن فكرة القدسية عند الشعب البمباري هي فكرة « إيمانية » يحوطها الغموض وتوجد كلمات تعبر عن الكائن المقدس مثل nyama أو يفعل وهي تعبر عن كل ما يمثله من صفات أو مكان ظهوره وتنسب بعض الكلمات مثل nyama إلى الكبار في السن من وجهة نظرهم حيث يوجد الإله منذ بدء الخليقة وهو قديم جدا ، لذلك اختار أن يتجسد في هؤلاء الكبار ليصبح العمر الطويل من مظاهر القدسية . ففي بامبرا يمثل العضو الأكبر سنا لتجسيد العامل القوة المقدسة، ومن مظاهر القدسية أيضا أن يكون الإنسان عالي القامة Kora – Fa فعلو القامة كما في الجبال والأشجار هي أيضا موجودة في الإنسان وتتمثل فيما يملكه الإنسان، فهو من علامات القوة «Se» .

أن عبارة «Ngala akli . Korotu» وهي دعاء بعلو القامة ، ومعناها أدعو الله أو الإله أن يعلي قامتك

(مقامك) فهي يستخدمها شعب البمبارا ، وهي أيضا تستخدم في الإسلام والمسيحية.

وتعد هذه القوة مظهراً من مظاهر الحياة القدسية ، وعلى ذلك فإن صالح الأعمال كالأخلاق الحسنة واحترام الآخرين والإحسان إلى الضعيف ومساعدة الآخرين وحتى مساعدة الحيوان تعد إحدى وسائل الحياة لـ nyama وهي حماية من غضب ملك الكون العظيم ، والإنسان عليه أن يتهيأ لإحدى العقوبات العظيمة عن غضب الآلهة ، مثل تعرضه لبعض الأمراض الشريرة أو فقدانه لما يملك وفي بعض الأحيان الموت ببشاعة .

« وسيد السكين » هو أحد الآلهة ، وهو الوحيد المسموح له باختراق بعض القوانين الإلهية وذلك لأنه تعلم سر الكلمات حيث يقوم بتلاوة بعض المقدسات قبل أن يلمس أيا من تلك الأشياء المقدسة والتي تدب بها الحياة بمجرد أن يلمسها شخص ذو قوة فوق العادة يجب أن يكون له القدرة علي التحكم بها(١) .

وترتبط فكرة الوجود والحضور الدائم لبعض القوى الخفية بمناطق متعددة بفكرة وجود بعض الأرواح أو الجن (Jinn) فعلى الرغم من قوته العظيمة إلا أن هناك بعض الحقائق التي توحي بوجود بعض الاتفاقيات بين كل من أسلاف الجن مع البشر والتي تنص على أن يطيع هذا الجن البشر وذلك إذا استخدم هذا البشر بعض الصفات المعينة والتي تتوارثها الأجيال بعد الأخرى وهو مايعرف ب (تسخير الجان) .

تعرف الجان عندهم باسم دازيري Dasiri وهي التي تحرس الدور وأخرى تسمي سويا، تحرس الطرق وتقدم لها القرابين من ثمرة الكولا أو من خيوط القطن حتى يتخلص الناس من أذاها(٢) .

وجوهر العبادات عند قبائل البامبارا هي عبادة السماء وأركان الأرض الأربعة والجن ، كما يستخدمون من الحجر أو الشجر أو أماكن الماء محرابا لتريح الضحية وكل من وصل إلى سن البلوغ إذا كان رب الأسرة مالكا لمسكن أو أجريت له عملية الختان فهو أهل لأن يقوم بالتضحية ، ويضحي عادة بحيوان أليف

(طير – كبش – ثور) إلا إذا كان المتقرب صيادا فلابد أن يقدم حيوانا بريا ، ويلزم

---

(1)http://pender.ee.upenn.edu/rabii.toes/Ba Aspects ch4 . 9-8-2008

(٢)هوبير ديشان – الديانات في افريقيا السوداء مرجع سابق صـ٥٠ .

أن تطول مدة احتضار الذبيحة، لأن شكل حركاتها يتخذه العرافون للتكهن بالغيب ويوزع لحم الضحية على الحاضرين وفيه رمز الوحدة الروحية بين الجميع ، وفي الماضي كانت العادة أن تقدم ضحية بشرية في الأحوال الخطيرة التي تهم المملكة وكان الضحية في الغالب شخصاً أشقر اللون (عدو الشمس) وهو اللون الذي يفضله الإله فارو. ومن العبادات المنزلية التي تستهدف الاحتفاظ بالقوى الحيوية للأسرة ورفع كل خطر قد يصيب الجماعة واستقبال أرواح الموتى التي تحمل في أجسادهم ، وتخصص في البيت حجرة تضم المحاريب الخاصة بكل فرد منها وتضم أيضا المحاريب العامة للجماعة ، وتصور الأحياء جدرانها بصورة ترمز للأموات والأحياء وأجزاء الكون.

كما توجد شعائر جماعية للقرية توجه للآلهة (فارو) أو للأسلاف تقدم فيها أضحيات من الضأن أو الطير أو قرابين من القطن وثمر الكولا على أن يكون لها لونها أبيض .

وتقام العبادات الرسمية في نهاية كل شهرين تجمع قمامة القرية التي يزعمون أن لها قوى حيوية كثيرة ثم تحرق بعد ذبح الضحية ويقدم جزء من رمادها إلى الإله (فارو) والبقية إلى أعضاء مجلس(الكومو) الديني ، ثم يخلطونه بالطعام وتقدم الأضحيات قبيل موسم الأمطار وبعده حول شجرة مقدسة أو علي شاطئ نهر ويقترن هذا باحتفالات الغناء والرقص واللهو ، كذلك تقام شعائر لاستقبال العام الجديد وتوديع العام القديم ، والطقوس الزراعية لها المقام الأول ولها اهتمام كبير لديهم[(١)] .

فكرة نشأة الكون عند البامبارا :

يزعم البمبارا أن الكون كان في البداية فراغا هائلا يتحرك بحركة ذاتية حول محورين حلزونيين يدوران في اتجاهين عكسيين فانطلقت من بينهما قوة هائلة (زوZo) نشأ منها العقل (يو Yo) فلما دار الجهاز في الجهات الأربع الأصلية فتكونت منه عوالم أربعة ، فالعالم الحاضر هو الثالث ، وعالم المستقبل هو الاتجاه الرابع ، وعلى ذلك تكون قوة الذبذبة هي السبب في تكوين العالم ، ثم تبع ذلك نشأة المخلوقات ، أولها اثنان وعشرون عنصرا هي الخصائص العامة للكائنات ، وهي عناصر التفكير ثم سقوط مادة

(١)المرجع السابق ص ص ٥٥ – ٥٧.

ثقيلة هي (بمبا Pemba) في ذلك الفراغ فتولدت عنها الأرض ، وفي الوقت نفسه يقوم جانب من العقل (فارو Faro) يعلو فيحلق في السماء ثم تهبط هذه القوة من جديد على الأرض في هيئة مطر فتمدها بالحياة .

ويعتقدون أيضا أن الإنسان في بداية خلقه حيوان مائي خرج من الماء لذلك يعتقدون أن الصيادين (يوزو) هم أول المخلوقات ثم يتحول الإله (بمبا) وهو رمز الأرض وتربيتها إلى بذور (البالانزا) ثم يجرد (بمبا) من شخصه شخصاً زوجة (موسو كوروني) Mausso Koroni ويتولد الرجال فارو ويوجهون دعائهم إلى بالانزا وكان الرجال في بدء خلقهم مخلدين كلما بلغوا التاسعة والخمسين عادوا أطفالا في سن السابعة . وكانوا يعيشون عراة الأجسام كسالى لا يؤدون عملا ولا ينطقون إلا همهمة ولما طلب (بمبا) أن تقترن النساء كلهم به ثارت امرأته (موسو كوروني) وأعمتها الغيرة فأتت العالم صادقة منتقمة من الرجال والنساء تبتر أعضائهم التناسلية (أصل فكرة الختان والخفاض) الختان للرجال والخفاض للنساء أي أن فكرة الختان عند النساء موجودة في المجتمع من قبل الإسلام .

وبذلك انتشر الاضطراب في الخليقة وانتشرت التعاسة والموت بينهم ولونت الأرض وأخيرا ماتت موسو واكتشفت بمبا ما للدم من قيمة حيوية وطلب من الرجال أن يقدموا ضريبة من دمائهم ولما استنفدوا دمائهم لجئوا إلى (فارو) الذي أمر أن تتحول ثمرة الطماطم في أجسامهم إلى دم وإلى جنين.

ثم شن فارو حملة شعواء على بمبا حتى هزمه وأبطل عبادة (بالانزا) ولكن الشجرة أنذرت الناس بأنهم منذ اليوم لن يكونوا خالدين .

ثم انفرد (فارو) بتنظيم الكون بعد أن هزم سلطان المادة فخلق الليل والنهار والفصول والسماوات السبع وأجزاء الأرض السبعة وجعل الناس شعوبا وقبائل وبين لهم المحرمات ومنحهم الأقوات من البذور الثمانية وهو إله الماء وهو الذي يمسك في قبضته الينابيع الاثني عشر، سيطلقها يوما لتغرق الأرض تمهيدا للإتيان بخلق جديد هو عالم المستقبل .

وينقل (فارو) في هيئة زوبعة هائلة حلزونية الشكل كل أربعمائة عام ليرقب نظام

العالم ويرمز

(لفارو) هذا بقبعة مضفورة من ثمان دوائر كانت في القديم لباسا للملوك ، والاعتقاد في قوة الأعداد مشترك بين البامبارا والروحيين وكلاهما يعتقدون في رقم (٧) ويعتقد البامبارا أيضا في رقم (٧) ويزعمون أن به قوة سحرية [١] .

أسطورة خلق الإنسان عند البمبارا :

سيد الآلهة وهو Maa – Wgala وهو الذي قد خلق نفسه ، وهو الإله الأول ، ثم بعد ذلك قام بخلق عشرين مخلوقاً وهؤلاء العشرون كونوا العالم بالكامل فيما بعد ، ولكن وجد أن هؤلاء العشرين لا يوجد من بينهم من يستطيع أن يتحدث إليه ويقال له Kama – nyok [٢] لذلك قام بأخذ قطعة صغيرة من كل واحد من هؤلاء العشرين وخلطها معا ثم كون منها مخلوقاً رقم واحد وعشرين الذي كان هجيناً من كل العشرين السابقين وهو الرجل الذي أعطاه اسم Maa ومن ثم تنظر تقاليد البمبارا إلى ذلك الإنسان على أنه صورة مصغرة للعالم حيث أن جسده أو في جسد واحد وفي نفس الوقت استطاع أن يحتوي على قطعة من جميع الكائنات في العالم من حوله .

أما الجانب النفسي فهو معقد بعض الشيء ذلك لأن الجزء المعروف يمثل منه لا شيئاً بالنسبة للجزء غير معروف ، وسبب هذا التعقيد أن هذا الإنسان مع حصوله على الاسم المقدس الذي يمثل النصف الأول من اسم الإله (Maa) فإنه أضفى عليه صفة الأرواح و هو الذي أصبح مخاطب الإله أي الذي يخاطب الإله ويتحدث معه ، ومن ناحية أخرى فإن طبيعة تكوينه والطريقة التي تم تكوينه بها عن طريق عملية خلط وتهجين مجموعة من الأجزاء الأخرى جعلته ملتقى لجميع القوى الكونية الأعلى منها والأدنى .

حيث أن القوى المتنوعة والمتعددة التي تتجول حول العالم تختفي داخل ذلك الـ Maa وهي التي عملت على تكوين ذلك الشخص النفسي وهذا الجانب النفسي منبعث من روح الـ Maa نفسه .

---

(١)هوبير ديشان – الديانات فى افريقيا السوداء – مرجع سابق ، صـ٦٩ –٧٠ .

(2)http://Pender.ee.upenn.edu//rabii/toes/htm.

ويتضح هنا أن هذا الشخص ليس كائناً منغلقاً على نفسه ولكنه منفتح في العديد من الاتجاهات ، وهذه الاتجاهات خارجية وداخلية ، وهو دائما متصل بجميع المخلوقات ولا ينظر إليه على أنه منعزل أو مستقل عن غيره وأن عناصر الحياة متواجدة ، وأن الإنسان الذي يعيش في هذا العالم وغير منفصل عنه هو جزء منه ويحافظ على وجود علاقات وتبعيات واتزان مع الآخرين في العالم والـ Maa هو الذي يحمل بداخل نفسه عنصراً من كل الأشياء التي توجد في الكون هو الذي يعمل على حدوث عملية الاتزان في العالم الخارجي وفي الكون بالكامل وهذا جعلهم يربطون بين خصوبة التربة و انتظام الأمطار والتوازن في قوى الطبيعة وبين مقدار السوء أو الخير الذي يتم عمله من خلال الكهنة الدينية التقليدية[(١)] .

السحر عند البمبارا :

يستخدم السحر في البمبارا سواء كان مسلماً أو تقليدياً أو مسيحياً كلهم يستخدمون السحر بغض النظر عن ديانة من يستخدمه أو لمن يستخدمه نجد السحرة المسلمين يطلق عليهم المرابطين وهم الجماعة التي تقوم بالسحر وتستخدم كلمات القرآن الكريم .

أما التقليديون يستخدمون أوراق وشجر معروف لديهم ، يطحن مثل الدقيق ويخلط بالأكل أو الشراب[(٢)] ويستخدم السحر الكهان والمشايخ والقساوسة ولا يقتصر مهنة السحر على الكهان المحترفين ، بل توجد أساليب أخرى من السحر يزاولها الأفراد غير المحترفين إذا كانت تكمن فيهم قوى خفية تكشف لهم عن الغيب تجدهم مثلاً يستطيعون التكهن بالأعداد ، فالعدد اثنان وعشرون (٢٢) يقابل عدد العناصر المكونة للخليقة ، العدد (١) يقابله الإله فارو ، عدد (٢) للتوأم ، العدد (٣) للرجل ، العدد (٤) للمرأة ، العدد (٧) للكون. كل شخص في قبائل البمبارا يستطيع أن يستخدم الأعداد التي يصل إليها بطرق متعددة كأن يقيس طول ظله وقت الزوال بخنصره أو باستعمال

(١)Hampala Ba. Amadou . (1972) Aspects of African civilization ، Translated by Susan B . Hunt C. 1 (http://pender.ee.upenn.edu/rabii.toes/Ba Aspects ch4 . 9-8-2008)

(٢)إخباريين.

ثمرة الكولا أو بطرق الودع أو ضرب الرمل[1] .

استخدامات السحر عند البمبارا :

يستخدم البمبارا السحر في مواقف كثيرة منها :

* إتمام عملية الزواج بين الرجل والمرأة .

* التفرقة بين الزوجين ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ﴾.

* استخدامه في القتل كما يفعل الوثنييون (التقليديون) .

* يستخدم أيضا لإيذاء شخص أو امرأة بالعقم .

* يستخدم قبل الزراعة لقلة المحصول أو خراب الأرض .

* يستخدم للنفع بوضع البذرة وعمل تعاويذ وقراءات عليها قبل وضعها في التربة لزيادة المحصول .

* هناك أيضا سحر لزيادة الدخل وهذا السحر له طلبات مثل ماعز أسود أو دجاجة سوداء ويقرأ عليها التعاويذ وتدفن في مكان محدد وهي حية (علي قيد الحياة).

* يستخدم السحر أيضا لإيذاء أي شخص غير مرغوب فيه .

* وتستخدمه الزوجات أيضا لإيذاء أبناء بعضهن إذا كان بينهم خلافات .

* ويستخدم لجلب الفقر والمرض[2] .

الجمعيات السرية :

تعد الجماعات السرية جزءاً أساسيا، من البناء الاجتماعي ، قد تعمل هذه المنظمات ضد النظام الاجتماعي أو معه ، وهي عادة ما تكون من جنس واحد فقط إما نساء أو رجَال ، وفي الغالب تكون الأكثر شيوعا في مجتمعات الرجال كما توجد الجمعيات النسائية ولكنها قليلة في المجتمعات المحلية الصغيرة وهذه الجمعيات السرية لها

(١)هوبير ديشان . الديانات في إفريقيا السوداء ، صـ٩٢ ، مرجع سابق .

(٢)إخباريين.

شروط في العضوية ولها أهدافها وتكون واضحة وصريحة ومعلناً عنها وتختلف الأهداف باختلاف المجتمعات نفسها ، ولكن أهدافها نابعة من احتياجات المجتمع وفي خدمة الجماعة فهي أهداف إدارية ، تعليمية ، دينية ، عسكرية أو وظائف اقتصادية ، هذه الجمعيات لها تأثيرها الكبير واحترامها بسبب الاعتقاد العام بأن لها قوة سحرية كبيرة كما أن الاعتقاد بأن أعضائها لهم هذه القوة السحرية عليهم من خلالها السيطرة على باقي أفراد المجتمع[(١)].

والجمعيات السرية جمعيات دينية تنتشر في السودان الغربي (مالي حاليا) وتلعب دورا هاما في الحياة السياسية والاقتصادية التقليدية للقبائل وكلها تقوم على أساس ديني ، والمهمة الأولى لكثير منهاهي الاحتفال بعبادة الإله ، ويحتفل عند الانتساب إليها احتفالا يعرف باحتفال التلقية ويختص الأعضاء ذو المراتب الدينية الرفيعة فيها والذين يتميزون بمعرفة سر نظام الكون والرموز المقدسة معرفة تامة[(٢)].

وتعد جمعية كومو (Komo) من أهم الجمعيات السرية الدينية في Bambara بامبارا و تتكون من جميع المراهقين المختونين(الذين أجريت لهم عملية الختان) في القرية ورئيس هذه الجماعة حداد يتولى حراسة المعبد وإدارة شئون التراث القبلي ، ومعبدها الكبير يقام في كوخ يضم ثلاثة محاريب واحد للأنفس وآخر للبنات وثالث لإله الذرة .

وشعار الجماعة (قناع كومو) الذي يتميز ببشاعة المنظر حيث يدخل الرعب في القلوب فهو عبارة عن رداء أسود اللون له ذراعان ينتهيان بمخالب مسمومة ، ويقبل في عضويتها في وقت واحد كل من أجريت له عملية الختان في وقت واحد في دفعة واحدة ويقام كذلك احتفال ديني في الليل، وفي أثناء الاحتفال يشرح لهم الأدوات والآثار التي خلفها السلف ثم يلقنون مغذي القناع ونظام التشكيلات القبلية وتؤخذ عليهم عهود بألا يبوحوا بشيء من الأسرار التي لقنوها وينتهي الحفل بالتآخي، فتذبح عنز يشرب الجميع من دمها رمزا للوحدة الروحية . ويعد ذلك بمثابة طقوس للمرور لهذه الجماعة .

---

(1)londo Roat leg and Ke Gan Paul . Notes and Queries on Athroology . Broal way house . Carto Lane

(٢)الديانات فى افريقيا السوداء – مرجع سابق صـ ٧٨.

وتدور في هذه الجلسات مناقشات وسجلات حول مشاكل القرية والجماعة ، ثم تتلوها حلبة الرقص بالقناع ، وإذا باح أحدهم بأسرار الجمعية تجرحه مخالب قناعه ثم يعدم .

أهم أعمال هذه الجمعية (كومو) تنظيم الحياة في القرية ، خاصة المراسم الزراعية المقدسة واتخاذ القرارات السياسية وتنظيم العمل وإقامة العدل، ومجلس الكومو هو حارس التقاليد الاجتماعية والأساطير القبلية ويعتبر هو العمود الفقري في مجتمع البامبارا ، ولا تقبل النساء في عضوية هذه الجمعية(١) .

من أعمال الجمعية أيضا (Komo) أن لها سلطات روحية واسعة فهي تباشر المراسم الجنائزية حيث يقوم زملاءالمتوفى في المرتبة والسن بحمله إلى مقره الأخير ، ثم يناشده رئيس الجمعية بقوله « أتوسل إليك ألا تؤذينا ، فدعنا نعش في سلام ووئام ، وليكن زرعنا ناميا ومحصولنا وفيرا ، وامنحنا بركاتك فقد أعطيناك جميع حقوقك ونحرنا لك القرابين » وتنحر الذبيحة ويلقى دمها داخل القبر ثم تحرق بعض ممتلكات الميت ، السرير ، الحصير ، المشط ، الشعر ويوضع رمادها داخل القبر لتلحق به في الدار الآخرة وبعد ذلك ينصب محراب الميت في منزل أسرته ويدعم المسكن بعمود يمثل عميد الأسرة ومؤسسها.

ومن عاداتهم أنهم قبل بذر الحب لزراعة الأرض ينادون أسماء موتاهم ، وكل ميت يمثله وعاء كروي فيه كل الحبوب التي تطبخ وتصب عند مدخل المسكن حيث تنحر الذبائح ثم إنهم يقيمون كل عام حفلا حول قبور الأجداد ويشترك فيها لابسو الأقنعة بالرقص حول القبور(٢) .

* الفن عند البامانا أو البمبارا يستخدم لخدمة الدين ، فقد قام شعب البامانا بتطوير العديد من العادات والتقاليد الدينية واستخدامها في الجانب الديني ، من هذه الأعمال الفنية التقليدية صناعة الفخار ، النحت ، النسيج ، صناعة الأغراض الحديدية والأقنعة وهي موجودة إلى الآن، وتستخدم في الأسواق السياحية ، وأصبحت محل الاهتمام

(1)http://www.priceetonol.com/group/iad/lessons /middle /maskscoi (21-8-2008)

(٢)الديانات فى إفريقيا السوداء – مرجع سابق – صـ٢٤.

الأكبر حيث يتم تصنيع تلك الأدوات والأغراض التى تحتاج إليها تلك الأسواق ، وأصبحت هذه الأدوات تعكس بشكل كبير المعتقدات الدينية والشعائر التي يقوموا بها[1] .

ومن الأشكال الفنية لدى هؤلاء البامانا ما يسمى بقناع ntomo والـ tyi warra ، حيث أن قناع الـ ntomo يتم استخدامه من قبل الراقصين الذين يشاركون في احتفالات التكريس بينما الـ tyiwarra فإنه عبارة عن غطاء للرأس يتم ارتداءه من قبل هؤلاء الشباب من الرجال أثناء فترة الحصاد .

بالإضافة لوجود بعض التماثيل للبامانا والتي من أشهرها تماثيل الخصوبة وهي تماثيل لابد من تواجدها مع المرأة باستمرار وذلك من أجل الحفاظ علي خصوبتها بشكل مستمر .

بالإضافة إلى بعض التماثيل التي يتم تصنيفها لبعض الجماعات المهنية المختلفة .

الأقنعـــة :

تستخدم كثير من المجتمعات الإفريقية الأقنعة (الماسكات) وينظر إليها على أنها وسائط بين العالم الذي يعيشون فيه وبين العالم الآخر أو أنها الصلة بينهم وبين الآلهة وبين الأجداد وتستخدم هذه الأقنعة في المناسبات والاحتفالات ويرتدون معها لباساً مخصوصاً لكل قبيلة وكل قناع له سبب لارتدائه إفادة في وقت معين ، فهناك قناع خاص للزراعة وقبل الزراعة ووقت الحصاد وهناك قناع لإنزال المطر ، هذه الأقنعة منتشرة بشكل كبير في مالي وخاصة في بمبارا .

والقناع عبارة عن قطعة من الخشب يقوم بنحتها النحاتون وهم أناس متخصصون في ذلك ويترك ليجف في الشمس ، وبعد أن يجف يبدأ النحات بنحت السمات الدقيقة الخاصة بكل قناع وبعد ذلك يرسم بأصباغ من الفحم النباتي لإعطاء اللون الأسود ومساحيق مصنوعة من مواد نباتية أو أشجار لإعطاء اللون مثل الأصفر ومساحيق المعادن مثل الطين لإعطاء لون أبيض .

---

(1)http://www.zyama.conatribd.Art Bambara (Bamana) 8-7-2008

ويرمز للموت في معتقدات كثير من الشعوب الإفريقية باللون الأبيض بدلا من اللون الأسود[١] .

تستعمل قبائل البمبارا هذه الماسكات للحفاظ على التقاليد القديمة على الرغم من انتشار الدين الإسلامي في جميع أجزاء مالي تقريبا إلا أن هذه الماسكات تستخدم كشكل من أشكال الضبط الاجتماعي في المجتمع والتعليم . وتستخدم الأعمال الفنية التى تقدم على مسرح سيجو هذه الأقنعة لمحاولة ربط الماضي بالحاضر والحفاظ على التقاليد وكنوع من التعبير عن الرأي في بعض قرارات الدولة بالقبول أو الرفض في صورة كوميدية فنية بدون أن يتعرضوا للعقاب وهذا في رأي الباحث يدل على ذكاء هذا الشعب وليس العكس كما وصفته بعض الكتابات وخاصة الغربية[٢] .

Tyiwara (التشى وارا) : صور أرقام (٥،٦،٧) عبارة عن تاج يلبس على الرأس مصنوع من الخشب قاعدتة خشبية على مقاس الرأس مثبت عليها القناع المصنوع من الخشب على أشكال حسب المناسبة ، هناك شكل رأس طائر أو رأس حيوان ظبي (كما هو واضح في الصورة)

و تستخدم الـ Tyiwara في الاحتفالات الخاصة بالزراعة وهي من الاحتفالات المقدسة والنشيطة عندهم يتم هذا الاحتفال بان يلبس زوج وزوجة الغطاء علي الرأس ويغطون وجههم وجسمهم ويوضع التاج Tyiwara ويؤدون رقصات في الصباح الباكر في الميدان وتأتي امرأة من الـ Tyiwara أيضا تغني علي إيقاع الطبول والرجال يرقصون مرتدين القناع والحاضرون من الفتيات الصغيرات يصفقن ويهللن ، وتجري هذه الاحتفالات لإعطاء شخص محدد جائزة الـ Tyiwara وهو من المتميزين في الزراعة ، ويقام كذلك عند تنظيم مسابقات للشباب والرجال ، حيث يسمح للفائزين بارتداء غطاء الرأس لـ Tyiwara والذي يسلم كجائزة لصاحب عمل مميز سواء في الزراعة أو الصيد أو مسابقات الشباب والرجال ، ويأخذه لمدة عام وإذا استمر تفوقه للعام التالي عند إجراء المسابقة أو استمر تميزه في الزراعة أو الصيد يحتفظ به عاماً آخر ، أما إذا لم

(1)www.keen.com/community server/user/3log post / divine .

(2)http://www.ethnographica.com/african_art/Bambara_peopels _gallery .htm (8 -7 2008)

يحدث فإنه ينتقل للفائز (وبذلك يمثل وساماً يحفز على النشاط والنجاح) .

ويرمز Tyimara إلى أول مزارع عاش في البرية مع الوحوش وحاربهم وهو الآن يعطى للتشجيع على الزراعة للمزارع المثالي ، ويقوم الشيوخ وكبار السن بتلقين صغار المزارعين أهمية ال Tyiwara للحفاظ علي المعرفة والممارسات الزراعية والمهارات اللازمة لنجاح المزارعين لتوفير الاحتياجات اليومية لأسرهم وتعمل النساء أيضا في الزراعة كما قلنا سابقا بالإضافة إلى الأعمال المنزلية (١).

و بعد اعتناق الإسلام والتغيرات الحديثة في مجال العمل والالتحاق بالمدارس أصبح هذا الاحتفال يؤدى في الاحتفالات والمناسبات الرسمية فقط علي سبيل الترفيه ، فمنها ما يتم عمله من أجل المزارعين أو من أجل الصيادين ، فالبامانا ينظرون إلى تلك الأعمال الفنية التي يقومون بصناعتها على أنها تقوم بإرضاء وسعادة أرواح أسلافهم ، وهو الأمر الذي يمدهم بالقوة (٢) .

ويرتبط الفن واستخدام الماسكات عندهم بالحياة الاجتماعية واتصال الماضي بالحاضر هو مستخدم عند الماندي عامة Mande ، (كما أن الحديث عن الفن في مالي عامة وسيجو (البامبارا) خاصة يحتاج إلى بحث خاصة لإلقاء الضوء على هذا الجانب من حياة هذا الشعب).

ويميز أهالي سيجو (Segou) (مجتمع الدراسة الميداني) المعتقدات الصحيحة والخاطئة ، بل ويدركون ربط الماضي بالحاضر ، بالإضافة إلى أن سيجو ، البامانا ، النيوزو ، الوموقو ، الماراكا يضعون هذا الفن ضمن وسائل الترفيه كما أن المسرح وتاريخه ونشأته والقصص الأسطورية المتعلقة به وتاريخه الخاص في جميع أنحاء ولاية سيجو بعيدا عن جميع الأشكال المسرحية الأخرى في هذه المجتمعات و رغم أن الفنون تعمل على تأكيد وجهات النظر المشتركة بين الأسلاف والكبار والشباب والرجال والنساء .

ولقد أكد دور كايم على أهمية الشعائر والطقوس ، فالطقوس تعكس نظام المجتمع

---

(1)http://tribart.blogspot.com

(2)http://africa within.com/religion/inhtr.to.art:htm (30 – 11 – 2008)

وكأن الإله الذي يعبده الناس هو فعلا المجتمع أي يجسد القيم وقواعد السلوك التي يعتز بها المجتمع ، وتساعد الطقوس والشعائر الموسمية على تقريب أفراد المجتمع معا في جو مشحون بالمشاعر والعواطف وهكذا يشعرهم باتحادهم وتكاملهم وبضرورة التمسك بتلك القواعد التي تساعدهم على البقاء[1] .

كما أن بعض الطقوس الخاصة بالزراعة مثل طقوس إنزال المطر قبل الإسلام كانت تقام لها احتفاليات كبيرة في مكان مخصص كالمعبد ، يوضع الإله وهو عبارة عن تمثال صغير في وسط الساحة ، وتقدم له الأضحيات من البقر والماعز كل حسب قدرته وإمكانياته ، ثم تقام احتفالية كبيرة مصحوبة بالرقصات والغناء، وبعد الإسلام عرفوا صلاة الاستسقاء وهي معروفة لدى جميع المسلمين[2] .

هناك أيضا عادات وممارسات خاصة بالزراعة تدل على مدى تعاون أهل القرية وجميع أفراد الأسرة منها :

* وجود جمعية في كل قرية يتكون جميع أعضائها من الشباب ، ويرأسها أكبر الرجال سناً الوظيفة الأساسية لهؤلاء الشباب هي القيام بالزراعة ومساعدة أصحاب الحقول الذين لا يستطيعون الزراعة بمفردهم ثم إنهم يقدمون هذه الخدمة بأجرغالباً أو بوعد التعاون في الزراعة المرة القادمة أي يجتمعون كلهم في زراعة حقل شخص وغدا يجتمعون ومعهم هذا الشخص لمساعدة آخر وهكذا .

تقوم النساء وقت الزراعة بالغناء لحماسة الشباب وحثهم على العمل ، ويتم التعاون أيضا بين السيدات في الزراعة حيث يجتمعن لمساعدة بعضهن خاصة وأن الزراعة هناك ليست قاصرة علي الرجال بل يشترك فيها الرجال والنساء على السواء .

* ومن اللافت أنه لا يوجد تعاون واضح بين زوجات الرجل الواحد في أثناء الزراعة ، على حين تقتضي التقاليد أن 'تمنح الزوجة التي لا تنجب طفلا من الزوجة الأخرى وينسب لها وتقوم برعايته حتى يتزوج .

(١)لوس مير ، الأنثروبولوجيا الاجتماعية ترجمة علياء شكري وآخرين ، تقديم محمد الجوهري سنة ٢٠٠٦ ، صـ٥١ .

(٢)إخباريين ، مقابلة رقم ٤ بتاريخ ١٠/ ٧/ ٢٠٠٩

* وخلافاً للزراعة فإن التعاون يظهر واضحا بين زوجات الرجل الواحد في حالة زواج الأبناء، فتقوم زوجة أخرى غير الأم بتحمل احتياجات وأعباء الزواج لأن الأم تتكفل برعاية الأطفال وتربيتهم فقط ومن ثم نجد أن كل زوجة تتبادل الأدوار مع الزوجة الأخرى .

* ويقوم الأب بتلقين الذكور كل الخبرات الخاصة للصيد ، الزراعة ، الحدادة أما البنات فأنهن يمكثن في المنزل لمساعدة الأم في نظافة المنزل وإعداد الطعام وهكذا تعد البنت لتصبح أماً في المستقبل ، أما في حالة الزوجات التي تنجب ذكوراً فقط فأن العادة أن يرسل لها إحدى بنات الزوجات الأخريات لتقوم بمساعدتها ، ولديهم مثل لذلك يقولون فيه :« الأبناء ملك للمنزل وللذين يقيمون فيه » فهم يخدمون كل من في المنزل : أمهم وزوجات أبيهم وأخواتهم ويراعون الصغير سواء كان شقيقاً أو من زوجة أخرى(١) وتربط الفنون الماضي بالحاضر وتنتقل من جيل إلى آخر حيث تقوم بتعليم الشباب المهارات الضرورية

لهم حتى يتحولوا إلى رجال اجتماعيين يقدمون المجتمع ولديهم القدرة والسيطرة علي بعض المشاكل وبعض أنواع التوتر التي تنشأ بين التقاليد والحياة المتغيرة وكذلك بين الفردية والجماعية (٢).

ثانياً : المعتقدات التقليدية والتنشئة الاجتماعية

تتميز المجتمعات الإفريقية بوضوح النزعة الدينية وتأثيرها البالغ فى مجمل الحياة الإفريقية في مجالاتها المختلفة سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو قرابية ، كل هذه المناشط الاجتماعية ترتكز علي أسس دينية وتصاحب ممارستها شعائر وطقوس دينية معينة فهي تتغلغل في نفوس أعضاء المجتمع ويقدسها الجميع ويمارسون هذه الشعائر والطقوس برضا وسعادة بالغة .

يذهب علماء الأنثروبولوجيا إلى اعتبار الدين إحدى السمات الهامة أن لم يكن هو السمة

(١)إخباريين بتاريخ ١٩/ ٧/ ٢٠٠٩م

(2)noldi‹Mary Jo. (1995) playing with time : art performance in central Mali . Indian university PP . 185 – 18

الأساسية التي تميز الجنس البشري عن غيره من الكائنات ، وأكدت الدراسات أنه لا يوجد شعب واحد من الشعوب المعروفة لا يتوفر لديه نسق متكامل وإن يكن بسيطا من الأفكار والمعتقدات والممارسات التي تعكس كثيرا من الملامح المميزة لمفهوم الدين .

وهناك عناصر أساسية مشتركة بين كل الديانات المعروفة سواء كانت ديانات بدائية أو ديانات تقليدية ارتبطت بالحضارات والثقافات والمجتمعات القديمة العريقة أو الأديان السماوية، هذه العناصر هي :

١- الإيمان بوجود قوى غيبية إعجازية عليا تسيطر على مقدرات الإنسان والكون .

٢- الإحساس بمزيج من مشاعر الرهبة والخوف والتمجيد والإجلال إزاء تلك القوى الخفية الإعجازية المسيطرة

٣- جود نسق من الأفعال والممارسات التي تعبر عن هذه المشاعر والأحاسيس والتي تكون موجهة بالضرورة نحو تلك القوى الخفية الإعجازية[١] .

من أهم المجالات الاجتماعية التي يرتبط بها الدين بالمعتقدات التقليدية هو مجال التنشئة الاجتماعية ، وهي العملية التي تتم أساسا مع الأطفال وتتوجه في المقام الأول إليهم ، فالطفل يولد وليس لديه أية عادات اجتماعية ولا ارتباط بمجتمع معين ، لذلك تأتي عملية التنشئة الاجتماعية لتضع له المعايير التي يعرف بها مسلمات مجتمعه والقواعد السائدة وما يعتبر عدلا وحقا واجبا وممنوعاً وسلوكا مباحا أو سلوكا محظورا وقوة محمودة في الخلق أو ضعفا مذموما فيه .

تعد مرحلة التنشئة أساس الارتباط العاطفي بين الشخص وبين مجتمعه ، ويعد في الوقت نفسه مصدرا أساسيا من مصادر استقرار النظام السياسي والاجتماعي لما يترتب على التنشئة المخطط لها من ثبات القيم التي نظمتها وتشجع عليها أو توجه إليها الفرد نفسه وصعوبة اقتلاعها أو تقييدها[٢] .

ومن خلال مجتمع الدراسة مجتمع البامبارا نستطيع أن نلقي الضوء على أثر

---

(١)أحمد أبو زيد – المجتمعات الصحراوية ط٢ – من منشورات المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية – القاهرة . ١٩٩٣ صـ٩٩ .

(2)http://www.ensan.org.sa/ub/showthread.php? 24-12-2008

المعتقدات التقليدية في التنشئة الاجتماعية قبل تحولهم إلى الإسلام كذلك لنتعرف على بعض من هذه المعتقدات التي مازالت موجودة برغم دخول الإسلام .

يؤكد مجتمع البامبارا على أهمية فترة الطفولة المبكرة في حياة كل شخص ، فهو يراها طوراً مهماً من أطوار الحياة خلال السنوات الأولى من عمر الطفل ، يعمل كل من الرجال والنساء سويا على تأهيل الطفل اجتماعيا طبقا للقوانين العرفية للبلاد ويقع العبء الأكبر على النساء (الأم) .

ويحتم المجتمع على الأم برغم عدم تعليمها واجبات غير عادية ومسئولية كبيرة لإنشاء وتربية الطفل حيث لا تولي المجتمعات الإفريقية الحديثة والقديمة تعليم الإناث في سن مبكر أي اهتمام، والسبب الرئيسي في ذلك هو الدور الكبير الذي تلعبه الإناث بعد الزواج في تربية الأولاد وتحمل مسئولية الأسرة بما فيهم الزوج . وهي مسؤولية تنقلها الأم للابنة من خلال عملية التنشئة الاجتماعية .

دورة الحياة بالنسبة للفرد :

تتشابه الممارسات والمعتقدات التقليدية في تنشئة الأطفال أو التنشئة الاجتماعية في مجتمع الدراسة البمبارا و كثير من المجتمعات الأفريقية الواقعة جنوب الصحراء وهى بعض مجتمعات ناميبيا وزامبيا ومالاوي ونيجيريا(١) .

ينظر للأطفال في جميع الثقافات على أنها ذات قيمة عالية ، ففي مالي ينظر للطفل على أنه هبة سماوية واجتماعية ومادية كما تنظر كثير من المجتمعات التقليدية إلى الطفل على أنه جزء من الكون قبل أن يولد والبعض الآخر ينظر إلى الطفل على أنه هدية من عند الله وهو التاريخ الاجتماعي وحيازة المجتمع .

في نيجيريا يعد الأطفال سبباً رئيسياً وحافزاً على الزواج وإنجاب الأطفال ، وفي زامبيا يكون للطفل أهمية كبرى من قبل الآباء والأمهات ، فهو يعتبر نوعاً من الاستثمار(٢) .

(١)The constrative Group On Early Childhood Care And Development(1999) Childrearing Practices In Sub – Saharan » Africa : Introducation to the studies – Notebook No. 15»

(٢)Judith L. Evans (1994) childrearing practices in sub – saharan African introduction to the studies N. 15

أما في البمبارا فالأطفال هي السبب الرئيسي للزواج ، حيث يسعى الشباب والبنات إلى الزواج لإنجاب الأطفال، والسبب الرئيسى لإنجاب الأطفال هو مساعدة الأبناء لآبائهم ، حيث يعلم الأب لابنه كافة المهارات الخاصة في الزراعة أو الصيد أو الحدادة والرعى ، أما الإناث فتتعلم من الأم جميع الأعمال المنزلية ومراعاة الإخوة الصغار.

وتتمركز معظم الأهداف المتعلقة بالطفل من جانب الآباء والأمهات حول تنمية المهارات الاجتماعية المناسبة والقيم الإنسانية ، ومن هذه المهارات الاجتماعية احترام كبار السن ، التعاون والاجتهاد والمشاركة في العمل وفي المنزل ، المنزل للإناث والحقل للذكور ، ومن المهم في التعليم الطاعة ، وينبغى على الطفل التمسك بتتبع التقاليد الثقافية علاوة على ذلك تعد الشجاعة والمثابرة والكرم والاعتماد على الذات والعمل في المنزل والحقل من الصفات المرغوبة في المجتمع المالي بصفة عامة.

ويؤثر تعدد الزوجات في هذه المجتمعات على عدد الأطفال الذين يولدون ، ومن أهم علامات نجاح الزواج الأطفال وبالتالي فإن هناك غيرة بين النساء في إنجاب الأطفال ، ومن ثم فأنهم يرجعون وفاة الرضيع في الغالب إلى السحر ويتهم فيها الزوجات الأخريات بسبب الغيرة بين الزوجات وبعضهن.

وتولي كل الثقافات أهمية كبيرة لإنجاب الأطفال ، وهناك العديد من المعتقدات والطقوس التي تدعم الولادة والتربية وصحة الطفل في أوقات مختلفة في حياة الطفل .

تربية الأطفال والممارسات والمعتقدات المتصلة بالحمل :

هناك بعض الممارسات التي تقوم بها المرأة قبل الحمل في حالة إذا تأخر الحمل في مجتمع البمبارا والتي تختلف من شخص إلى آخر ، منهم من يذهب إلى المعالجين الشعبيين فيعطي للمرأة أعشاباً أو أوراق شجر مجردة تشربها لكي تعجل بالحمل ، ومن الوثنيون من يذهب إلى المقابر والأماكن المقدسة أو إلى شجرة مقدسة وينذر لها نذراً أن حدث الحمل ، ومن النذور أن يتوعد الشخص أنه إذا رزق حملاً ، فسوف يطلق على المولود اسم الإله أو اسم المكان ، لكن الأغلبية العظمى من البمبارا من المسلمين يلجئون إلى الطب الشعبي والمشايخ والأعمال أو فعل أي شئ بعيد عن مخالفة الشريعة فمثلا الطب الشعبي والنباتات ورجال الدين والأعمال وفك السحر وفك العمل

والحماية من الحسد والعين الشريرة هذه كلها ليست مخالفة للشرع من وجهة نظرهم . وهناك القليل من القيم العملية البيولوجية والمعرفة العلمية لإنجاب الأطفال فإذا أنجب طفل ذكر وكان في حالة جيدة فهذا ينسب إلى الأب ، أما إذا ولد الطفل وكانت أنثى في حالة صحية سيئة فإن هذا ينسب إلى المرأة . فالمرأة والخطأ في هذه المجتمعات على صلة وثيقة ودائما يربط بين المرأة وبين أي خطأ أو مرض ، ذلك لأن مجتمع البمبارا يؤكد على قيمة الرجل وقوته بالمقارنة بالمرأة .

ومن الممارسات التقليدية المباعدة بين الطفل والذي يليه (تنظيم النسل) و يرجع ذلك إلى الرعاية بالرضيع واعتقاد الأمهات التي ترضع رضاعة طبيعية أنه لا ينبغي أن يحدث حمل أثناء الرضاعة اعتقادا منهن بأن حليب المرأة المرضع شيء خطير وسيئ في حالة الحمل وأثناء الرضاعة ويصل سن الرضاعة إلى ٣ سنوات ولا يحدث حمل أثناء هذه الفترة ، وإذا حدث تقوم المرأة بالإجهاض اعتقادا منهن أنها بذلك تستطيع تكملة رضاعة الطفل الرضيع ، لذلك نجد أنه في كثير من المجتمعات ترفض السيدات الاتصال الجنسي أثناء الرضاعة ومجتمعات أخرى تمنع ذلك مدة شهور الحمل اعتقادا منهن أن الاتصال الزوجي أثناء الحمل والرضاعة يصيب الطفل بأمراض خطيرة ، وهذا يعد من أسباب تعدد الزوجات فليس هناك ضغط على المرأة في علاقتها مع زوجها حتى يبلغ الطفل سن الفطام[١] .

وهناك بعض الممارسات في غذاء المرأة الحامل عند البمبارا ، حيث ينصحون بأكل الطماطم بمجرد أن تتزوج الفتاة اعتقادا منهم أن الطماطم تعجل وتساعد في عملية الحمل وعند الاتصال بالرجل يؤدي ذلك إلى الحمل ، كما يحرم علي المرأة أكل التوتو وهو حيوان سريع خوفا على الطفل أن يصبح سارقاً ، لأن هذا الحيوان من الحيوانات التي تسرق طعامها .

وفي نيجيريا يحرمون على الحامل أكل اللحوم اعتقادا أنها تضر بالجنين ، أما في ناميبيا فأن الحامل لا تأكل البرتقال وإذا أكلت البيض يولد المولود بدون شعر ، وإذا أكلت السمك فإن عين الطفل ستكون مثل السمكة ، وإذا أكلت الدجاج فإنه سوف تكون له

(1)Judith L . Evans (1994) childrearing practices in sub – saharan African introduction to the studies N . 15 N. 15 . – op_cit

بعض الصفات السيئة مثل الميل إلى السرقة ، هذه المحرمات تعرفها نسبة كبيرة جدا من المجتمعات التقليدية في جنوب الصحراء[1] .

وهناك بعض الاعتقادات التي تتعلق بالمرأة الحامل في بعض المجتمعات الإفريقية ، منها عدم الخروج في المساء خوفا من الوقوع تحت تأثير العين الشريرة ، وعدم الكشف أو التوقع عن موعد الولادة لأن ذلك يعرض الطفل للخطر ، أما في مالي فأنه لا يوجد أساسا أي تغير في نشاط المرأة الحامل ، حيث إنها من بداية الحمل إلى الولادة تساعد في الزراعة وتساعد الرجل وتقوم بمراعاة شئون المنزل ومراعاة الصغار الذين يوجدون في المنزل ومراعاة شئون الأسرة وعمل البستنة والزراعة فيها ، فلا توجد أي مساعدة من أحد ، إلا إذا كان هناك مساعدة من بناتها إذا كان لديها بنات فهم يقومون برعاية الصغار والعمل معها في المنزل .

الولادة والتسمية :

هناك مجموعة من الممارسات والمعتقدات المحيطة بالولادة ، ولكل مجتمع ممارساته التي يحتفظ بها أفراد المجتمع أنفسهم ، والمسئولية الأولى في الولادة تقع على عاتق القابلة التقليدية ، فهي تقوم بدور حاسم في ضمان بقاء الطفل والأم في صحة جيدة ، ويشارك في عملية الولادة سيدات من الأسرة ومن أهل الأم الحامل

وبعد الولادة تمكث المرأة أربعين يوما في المنزل في راحة لا تمارس فيها أي نشاط من الذي كانت تمارسه أثناء شهور الحمل أو أثناء يومها العادي قبل الحمل والولادة ، فلا تمارس إلا الأعمال البسيطة جدا ويتركز اهتمامها الأساسي بإرضاع الرضيع رضاعة طبيعية .

هناك ثلاثة أنواع من الولادة التي يمكن أن تحدث وهي :

الأولي : وهي الإجهاض أو «Ji – bon» و يعتبر سوء حظ أو نحس تتعرض له المرأة.

الثانية : وهي عبارة عن الميلاد أو الولادة التي تحدث بشكل كامل وتسمى

Ibid N.15(١)

banagin وهي تعتبر حدث سعيد ليس للآباء فقط ولكن للقرية ككل .

أما الثالثة والأخيرة : فهي الولادة التي تحدث بعد تسعة أشهر وسبعة أيام و تسمى nyanguan أو menkono و ينظر إلى المولود على أنه فوق العادة ، حيث أن يجعلونه بمثابة القديس أو الكاهن، لأنه قد أتى إلى العالم ولديه طاقة هائلة [1] .

أما عن التسمية في جميع الثقافات فإن هناك احتفالاً لتسمية الطفل ، فاختيار اسم الطفل له أهمية كبيرة من حيث النسب ومن حيث أن الاسم هو بمثابة وصف للطفل أي يحمل إحدى صفاته .

أما في البمبارا فإنهم لا يطلقون الاسم على الرضيع إلا في اليوم السابع للولادة وبعد فحص الطفل والاسم الأساسي للطفل هو اسم جده ثم يضاف إليه أسماء وألقاب أخرى والمسئول عن هذه التسمية هو كبير العائلة . اما التوأمان ينظر إليها علي أنها بركة وخير من الإله .

وصف لاحتفال بتسمية المولود :

يقوم البمبارا في هذه المناسبة بعمل احتفال كبير ويأتي أهل القرية أو القبيلة أو الحي إلى منزل أم المولود من الصباح الباكر ويبدأ الاحتفال في أول النهار باختيار اسم المولود ثم تقوم النساء بعمل وليمة كبيرة تكفي جميع الحاضرين ، وتشترك جميع النساء الموجودات في الحفل بعمل الوليمة ويبدأ الاحتفال بعد تناول الغذاء في النصف الثاني من اليوم ، وتقدم النساء الهدايا لأم المولود وهي في الغالب هدايا تم صنعها بواسطة النساء أنفسهم ، وتقدم القهوة والحلوى ، وبعض العائلات تأتي (بالجيلي) وهو المداح ومعه آلات موسيقية يطلق عليها Balanel وهي مصنوعة من شجرة مخصوصة اسمها Gelen ويبدأ في الغناء والمدح ، ومن الممكن إعطاء هذا المداح نقوداً ويقوم بمدح الذي يعطيه النقود وعائلته (هذا المداح على دراية كاملة بالعائلات ونسل كل شخص من الحاضرين) .

وفي نهاية اليوم ينتهي الحفل على ذلك ، وتنزل الأم مع رضيعها لتستريح ، ولا تزاول

(1)http://pender.ee.upenn.edu/rabii.toes/Ba Aspects ch4 . 9-8-2008 - Op-cit

الأم نشاطها الأسرى المتعارف عليه إلا بعد ٤٠ يوما ويبتعد عنها زوجها طوال فترة الرضاعة كما سبق وهي في الغالب لا تقل عن عامين ، وفي بعض الأسر تكون أكثر من ذلك حتى تصل إلى ثلاثة أعوام .

وفي المناطق الريفية تستخدم الأدوية التقليدية والوصفات الشعبية والأعمال لطرد الأرواح الشريرة ، ويتم التشاور بين الناس بعضهم البعض في جميع مناحي الحياة ، ونادرا ما يستخدم العلاج الغربي أو التوجه إلى العيادات ، وفي هذه المناطق برغم علم الأم بأهمية التحصينات اللازمة للطفل في هذه المرحلة وهذه التطعيمات تؤخذ في الوحدات المحلية في كل قرية لها وحدة خاصة بذلك إلا أن الأم لا تذهب إليها بل تنتظر إلى أن تذهب إليها ممرضة من الوحدة الصحية تطرق عليها الباب لكي تطعم طفلها ، وإذا لم تذهب الممرضة أو عاملة الوحدة فأنه لا يتم تطعيم الطفل . كما أن الحالة الاقتصادية المتدنية والفقر يؤدي بهؤلاء إلى اللجوء للعلاج الشعبي لأنه مجاني أو بمقابل عيني بسيط .

أما في المناطق الحضرية فإن التوجه إلى العيادات والمراكز المحلية للاستشفاء وأخذ العلاج الغربي يتوقف على مدى السهولة في الحصول عليه أي مدى قرب المركز أو الوحدة العلاجية والسهولة المادية في الحصول على العلاج وإذا كانت هناك صعوبة في أيهما فإنه يلجأ إلى الطب الشعبي وفي الغالب الجميع يبدؤون بالطب الشعبي والوصفات ، ولكن عندما يفشل الأمر يذهبون إلى الوحدة .

وفي المناطق الحضرية يهتم معظم البمبارا بالتحصينات الخاصة للأطفال وتقل النسبة في المناطق الريفية

والتغذية: سمة أساسية لنمو الطفل ، بمجرد إتمام عملية الولادة تتولى الأم الرضاعة الطبيعية بشكل سليم في العامين الأول والثاني للطفل ، وهذا ليس في بمبارا فقط وإنما في جميع الثقافات في إفريقيا عامة ، وطريقة حمل الطفل على ظهر الأم أيضا معروفة في بامبارا مثل معظم المجتمعات الإفريقية ، تحرص الأم على الرضاعة الطبيعية للطفل وأيضا المجتمع كله حريص على ذلك ، ذلك أنه في حالة فقدان الطفل لأمه لأي سبب كالوفاة أو غيره من الأسباب (وإن كان هو السبب الرئيسي) فأن الطفل يعطي لإحدى

السيدات من عائلة الأم لتقوم بدور الأم المرضع البديلة . ونشير هنا إلى أن الوفاة هي السبب الوحيد لفصل الأم عن طفلها حتى إذا حدث انفصال بين الأم والأب وكان معها رضيع فإنها تأخذه إلى أن يتم سنوات الرضاعة كاملة ، ثم يأخذه الأب بعد ذلك ليقوم بتربيته مع باقي أفراد أسرته وحينئذ تعد عملية التنشئة الاجتماعية من المهام التي يقوم بها الرجل .

وفي خلال فترة الرضاعة الطبيعية لا يمنع الطفل الرضيع من تناول بعض الأغذية ، ولكن ذلك لا يتم إلا بعد الشهور الثلاثة الأولى فمثلا في اليوربا تدخل النساء بعض الحبوب ، في ناميبيا يدخل الغذاء بعد الشهر السادس ، وتكون الأم حريصة على أن يكون للطفل ثلاث وجبات يومية(1) .

وفي مالي أيضا يسمح للرضيع ببعض الأغذية خاصة بعد ظهور زجاجة الرضاعة وهي تستخدم في المدن وبعد الشهور الثلاثة الأولى يمكن للأم أن تعطي ابنها بعض الأغذية مثل بعض الحبوب والأرز وهناك أغذية كتمهيد للفطام ، تعطي للطفل ، وهي مثل أغذية الكبار ، ويوجد في الفطام أيضا بعض المحرمات من الأغذية مثل تحريم أكل البيض للأطفال في سن الفطام وكذلك الأطعمة المحلاة (المسكرة) واللحوم أيضا .

أما عن طريقة الفطام فهي الطريقة المتبعة في أكثر الثقافات ، وهي أكثر الطرق شيوعا، ألا وهي إنهاء الرضاعة الطبيعية فجأة وإبعاد الطفل من الأم حيث يرسل الطفل في مالي بعيدا عن أمه ليلة وضحاها ، فيكون رد فعل الأطفال للفطام المفاجئ هو البكاء بكثرة ، أما عن رد فعل الأمهات فأنه لا يوجد رد فعل منهن، ثم أن بعض الأطفال يرفضون تناول الأغذية البديلة و يستمر هذا الوضع إلى أن يرضخ الوليد ويمتثل الطفل للأمر الواقع .

تنشئة الأطفال من سن ٣ – ٦ سنوات :

تركز التنشئة الاجتماعية في مالي عامة على الطرق والممارسات التقليدية التي تؤثر على النمو المعرفي للطفل وهذا يتضح من خلال الألعاب التقليدية والأغاني والقصص ،

(1)The constrative Group on Early Childhood cave and Development (1991) N. 15

خاصة وأن كثيراً من الألعاب التقليدية تعزز النمو المعرفي والحفظ عن ظهر قلب .

ويتم تشجيع تطور اللغة من خلال استخدام اللغة الأم مع الأطفال والتحدث إلى الأطفال من لحظة ولادتهم كما أن الطفل من ٣ – ٦ سنوات ينمو واعيا من خلال اختلاطه بالأطفال الأكبر سنا ومن خلال رواية القصص والأغاني .

أما أطفال البامانا/ بمبارا فلهم مهام محدودة وهي تجري في سن مبكرة ، هذه المهام موزعة حسب النوع فمثلاً الأولاد التي تزيد أعمارهم عن أربعة سنوات عليهم رعاية الحيوانات والدواجن وتعلم العمل اليدوي مثل عمل الحصير والنسيج وقطع التسقيف بالقش ، أما البنات فمن المهام المخولة لهم مراعاة الطيور وتقديم الحطب للمسنين والمشاركة في رعاية الإخوة الصغار والمشاركة في بعض الأعمال المنزلية اليومية مثل الغسيل وجلب المياه وجمع الحطب واستحمام الرضيع .

وفي حالة عدم قيام الأطفال بهذه المهام فأنهم يعرضون للضرب والتوبيخ والنسبة الأكبر من الآباء يستخدمون الضرب ، مع ملاحظة الفرق في المعاملة بين البنين والبنات ، فالأولاد البنين في حاجة إلى المزيد من العقاب الشديد والشدة في المعاملة أكثر من الفتيات .

وهناك عدة مراحل يمر بها الطفل إلى أن يصبح رجلا ويمر بمراحل متعددة حيث يكون لكل مرحلة مرحلة تقابلها في درجة من التكريس ، الهدف من عملية التكريس هو تزويد ذلك الشخص من الناحية النفسية قوة عقلية وأخلاقية و تحكم تصرفاته وتساعده على الإدراك الكلي والأمثل للشخص .

وطبقا للتقاليد فإن حياة ذلك الرجل العادي تتكون من مرحلتين كبيرتين : إحداهما تصاعدية حتى يصل إلى عمر ثلاثة وستين عاما ، أما الأخرى فهي تنازلية حتى عمر مائة وستة وعشرين عاما ، حيث أن كل مرحلة من تلك المراحل تتكون من ثلاثة مقاطع كبيرة كل منها واحد وعشرون عاما، تمثل ثلاث فترات كل منها سبعة أعوام، حيث أن كل جزء من أجزاء الواحد وعشرين تمثل مرحلة من التكريس ، و كل فترة من فترات السبع سنوات تمثل مدخلاً إلى تطور شخصية الفرد .

إن مرحلة الواحد وعشرين تمثل مرحلة هامة جدا ومدخلاً هاما جدا حيث إنه هو

عمر الختان الشعائرى والتكريس إلى احتفالات الإله وخلال الواحد والعشرين عاما الثانية من العمر يعمل الرجل علي تنمية وإنضاج كل ما تعلمه خلال الفترات السابقة من عمره ، وعندما يصل إلى عمر الثالثة والأربعين فإنه يفترض أن يكون قد وصل إلى النضوج والبلوغ الكامل ، وبما أنه في خلال تلك المرحلة يكون له الحق في التحدث فإنه يبدأ في التحدث إلى الآخرين ويعلمهم كل ما تعلم في خلال حياته، ويقوم بنقل كل خبراته إليهم ولا يتم منعه من فعل ذلك. كما أن شخصية الإنسان هذه لم يتم النظر إليها على أنها وحدة واحدة إلا في جسده ولكنه مخلوق معقد يمثله بالعديد من المخلوقات في تحرك مستدر .

الشعائر التقليدية عند البامبارا :

اعتاد الإنسان في البمبارا أن يهتم ويراعي كل حركاته وسكناته وكلماته طبقا لما يحيط به من قوى مختلفة تسكن وتحرك كل الأشياء ، فهو يحترم جميع القوانين التي تحرم وتحكم علاقته بكل ما يحيط به من قوى ، فهو لا يقطع شجرة قبل أن يسأل القوى التي تسكن بالأوراق أن تترك المكان ، ولن يقضي حاجته قبل أن يستأذن السكان غير المرئيين (الجان) بالمكان أن يسمحوا له بذلك فيتركوا تلك البقعة ، فحياته بأكملها تسير طبقا لعدة قوانين وعدة طقوس قد توارثها عن أسلافه والتي كانت مستوحاة من أحد الآلهة في الزمان الماضي . فالحياة الدينية والزواج و العائلة وحتى الطعام ، كل شئ له قانونه الخاص فلم يترك شيئاً للمصادفة(١) .

الــزواج :

وظيفة الزواج في المقام الأول هي إرضاء آلهة العشيرة تلك التي قد فرضتها التقاليد ، وقد تختلف العادات من مجموعة إلى أخرى ولكن تبقى الحقيقة ، وهى أن ما يهم بالفعل هو السلوك وليس الجنس في هذا الموقف، لأنه عادة ما تتم العلاقة الجسدية من أجل إرضاء وإسعاد آلهة العشيرة وهذا يوضح أن أغلب الزيجات التى تحدث لا تحدث إلا لإرضاء الأهل والآلهة ، إلا أن هناك اهتماما بمدى جمال المرأة

(١)Hampata Amada Ba. Ch. 4 http://pender.ee.upenn.edu/rabii.toes/Ba Aspects ch4 . (9-8-2008

والانجذاب الطبيعي لها ، وتحرم الزوجة في بعض الفترات، مثل فترة الدورة الشهرية ، وكذلك لمدة معينة إذا كانت أرملة ، وخلال كل الفترة التي ترضع فيها صغيرها .

يتم الزواج بداية بين القبائل الكبيرة وبين الأسر الكبيرة ولذا فإن الأسر الصغيرة أو القبائل الصغيرة ليس لها حظ كبير في الزواج ، إذن لابد أن يكون الفتى أو الفتاة من أسرة كبيرة حتى يحظو بفرصة الزواج

يبدأ الأب في البحث عن فتاة تناسب ابنه المقبل على الزواج ، ويكون هذا البحث على أساس تعارف القبائل والأسر ، ويفضل اختيار زوجة من قبيلة أو أسرة سبق أن تم الزواج منها من فتاة أخرى، أي يكون بين القبائل علاقة نسب سابقة ، وإذا لم يمكن ذلك فإن اسم الأسرة أو القبيلة وتاريخها هو الذي يزكيها في اختيار زوجة منهم . وتكون الزوجة الأولى للابن من اختيار الأب فالشاب لا يختار زوجته ، لأن هذا شاذ على العادات ، أما الزوجة الثانية فهي من اختيار الأم أو الابن نفسه. ولا بد أن يكون للأب رأي في هذا الاختيار ، إذ أن الاختيار لا يتم على أساس الحب لأن الأب يري أن الحب لا يتفق مع الزواج ، وإذا كان هناك حب فإن الزواج يفشل . أما المرأة في البمبارا فهي لا تتدخل في أي شأن من هذه الشئون فهي لا تتدخل في اختيار الزوج بالموافقة أو الرفض ولا على زواج ابنتها ، لها رأي فقط في العمل الذي تقوم به وهي الزراعة ومساعدة الرجل ومراعاة الصغير أثناء الرضاعة في وقت الاحتياج إليها ، بعد اختيار الفتاة يرسل الأب أحد الأشخاص الذين لهم علاقة بكبير عائلة الفتاة ومعه عشرة من (الكولا) [1].

يذهب بها وهو على علم مسبق بأن هذه الهدية سوف ترفض ، وترفض فعلا الهدية لصغر حجمها ، ثم يعود بعد أربعة أيام ومعه مضاعفات هذه الهدية ٢٠ / ٤٠ من الكولا فقط ، في هذه الحالة تقبل الهدية مع وعد في التفكير في الأمر ، ثم ترسل الهدايا والملح إلى منزل العروس ويتم توزيع هذه الكولا على الرجال من أهل العروس والهدايا للعروس والملح للنساء وللديمبا (كفيلة العروس) ، كفيلة العروس هذه يتم تحديدها

(١)الكولا نبات يطلق عليه بالبامبارا الورو هو يستخدم في العرس والهدايا لعظيم ، أساس هذا النبات لا يزرع في مالي وإنما يزرع في كوتي فوار وقبل استخدام هذا النبات كان يستخدم الملح وهذا النبات غالي الثمن وتصل ثمن سلة صغيرة الحجم من هذا النبات بما يعادل ٢٠٠ دولار .

من قبل الأهل وهي التي تتولى أمر العروس من تدبير احتياجاتها وترتيب أمور الزواج إلى أن تذهب إلى منزل الزوج

ثم بعد ذلك يتم تحديد ميعاد الزواج ويكون الزواج على مرحلتين مرحلة الزواج الإسلامي ومرحلة الزواج التقليدي ، ويتم تحديد الميعاد لمرحلتي الزواج في نفس يوم الاتفاق ، وفي بعض الأحيان يكون ميعاد المرحلتين في نفس اليوم ، الزواج الإسلامي في الصباح والتقليدي بعده أو يكون الزواج الإسلامي وبعد شهر الزواج التقليدي بعد ذهاب العروسة إلى منزل زوجها ، المهم لابد من المرحلتين للزواج ، الفتاة هنا ووالدتها لا يعرفون العريس أي أن الفتاة لا تعرف من تتزوج إلا يوم الزواج .

يوم العرس في الصباح يبدأ بعقد القران على يد شيخ الجامع ، ومع اثنين من الشهود ويوثق العقد وترتدي العروس هنا فستاناً أبيض مثل الفرح الأوروبي كما في الصورة (١٨) . ثم بعد ذلك يبدأ مراسم الفرح التقليدي وهو ما يطلق عليه السنكو أو كونكو بالبمبارا وترتدى العروس الزى التقليدى للسنكو صورة (١٩) ، تبدأ سيدات الحي في الإعداد لهذا الزواج من قبلَ يومين يبدأون في إعداد الطعام والتجهيز لهذا اليوم وقد حضرت الباحثة أحد هذه الأفراح وتم تصويرها بالفيديو بالصوت والصورة .

يبدؤون في إعداد ألوان من الأطعمة الخاصة بهم ، ولابد من احتوائها على الأرز واللحم والسمك ويجهز بكميات كبيرة ، ليس لإطعام أهل العروسين فقط ، وإنما لكل من يأتي لحضور الحفل حتى لو كان الحي بأكمله أو القبيلة ، وفي أثناء إعداد الطعام يبدأ الشباب والفتيات والأطفال بالغناء والرقص ويستخدم الفيلية للموسيقى .

أثناء إعداد السيدات للطعام يقوم البعض الآخر بالاحتفال والغناء باستخدام الجدونوفو ، وهو عبارة عن إناء كبير مملوء بالماء يوضع فيه الفيلية[1] . ويضرب بالعصا بطريقة معينة لإحداث نغمة والبعض الآخر يستخدم الجيلي وهي فريق موسيقى غنائي لإحياء الحفلة من الشباب مع الموسيقى والأغاني الخاصة بهم .

ويتم الزواج غالبا في يوم الأحد من أيام الأسبوع ، ويكثر قبل شهر رمضان ، أي في

(١) الفيلية عبارة عن إناء كبير مصنوع من إحدى الثمرات يفرغ ما بداخلها ويجفف ويستخدم كإناء وقديما كان للطعام والآن يستخدم للزينة والاحتفال في الجدونو .

رجب وشعبان ولهم تفسير لذلك حيث أن العروس الجديدة تأتي إلى منزل عائلة الـزوج قبل رمضان ومعها وصفات آكلات جديدة تقوم بإعـدادها لأهـل زوجهـا في رمضـان ، فهي تنقل الخبرات التي تعلمتها في قبيلتها أو أسرتها إلى أسرة زوجها

وبعد تناول الطعام الذي تم إعداده يبدؤون في مراسم السنكو ، كل هذا والعـروس في حجرتها لا تخرج إلا وقت السنكو وهو قبل أذان المغرب بساعة أو ساعتين .

مراسم السنكو :

تجلس العروس في حجرتها مع بعض الفتيات مرتدية الزي التقليدي وهو عبارة عـن ثوب طويل من قطعتين وغطاء علي الرأس لونه غامق ، وتدخل الحجرة سيدات كبيرات في السن ويقوموا بسكب ماء ساخن على رأس العروس وعلى العـروس أن تتحمـل هـذا الماء ، ثم بعد ذلك ماء بارد وهذا في العرف يثبت قوة تحمـل العـروس للأزمـات التـي سوف تمر على حياتها الزوجية .

ثم تأتي الجيلي وهم الفرقة أو المداحين يقومون بمدح والدة العروس وزوجـة أبيهـا والسيدات التي في عائلتها ويقومون بمدح الديمبا (كفيلة العروس) وتقديم الشكر لها على المجهود الذي بذلته من أجل العروس .

والعمل الذي يقوم به المداحين اسمه جيليان ، بعد الانتهاء من هذا الاحتفال تذهب السيدات بالعروس مع الأغاني والرقص إلى بيـت الـزوج ، ويسـمى احتفـال السـيدات الجدونوفو ، هذا الاحتفال يكون في بيت أهل العروس ويقـوم بـه السـيدات للسـيدات والفتيات ، أما في منزل العريس فأن الاحتفال يكون بسيطاً .

وبعد ذلك تخرج في ساحة المنزل ومعها السيدات والفتيات وتجلـس عـلى الكـورو (كرسي صغير) هي والجدة أو من ينوب عن الجدة أي سيدة كبيرة في السن ، ويبـدؤون في غسل رأس الجدة ويديها وأرجلها ثم أخذ هذا المـاء وتسـتعمله العـروس في غسـل رأسها وأيديها وأرجلها ويحدث هذا للمباركـة ويـتم وسـط احتفـال وأغـاني وتجلـس العروس والجدة في وسط دائرة أثناء الاحتفال ورأسهم مغطاة تماما بالغطاء الخاص بهم طوال فترة الاحتفال .

وبعد مرور سبعة أيام من العرس يقام ما يسمي بالميناسيري ، وهو عبارة عن جمع جهاز العروسة مع الهدايا ووضعه في حقائب كبيرة بإشراف الديمبا ، ثم تذهب إلى منزل الزوجين ، وبعض الأسر تجعل الميناسيري مع الزفاف في يوم واحد.

الطعـــام :

هناك قوانين صارمة تحكم الطعام والشراب ،ومن ينتهكها يعرض نفسه لغضب الكاهن الأسمى ، كما يعرض معدته لمرض خطير ،فالمرض دائما دلالة أن الآلهة غير راضية « من وجهة نظرهم »

ومن تلك الأحكام أن يلقي الرجل ببعض اللقم على الأربع جهات الأصلية قبل أن يضع أيا منها في فمه ، وهذا يعد من فضائل الأخلاق ، فعلى كل شخص أن يحترم طبيعة الطعام والذي يعد من هبات القوة الإلهية .

كما نرى هنا أنه ليس هناك حياة وثنية أو غير وثنية أو علمانية ، فلا نجد المقدسات من جهة والوثنية من جهة أخرى كل منها تتصل بالآخر كل ينحدر من قوى الحياة المختلفة والتي ترمز لـ « se وهي القوة المقدسة وهي إحدى صفات الإله[1] .

أما بالنسبة للأعمال :

إنه يندر وجود مهنة بشرية لا تتسم بالقدسية ، فالأعمال لا تتسم بكونها أعمالا اقتصادية أو اجتماعية بل هي أعمال مقدسة تعمل بها بعض الجماعات بغرض إسعاد الإله Maa Ngala،

و عملية تقديس العمل والدعاء له قبل أن يبدأ هي إحدى الخصائص التي يتميز بها أي نشاط هناك ، فالفلاح لن يسمح لنفسه أن ينهمك في الفلاحة إلا بعد الاستئذان ببعض الكلمات المناسبة ، ولن يزرع بذرته قبل أن يباركها ويستودعها مصدر القوة الإلهية والذي يسهر علي حماية كل الأشياء بكل الأماكن ، كذلك فالراعي لن يتحرك بقطيعه قبل أن يسأل مصدر القوة الإلهية أن « يفتح فمه الطيب ويغلق الخبيث »[2] .

(1)http://en.wikipedia.org/wiki/Bambara-people 12 - 1 - 2009 .

(2)op-cit http://pender.ee.upenn.edu/rabii.toes/Ba Aspects ch4 . 9-8-2008

وتتساوى مكانة الأب والأم عند البمبارا بمكانة السماء والأرض، وكون السماء عالية وبعيدة يجعلها من التقديس بحيث لا يعتقد أحد أنها قد نشأت على أساس الحب بل على أساس القوة فالرعد والأعاصير وبعد السماء هي من دلائل قدرة وقوة Masa Dembali الخالق الأعظم، وعليه فإن هذه القوة تتجسد في صورة الإله على الأرض، ولكن لا يجسد قرب الله المقدس وقوته على الرحمة والحب في السماء ولكن يظهر في عمله وفي قلب وحنان الأم .

ينظر إلى الأم على أنها المغذية للطفل ولكن ليست هي فقط فليس اللبن هو الذي يتغذى عليه الطفل من أمه بل الرحمة الإلهية نفسها والحب ولهذا يحرم الطفل المفطوم باكرا من التغذى بالرحمة والتي يجب أن تكون البداية الجيدة لحياته[1]. وهذا من أسباب طول فترة رضاعة الأطفال، ففي أغلب الأسر يصل سن الرضاعة إلى سن ثلاث سنوات .

ويعتبر الرحم الأمومي هو « الورشة » التي ينمي فيها الخالق الأعظم تلك الحياة، فهي مكان العمل الإلهي، ولهذا خصت التقاليد الزوجة الأم بمكانة عالية تمثل نصف إله، بينما الزوجة (كامرأة) هي شريك للمتعة الجسدية، فلعنة الأم كمباركتها تصعد عالية إلى السماء ولا ترد أبدا فتقول المثل « أن كل ما يملكه الفرد يدين به مرة واحدة فقط لأبية ومرتين لأمه ».

والأم عند البمبارا تعني الأرض و الأرض عندهم قوة أنثوية وأمومية تستقبل كل القوى التي تأتي من السماء على بعض الوسائل كالماء (Ji) والضوء (yeelen) وكذلك الظلام (dibi) ، وباعتبارها أما لكل الوجود فتصبح السماء زوجا لها والقمر هو نجمها والشمس قطبها، فهي الحصن والدعم والصدر الحنون للكون فعندما تغادر أقدامنا الأرض نفقد الشعور بالأمان .

لقد استقرت روح الإله ليمنايا Lemnaya بها فهي روح الثقة التي تشعر الإنسان بالسلام والأمان مثل شعور الطفل بالثقة في خضن أمه . والمثل البمباري يقول :

«Nil yu me gonngon duu ra intron fla dobe dugu man»

ومعناه : لكي تستطيع أن تتعايش مع الآخرين وتدرك وجودك بينهم يجب أن تتواجد

(1)http://pender.ee.upenn.edu/rabii/toes A spects ch.4,12-1-2009

فوق الأرض ، لذلك فإن المجيء إلى الأرض (العالم) مهم جدا فيجب التحضير له باهتمام كبير مثل ما يحدث عند ولادة طفل .

وأن حرفتي الزراعة وجمع المحاصيل تمثل مهنة عظيمة يعمل بها الأشخاص الأكثر روحانية من الآخرين فه تستند أساسا على الأرض وكون (الأرض) أما للكون ولأننا منها خلقنا وإليها نعود لا ننتمي لأحد غيرها حتى الملك وإن وجد فأنه لا يستطيع أن يصبح سيد الأرض ومالكها فالأرض لا يمكن نقلها لتصبح ملكا لرجل أو رهنا له(1). والفلاح لا يزرع أو يحصد قبل أن يسأل الأرض أن تتقبل ما يزرعه بها وأن تحمي البذرة أثناء نموها ، فيسألها العفو عنه قبل أن يحطم أرضها بفأسه لتتحمل تلك الإصابة بدون غضب .

عادة الختان : صور رقم (٣٠، ٢٩، ٢٨)

ختان البنات عادة قديمة قدم الحضارة الإنسانية خاصة في إفريقيا ، فالحضارة القديمة وبلاد النوبة وجنوب الصحراء والدول الموجودة شمالا والسافانا كل هذه المناطق كانت تمارس ختان الإناث ولا تزال . تنتشر هذه العادة بشكل واسع في غرب أفريقيا برغم القوانين والحملات التي تطالب بحظرها حيث تشير إحصاءات رسمية أن ٩٢٪ من النساء خضعن للختان (٢).

فهم ينظرون للختان على أنة جزء من الثقافة والعادات ، وهو من أهم دعائم المجتمع ، لأنة يساعد النساء على الحفاظ على طهارتهن ونظافتهن . بالإضافة إلى أن دولة مثل مالي تواجه مشاكل من نوع آخر مثل تعدد الزوجات وهو أمر يجيزه القانون وتؤيده العادات بشدة ،وزواج الفتيات مبكراً في سن الثالثة عشرة وتزويج الأرملة إلى شقيق زوجها المتوفى (٣).

و جمهورية مالي دولة كبيرة مترامية الأطراف يسكنها قبائل كثيرة ، لكل قبيلة عاداتها وتقاليدها وماضيها ، والاعتقاد السائد في مالي أن الإسلام هو الذي فرض ختان الإناث ، والحقيقة أن الإسلام برئ من هذا الذنب ، ونحن هنا لسنا بصدد صحة هذا أو نفيه ،

---

(1)http://pender.ee.upenn.edu/rabii/toes A spects ch.4 Ibid(12-1-2009

(2)http://www.alarabiya.net/save_print،php?=1&cont_id=17893(7-2009)

(٣)مدانى.

وإنما ما يعنينا هنا أن ظاهرة الختان مازالت موجودة ، ففي قبائل سيقو وهي المحافظة الثالثة في مالي يختنون البنت بعد خطبتها « وهذا ما كان يتبع قبل الإسلام ومازال إلى الآن » هذه عاداتهم القديمة لأن الخطيب هو المسئول عن تطهير زوجته .

أما في قرية « تفني » فهم لا ينتظرون الخطيب ، وإنما تختن الفتاة في أي سن من الميلاد إلى ما قبل سن الرشد(١) وإن قبيلة بمبارا وما جاورها من القبائل الأخرى كلها تمارس الختان بلا استثناء، وقد ذكرت الباحثة في بداية هذا الفصل المعتقدات التقليدية للختان بالنسبة للجنسين وحفلة الختان للجنسين أيضا كما كانت تتبع تقليديا قبل الإسلام ، هذا أن دل على شيء يدل على أن الإسلام لم يفرض ختان الإناث على المسلمين، فهي عادة قديمة مشهورة عند كثير من القبائل الإفريقية ، وهم متمسكون بها أكثر من تمسكهم بإسلامهم .

وتتصدر مالي الآن الدول المطالبة بوضع حد لهذه العادة وهي لذلك تستعين بمغنيات تقليديات في التوعية للحد والإقلاع عن هذه العادة لان للمغنيات إمكانات للتأثير في مجتمع ذو ثقافة تقليدية لأنه في مجتمع تقليدي مثل مالي يكون نفوذ هؤلاء المغنيات أكبر بكثير من نفوذ رجال الدين .

إلا أن التخلص من هذه العادة قد يستغرق عقودا وليس بضع سنوات رغم الضغوط التي يمارسها رجال الدين ووجهاء المجتمع وانضمت العام الماضي تسع دول من غرب إفريقيا إلى مالي في الحملة التي تقودها لمكافحة ختان النساء(٢).

أما بالنسبة لزي المرأة فأن النساء مازالت تتمسك بطريقة اللبس التي كانت تتبع قبل الإسلام فعادة لبس النساء عندهم هو ستر النصف الأسفل من الجسد ما بين السرة والركبتين وستر النصف الأعلى بقليل من القماش ولهم تفسيرين لطريقة الزي هذه :

التفسير الأول : أن النساء في مالي يعملن في أربع جهات : الزراعة ، الصيد ، تربية الماشية ، الصناعات اليدوية ، هذه الأعمال تعتمد في مالي على وسائل شبه بدائية

(1)Barbara Callaway & Lucy Creevey (1994) » The Heritage of Islam : women ‹ Religion ‹ and Politics in West Africa ‹ PP-65 -67

(2) http:// alarabiya .net -op - cit

وتقليدية وبسيطة للغاية وتحتاج إلى مجهود جبار تحت الشمس المحرقة كمن يزرع من الفجر إلى غسق الليل بالإضافة إلى قساوة البيئة هذا دفع النساء والأمهات إلى ارتداء ما يسهل عليهم عملهن في الحقول والمزارع وفي النهر .

التفسير الثاني : وهو الخوف من الحسد ذلك لأن التزين في غير المناسبات والأعياد والوفيات يعتبر رياء وفخر ، وهذا التصور يدفع الناس في الأرياف والقرى إلى التظاهر بالفقر والبؤس فرارا من حسد الحاسدين، يقول المثل البمباري « ترك البلاد خير من ترك العادة » .

أما وقت الصلاة فإن المرأة تتطهر وتلبس ملابس الصلاة المغطاة من الرأس إلى الكعبين وبعد الانتهاء من الصلاة تخلع ذلك اللباس الخاص بالصلاة وترجع إلى العمل نصف عارية كما كانت ، وهذا شائع في القرى .

هذا يوضح لنا مدى تمسك هذا المجتمع بالعادات والتقاليد وخاصة في القرى ، أما في المدن فإن هناك نسبة كثيرة من السيدات المحجبات في بماكو العاصمة وهنا في القاهرة التقت الباحثة بإحدى الطالبات الجامعيات وإحدى زوجات العاملين في سفارة مالي وكانت ملابسهم عادية ، منهن محجبات وأخريات محتشمات .

أما بالنسبة للقرى فهذا يرجع أساسا لعدم تعليم البنت فهذه المجتمعات تهتم أكثر بتعليم الذكور ، أن ما يعانيه الإسلام والمسلمون في مالي يرجع إلى أن الغالبية من الأولياء والمربين يعطون أهمية قصوى لتربية الذكور أكثر مما يعطون لتربية البنات اعتقاداً منهم بأن الذكور هم رجال الغد فإذا أصلحوا صلح المجتمع والإسلام ولكنهم نسوا أن رجال الغد هم أولاد وبنات اليوم(١) .

ثالثا : دور المرأة في الديانة الإفريقية التقليدية

The role of women in African traditional religion

من المقولات المشهورة عن المرأة في غانا قولهم « أن المرأة هى الزهرة فى الحديقة و زوجها هو السياج الذي حولها ويحيط بها » .

(١)Barbara Callaway & Lucy Creevey (1994) » The Heritage of Islam : women ، Religion ، and Politics in West Africa ، P50

«A woman is a flower in a garden ، her husband is the fanco arround her»

وهذه صورة جميلة للمرأة في المجتمع الإفريقي .

أما عن دور المرأة في الديانة التقليدية الإفريقية فلا بد لنا أن نتعرف على ثلاثه مجالات أساسية وهي الأساطير والأمثال والصلوات ، ففي جانب الأساطير سنواجه شكل وصورة المرأة التي كانت عليها في بداية الوجود البشري وهي أسطورة وليس تاريخاً، لأن الأسطورة أوسع من التاريخ في تفسير بعض جوانب المجتمع تلك الأساطير هي لغة للتعبير عن الحقائق التي لم يوضحها التاريخ توضيحاً كاملاً .

أما الأمثال فهي تعبير عن الحكمة المكتسبة من خلال التفكير والخبرة والمعرفة العامة والملاحظة ، وهي ترتبط ارتباطا وثيقا بثقافة مجتمع معين بحيث إنه لكي تستطيع فهم الأمثال وتطبيقها إلا بدراسة ذلك المجتمع ، لأنه لابد أن يكون ذلك المثل جزءاً من ثقافة المجتمع النابع منه وسوف نسرد بعض الأمثال لتعطينا صورة عن المرأة في المجتمعات الإفريقية ،

أما بالنسبة للصلاة فهي تقودنا إلى عالم الروحانيات التي يتغذى عليها الدين الإفريقي ونعرف ماذا تقول النساء في الصلاة [1].

(١) المرأة في الأساطير الإفريقية :

تمتلك معظم الشعوب والقبائل الإفريقية مجموعة من الأساطير والقصص ، نركز هنا على بعض الأساطير التي تركز علي المرأة.

تظهر بعض الأساطير المرأة بأنها الأم الأصلية للبشرية التي أنشأت جميع البشر مثال Arposso في توجو و Ibibio في النيجر ، والفكرة الأساسية عن الأمهات الأسطوريات هي أن الحياة البشرية ترتبط بشكل مباشر مع الله من خلال المرأة ، فقد خلقها الله ثم أصبحت الجهاز الذي ينتج الحياة ، وهي الشخص الذي ينقل الحياة ، ويتضح ذلك من خلال أحد الأساطير أسطورة تونس في (رواندا) وهى أن الزوج الأساسي من البشر كان يسكن الجنة ولكنهم كانوا لا ينجبون الأطفال فدعوا الله أن

(١)www women.htm.mamiwata.com14 – 12 –2008

يساعدهما في أن يكون لهما أبناء ، فقام الإله بخلط بعض الطمي مع اللعاب وكون منها جنين ذكراً كان أو أنثى أو نموذجاً بشرياً صغيراً وطلب منهم أن يضعوه في إناء ثم كانت أمه تأتي إليه كل يوم وتصب بعض اللبن في ذلك الإناء وكان عليها أن تنتظر مدة ٩ شهور كما أمرهم الله ، وبعد التسعة أشهر يكون قد تمت تكوين الطفل الصغير وتم ولادته وتظهر هذه الأسطورة كيف أن هناك اتصالاً مباشراً بين المرأة والإله .

وتذكر بعض الأساطير أن المرأة قد خلقها الله من جسم الإنسان أي من جسم الرجل بعد أن خلق الرجل ، وقد فسر البعض هذه الأساطير أنها قيلت لكي تظهر سيطرة الرجل على المرأة .

تذكر الأساطير أيضا أن المرأة هي التي اخترعت أو اكتشفت النار وسيطرت عليها وليس الرجل ، كما أن للمرأة أيضا الفضل في اختراع واكتشاف المواد الغذائية وكيفية تحضيرها .

وهناك بعض الأساطير التي كانت تلقي اللوم على النساء فمثلا أسطورة لدى أقزام البمبوتي (Bambuti) خلاصتها أن الإله تمنح هؤلاء البشر الأولاد وأباح لهم أن يأكلوا من جميع الثمار وجميع الأشجار إلا شجرة واحدة ، وظلوا منقادين طائعين إلى أن جاءت امرأة وألحت على زوجها أن يأتي لها بثمرة من تلك الشجرة حتى استجاب لها وخرج يوما في المساء وأحضر لها من ثمرة هذه الشجرة ولكن رآه القمر وذهب ليخبر الإله، ومن هنا أنزل الإله الموت كنوع من العقاب بسبب غضبه عليهم لكن هذه الأساطير التي تلقي اللوم على المرأة وتحملها مسئولية بعض الأخطاء أساطير قليلة فهي ليست السبب ولكنها مشاركة في ذلك

يتضح لنا من ذلك أن المرأة في الأساطير كانت لها مكانة عالية وكان لها وضع خاص من قبل الإله حيث إنها شاركت الإله في خلق الخياة إلا أنه في بعض الأساطير كانت المرأة من الأسباب التي ساهمت في نزول المحن والمعاناة والموت وغيرها من الأشياء التي جاءت بطرق مختلفة على البشر(١) .

(١)www.africa warld.net/afral/art.women.ht 14 – 12 – 2008

(٢) المرأة فى الأمثال الإفريقية :

تعد الأمثال أكثر انتشارا وأكبر عددا من الأساطير ، حيث أننا نجدها بالمئات بل بالآلاف في كل قبيلة إفريقية ، بل إنهم يمثلون جزءاً من أجزاء الحياة والمعرفة ، حيث أن تلك الأمثال تتميز بأنها تعرض العديد من الأفكار والانعكاسات و الخبرات والملاحظات و المعارف حتى وجهات النظر العالمية وفي كلمات قليلة وموجزة ، وسوف نقوم هنا باستعراض القليل من تلك الأمثال ونحاول أن نصل إلى ما ترمي إليه تلك الأمثال في كلماتها البسيطة .

(أ) أن المرأة ذات قيمة عالية جدا في المجتمع وحيث إنها لا تحمل معنى الحياة فقط ، وإنما هي ممرضة تعطي الدفء وتعطي العناية ، والأمثال التالية تقوم بتوضيح تلك الصورة .

* « الزوجات والثيران ليس لديهم أصدقاء » وهو ما يشير إلى أن المرأة ذات قيمة عالية جدا ، ولا يمكن إعارتها حتى إلى أعز وأقرب أصدقاء زوجها .

« المرأة يجب أن لا تقتل » حيث أن المرأة هي أساس الحياة ، فقتل المرأة هو قتل الأطفال ، وقتل البشرية كلها .

« هل اشتريتني بعاج الفيل » وهي جملة تقولها الزوجة عندما يكون زوجها يعاملها معاملة سيئة ، وتعني بذلك أنها ليست سلعة يمكنه شراؤها حتى ولو بالعاج الخاص بالفيل .

« من الأفضل أن تتزوج ولو عجوز خيراً لك من أن تظل غير متزوج » حيث إنه يشير إلى أن هناك أشياء في حياة الإنسان لا يمكن استقامتها إلا عن طريق المرأة .

«عند الخامسة يكون الرجل ناجحاً » ، حيث يذكرون في هذا المثل بأن النجاح يتحقق في الحياة عن طريق خمسة أشياء « الزوجة والبقرة والأغنام و الماعز و والحمار » حتى إذا كان الفرد غنياً فلابد له من وجود زوجة معه [(1)] .

الطفلة (البنت) الصغيرة تعني الأبقار الجميلة » ، وهو يشير إلى أن قيمة البنت تظهر

(1)www.africa warld.net/afral/art.women.ht 14 – 12 – 2008

منذ صغرها وليس فقط عندما تصبح متزوجة .

(ب) أن المرأة غير المتزوجة من الناحية العملية ليس لها دور في المجتمع .

حيث أنه من وجهة النظر التقليدية الإفريقية ، فإن كل النساء لابد أن يتزوجوا .

« الفتاة القبيحة لا تصبح عجوزاً في منزلها » .

حيث يشير ذلك المثل إلى إنه رغم ذلك المظهر القبيح للفتاة ، فإنه لا يعيق زواجها في تلك المجتمعات

« المرأة التي لديها أطفال لا تجعل بيتها صحراء »

وهو ما يعكس القيمة الكبيرة لتلك المرأة التي تحمل وتلد فعن طريق الأطفال يصبح بيتها كالبستان لا كالصحراء .وهذا ما يعزز أهمية إنجاب الأطفال في المجتمع .

« أن المرأة التي توفي أطفالها أغنى من تلك المرآة العقيمة »

ويظهر هذا المثل أن هؤلاء الناس ينظرون إلى تلك المرأة التي فقدت أطفالها بشكل أفضل من العاقر ويلتمسون لها العذر ولكنهم لا يلتمسون أي أعذار لتلك المرأة التي لم تحمل بعد

(ج) أن المرأة أو الأم ربما هي العضو الأكثر أهمية في العائلة

* « الطفل الذي يرفض ثدي والدته ، لن يصبح مكتملاً أبدا »

وهو ما يدل على أهمية الأم وطعامها ، حيث إنه مهما يقم الطفل بتناول أي مصدر آخر للطعام غير ثدي والدته ، فإن ذلك لن يغنيه أبدا عن رضاعة أمه ، ولن يجعله مكتملاً.

* « أم غيرك ، مهما كانت طيبة وعطوفة معك ، لن تكون أبدا مثل والدتك »

وهو يشير إلى أهمية الأم وأنه مهما كانت هناك أي أم أخرى عطوفة وطيبة على الفرد فإنها لن تكون مثل الأم الأصلية أبدا لهذا ، الفرد وهناك أمثال أخرى تعطي نفس المعنى لهذا المثل مثل : « أن الخروف لا ينعي موت صغير الماعز » ، « لا يوجد أم أخرى »

وأيضا « لا توجد والدتين

(د) « أن النساء كائنات بشرية وبالتالي فإن فيهم بعض الضعف »

وقد ذكرت العديد من الأمثال الإفريقية تلك النقاط التي تشير لضعف هؤلاء النساء وخاصة في تلك الحالات التي تعيش فيها مجموعة زوجات لرجل واحد مع بعضهم البعض ومن تلك الأمثال :

* « أن لسان الزوجة الأخرى الدرة لاذع » ، « لسان الدرة مدبب »

وهو ما يعني أن كل واحدة من هؤلاء الزوجات يمكن أن تؤذي وتضر الأخرى عن طريق لسانها أي عن طريق الكلام .

* « تعدد الزواج يجعل الزوج بلسانين »

وهو ما يوضح أن دور ذلك الرجل ليس بالسهل ، وإنما عليه أن يقوم بإرضاء جميع الأطراف وأن يتعامل مع كل زوجة بالطريقة التي تناسبها .

(هـ) كما أن هناك بعض الأحكام التي يتم إطلاقها على المرأة في تلك المجتمعات الإفريقية أو بعض العبارات التي تطلق على النساء ، ومن المدهش أن هناك العديد من تلك الأمثال أو العبارات المتشابهة في العديد من الأماكن حول العالم .

« وتلك المرأة نار» «لا تطلب المرأة ذات الثدي الجميل ، إذا لم يكن معك نقود » .

وهو ما يعني أن المرأة الجميلة لا يمكن الحصول عليها بسهولة ، ولكنها باهظة الثمن لكي تحصل عليها وتحافظ عليها .

« النساء ، مثل المناخ ، لا يمكن التنبؤ بهم » .

« عندما تزداد ثروة النساء ، يظللن صامتين . ولكن عندما يسقطن في مشاكل ، فإن العالم كله يسمع بها »

كما أن هناك البعض من الرجال (والنساء) الذين يخافون من النساء ، حيث أنهم يعدونهن شيئاً خطيراً ومن الأمثال علي ذلك ، « معنى أن تتزوج فكأنك تضع ثعباناً في حقيبة يد شخص » .

« أن تتبع امرأة كأنك تتبع بصمات على سطح الماء » .

وكل ذلك يشير إلى أن المرأة غير موثوق بها ولا يجب تصديقها .

(و) علي الرغم من تلك العبارات المضادة للمرأة ، فإن هناك العديد من العبارات الجميلة التي تطلق علي النساء

« أن المرأة هي شجرة للموز » .

« المرأة زهرة في الحديقة ، وزوجها هو السياج الذي حولها » .

« الرجل يموت في الرياح والمرأة في المنزل » .

« المرأة ضلع الرجل » .

وكلها تعبيرات جميلة عن المرأة وتوضح أهميتها بالنسبة للرجل[(1)] .

(٢) المرأة والصلوات :

في الحياة التقليدية الأفريقية تلعب المرأة دوراً هاما في الأنشطة الدينية للمجتمع . حيث أن أحد تلك المجالات التي تظهر بشكل بارز هو أداء الصلوات بشكل خاص للعائلة وبشكل عام لمجتمعاتهم المحلية حيث إنه يوجد العديد من الأماكن في أفريقيا التي يوجد بها الكهنة من النساء . كما أن الممارسات الطبية التقليدية يقوم بها كل من الرجال والنساء ، بل إنها تكون بشكل أكبر في أيدي النساء كما في حالة الأطفال والنساء الأخريات الذين هم في حالة تحتاج لمعالجة طبية .

فهناك علي سبيل المثال دعاء تقوله المرأة في الصباح حيث تقول « قد ارتفع الصباح ، ياالله ، خذ كل الألم ، كل السوء ، كل الحوادث ، ياالله ، دعنا نعود إلى بيوتنا ووطننا سالمين وآمنين » .

كما أن تلك المرأة التي خرج زوجها بعيدا في حروب أو قتال ، تقوم بالدعاء له وتدعو الإله أن يحميه وأن يعود آمنا . حيث أنها أيضا لا تدعو له فقط ولكن أيضا لكل

(1)The Rolo of women in African Tradational Religion by goh mb.ti www.afrika warld . (Ibid)

من خرج معه .

حيث تقول في ذلك الدعاء. « دعه ينجو مع الذين معه ، دعه يقف بحزم معهم، دعه يعود سالما معهم»

كما أنهم يقومون ببعض الاحتفالات التي تعد بمثابة طقوس للمرور للفتيات اللاتي يصلن لسن البلوغ ويأتي عليهن الطمث ، وذلك لأنه ضرورة وأساس من أساسيات استمرار الحياة ومرورها من جيل إلى آخر كما تقوم المرأة عند الماساي بتقديم الدعاء من أجل إنزال المطر ، كما تقوم ببعض الطقوس والاحتفالات وتقديم الأضحيات للآله .

كما أن النساء عندما يلدن ، فإنهن يشكرن الإله ، حيث أنهن يعلمون أن تلك الحياة قد أتت من عنده ويتم الحفاظ عليها من خلاله . كما أن تلك المرأة التي لا تنجب تدعو ببعض صيغ الدعاء من أجل أن يمنحها الإله تلك الأطفال[1] .

الخاتمة :

يعتقد البمبارا بوجود إله واحد الإله الأعظم ، ويطلقون عليه الفارو أو ماسا ديمبالي الذي يخلق كل شيئ وهو السبب في وجود كل شئ ، وما يلي ذلك الإله هم وسطاء (كومتيجي) فلهم إله واحد لا يستطيعون رؤيته أو التعامل معه إلا من خلال هؤلاء الوسطاء ولا يعبدون الأشجار أو الأحجار كما أنهم ليسوا وثنيين كما صورهم كثير من الباحثين الذين يطلقون عليهم إلى الآن البمبارا الوثنيين لاعتقادهم أنهم يعبدون التماثيل ، ولكن هذه التماثيل ماهي إلا وسيط بين العبد والآلهة .

مما سبق يتبين أن مجمل عقيدة قبائل البمبارا أنهم يعبدون السماء وأركان الأرض الأربعة والجن ويؤمنون بأن كل رب أسرة وكل شاب وصل سن الختان وأجريت له عملية الختان عليه أن يقوم بتقديم أضحية وعادة ماتتكون من حيوان أليف . كما انه يوجد عبادات منزلية خاصة بالاحتفاظ بالقوى الحيوية للأسرة ورفع كل خطر يصيب الجماعة . ولديهم أيضا احترام وتعظيم الأسلاف وكيف أن هؤلاء الأجداد تظهر

(١)www. Mamiwata .com / women . htm 14/12/2008

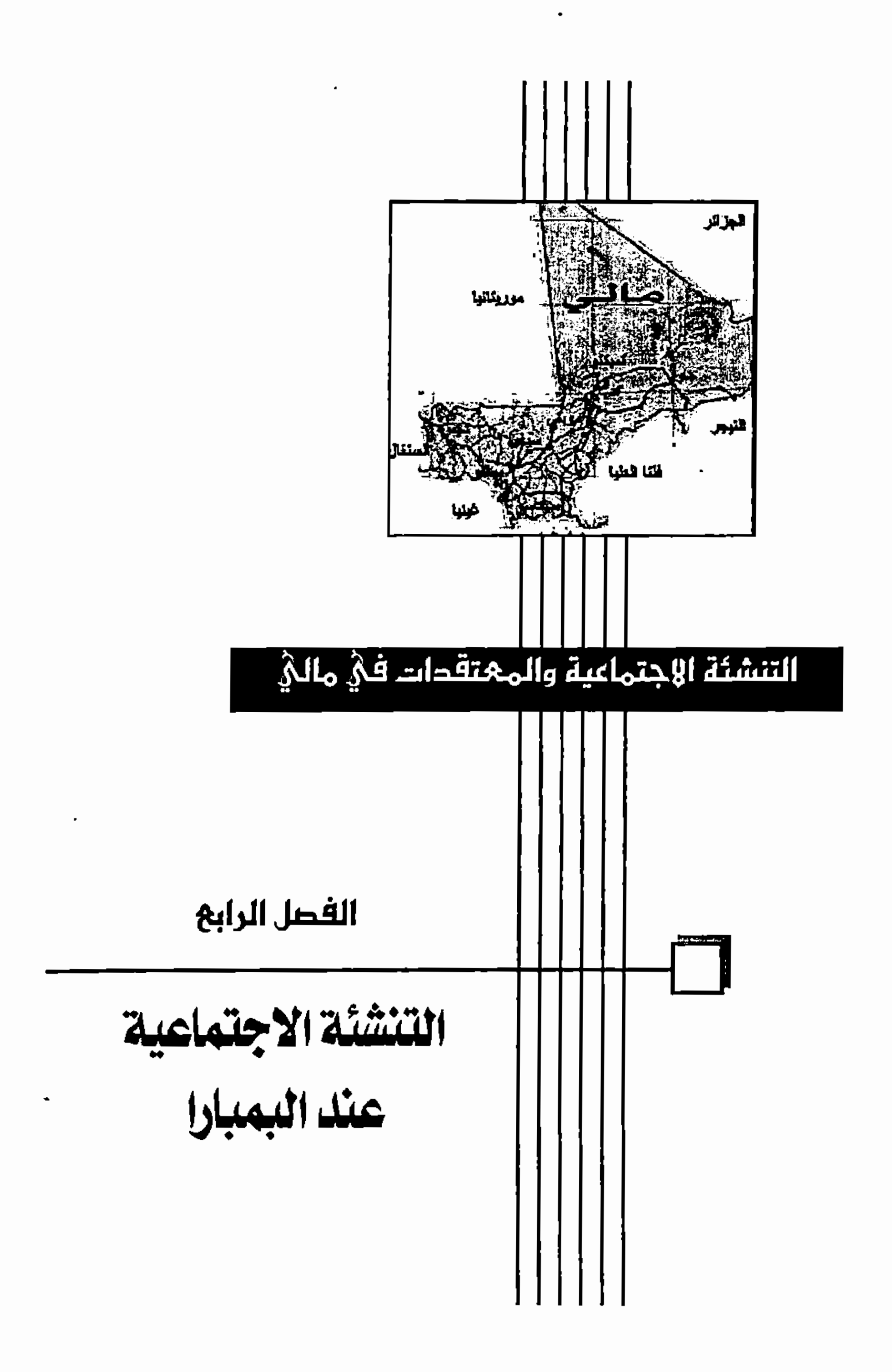
قيمتهم وقوتهم بعد الوفاة ، وأن روح الجد تسكن أحد الأطفال الذين يولدون بعد الوفاة، ويحمل هذا الطفل اسم الجد .كما أنهم يعتقدون في السحر اعتقاداً قوياً فهم يستخدمونه في كثير من حياتهم اليومية ومازال السحر مستخدماً وبقوة إلى الآن ، ومازال يباع في الأسواق أجزاء من الحيوانات والجلود والمكونات التي تستخدم في السحر ولها أسواق خاصة بها ، وليس فقط في القبائل أو القرى ولكن أيضاً في العاصمة وبجوار سوق أرتيزان وهو اكبر سوق تجاري لكل المصنوعات اليدوية .

كما أن للجمعيات السرية أهمية في المجتمع ، فمازالت تلعب دوراً سياساً واقتصادياً للقبائل بالإضافة إلى تنظيم الحياة في القرية وخاصة المراسم الزراعية المقدسة واتخاذ القرارات السياسية وتنظيم العمل . ووجود هذه الجماعات تعطي معنى التعاون والمساعدة التي يقدمونها من أجل القبيلة كلها . هذه الجمعيات مازالت موجودة وأساسية إلى الآن وهي في طقوسها ومساعدتها لاتخالف الإسلام في شئ .

أما الأقنعة (الماسكات) فلها أهميتها العظمي خاصة عند البمبارا ، فهم يقومون بصنعها ونحتها من الأخشاب ، وتستخدم في الاحتفالات كتكريم وتحفيز لأحسن زارع أو صانع ، وتستخدم قبل الحصاد في احتفالية كبيرة آملين من ذلك وفرة المحصول . كما أنهم يستخدمونها كنوع من الفنون ولكن بغرض نقل التراث والعادات والتقاليد إلى الشباب وتعليمها للأطفال ، ويتم هذا من خلال المسرح الكبير المعروف في سبجو مركز تجمع البمبارا .

كما تلعب المرأة دوراً هاما في الديانة التقليدية الإفريقية عامة والغرض من هذا العرض هو التعرف على النظرة التقليدية التي كانت للمرأة ثم بعد ذلك سنعرض للمرأة في الإسلام والمرأة عند البمبارا .





الفصل الرابع

التنشئة الاجتماعية عند البمبارا

تمهيد:

تعرضنا في الفصل السابق للمعتقدات التقليدية عند البمبارا وارتباط تنشئه الأطفال بهذه المعتقدات، وتعرفنا علي الأسرة وطقوس الزواج التى كانت متبعة قبل الإسلام . وفي هذا الجزء نرى تنشئة الأطفال عند البمبارا، ومراحل الطفولة ، ومؤسسات التنشئة الاجتماعية الرسمية وغير الرسمية ، خاصاً وإن أهم مايميز هذه القبائل هو تمسكهم بالعادات والتقاليد والمعتقدات التقليدية ، وأنة بعد دخول الإسلام تم تطويع بعض من هذه العادات لتتمشي مع الدين الإسلامى ، وتتضح مظاهر هذا التمسك بهذه العادات في تربيه الأطفال .

أولا : مراحل الطفولة :

تنقسم مرحلة الطفولة إلى المراحل التالية :

أولا : الرضيع Babyhood

وهي من عمر أسبوعين إلى عامين و تسمي فترة الرضاعة .

قال الله تعالي: ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ﴾سورة البقرة : آية ٢٣٣.

﴿ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا ﴾ سورة الأحقاف:آية ١٥ » .

قال رسول الله ﷺ : « لا رضاعة إلا ما كان في الحولين ».

تعتبر مرحلة الرضاعة من أهم مراحل الطفولة وعلي الرغم من أن هذه المرحلة لا تكون كلها رضاعة إلا أن التسمية تطلق علي الرضيع حتى سن سنتين . وهذه المرحلة تعتبر مرحلة اكتشاف العالم الخارجي وتوسيعه فهي مرحلة انطلاق القوى الكامنة ومرحلة الإنجازات الكبيرة حيث تشهد نموا جسميا سريعا وتأثرا حسيا حركيا ملحوظا في السيطرة علي حركات الجلوس والوقوف والحبو والمشي وبداية تعليم الكلام واكتساب اللغة والاحتكاك الاجتماعي بالعالم الخارجي والتنشئة الاجتماعية ويتم فيها

الفطام وفيها تنمو الذات ويتكون مفهوم الذات الذي يعتبر النمو الأساسي للشخصية .

في هذه المرحلة يجب مراعاة :

* عمل علي وقاية الأطفال من الأمراض وتنمية المناعات المختلفة لديهم وتحصينهم وتطعيمهم ضد الأمراض المعروفة في الطفولة .

* ويد الأطفال بالتغذية الملائمة .

* سير الخبرات للتعليم والحياة الصحية في المنزل والمجتمع .

* اتصال الاجتماعي يزيد المحصول اللغوي ويزيد من فهم طبيعة التفاعل الاجتماعي .

* رعاية النمو الاجتماعي والإيجابية في التنشئة الاجتماعية للطفل في ضوء المعايير الاجتماعية والقيم السائدة في المجتمع .

* إقامة رابطة بين الوالدين والرضيع علي أساس متين من الحب المتبادل .

*تجنب القلق بخصوص حب الاستطلاع بالأعضاء التناسلية .

*تجنب الجزع إذا لوحظ لعب الرضيع بأعضائه أو مص أصابعه كل ما يجب عمله شغل اليدين[(١)]

الوسائل التقليدية للطفل الرضيع :

تحدد كل ثقافة بعض الوسائل التقليدية لتربية الطفل الرضيع فنجد أن الطفل في بعض الثقافات يوضع عندما يصرخ ويسمح له أن يستغرق الرضاعة الوقت الكافي الذي يحلو له ويلاعبه عدد كبير من أفراد الأسرة ويسمح له بقدر كبير من الحرية في الحركة[(٢)].

---

(١)حامد عبد السلام زهران – علم نفس النمو (الطفولة والمراهقة) – عالم الكتب – القاهرة – ط٥ – ١٩٩٥ – ص١٤٩ .

(٢)محمد الجوهري – الانثروبولوجيا « أسس نظرية وتطبيقات عملية » دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ٢٠٠٥ ص ١١٠

تجد ثقافات أخرى أن الطفل لا يرضع إلا في أوقات محددة وتستحثه الأم في أثناء الرضاعة وقد لا يترك وحيدا في فترات ما بين الرضعات وربما يربط بأحكام في مكانة بحيث تقييد حركة زراعية ويرفع من مكانه فقط كل يوم للنظافة وكلما ينمو الطفل تتنوع بنفس الشكل أساليب معاملته ويعتقد الكثيرون أن هذه الفروق في أساليب المعاملة لن تترك آثارها البالغة في ارتقاء شخصية الطفل .

التنشئة الاجتماعية للطفل الرضيع ويبدأ تدريجيا في معرفة بعض عناصر بيئته وإذا لم تكبله قيود معينة فإنه يبدأ في وقت مبكر في تحسس أجزاء جسمه وإمكانها وأيضا ذلك الجزء من البيئة الخارجية الذي يستطيع أن يراه ويلمسه ، كما ينصرف الطفل الرضيع إلى بعض الأفراد ويدرك الفرق بينهم فيما يتعلق بعلاقتهم به ، من الممكن أن يتعرف إلى الأب علي أنه الشخص الذي يداعبه وليس الشخص الذي يطعمه كما يجرب أحباله الصوتية بإصدار أصوات مختلفة وكلما اقترب من مرحلة الطفولة يبدأ في معرفة بعض الأصوات التي ترتبط ببعض المعاني في استخدام الأشياء التي يستطيع الوصول إليها أو التي يقدمها له الآخرون[١] .

ثانيا : الطفولة المبكرة Early Childhood (٣ – ٦ سنوات)

قبيل المدرسة هذه هي مرحلة قبل المدرسة وتمتد من نهاية مرحلة الرضاعة حتى دخول المدرسة ويفضل البعض اسم مرحلة الطفولة المبكرة علي اسم مرحلة قبيل المدرية إذ تستقبل دور الحضانة ورياض الأطفال فيما بين سن الثالثة والسادسة تقريبا .

تكون نمو الشخصية في هذه المرحلة سريعا وهناك الكثير علي الطفل أن يتعلمه وتتميز هذه المرحلة بمميزات عامة منها استمرار النمو بسرعة ولكن أقل من سرعته في المرحلة السابقة والاتزان الفسيولوجي والتحكم في عملية الإخراج وزيادة الميل إلى الحركة والشقاوة ومحاولة التعرف علي البيئة المحيطة والنمو السريع في اللغة ونمو ما اكتسبه من مهارات وتكوين المفاهيم الاجتماعية[٢] .

(١)المرجع السابق ص ١١٣ – ١١٤

(٢)محمد عبد القادر عبد الغفار وآخرين – سيكولوجية النمو – جامعة حلوان – كلية التربية – بدون سنة نشر – صـ ١٣٧ – ٢٠٨ .

في هذه المرحلة يجب مراعاة :

- مساعدة الطفل في تكوين عادات نوم صحيحة .
- تعليم الطفل متى يأكل وكيف يأكل وماذا يأكل .
- خطورة إرهاق الطفل بنشاط حركي فوق طاقته .
- تحويل النشاط الحركي الزائد والاستفادة منه في وجهات نافعة .
- تشجيع الطفل في دار الحضانة علي الرسم والمسك بالقلم واستخدام الورق والمقص والأشغال اليدوية .
- الاهتمام بحكاية القصص للأطفال بهدف التدرب علي الكلام مما يساعد علي النمو اللغوي .
- رعاية النمو اللغوي وتقديم النماذج الكلامية .
- توفير الشعور بالأمن والثقة والكفاية والانتماء والسعادة عند الطفل .
- خطورة العقاب خاصة العقاب البدني .
- توفير الجو الاجتماعي الصديق وإشباع حاجة الطفل إلى الرعاية .
- الاهتمام بتحسين العلاقة بين الوالدين .
- توجيه الطفل ليدرك معني المجتمع وتقوية الميل الاجتماعي عنده وتعليمه المعايير الاجتماعية السليمة
- تعليم الطفل القيام بالدور الاجتماعي الذي يتناسب مع هذه المرحلة .
- تعويده احترام الكبار وأدوارهم وأدوار الآخرين وتشجيعه علي تحمل المسئولية بالتدريج .
- الإجابة السليمة عن الأسئلة الدينية للطفل بما يتناسب مع عمره ومستوي فهمه وإدراكه[1] .

(١) حامد عبد السلام زهران – مرجع سابق – صـ ١٩١ .

- بداية اكتساب المعايير الدينية كالحلال والحرام خلال عملية التنشئة الاجتماعية .

- يتأثر الشعور الديني بالتفكير والتخيل ولا يأخذ الشعور الديني صورة معنوية إلا في مرحلة متأخرة من النمو .

- التصور الديني لدي الطفل الصغير مثل تصور الرجل البدائي ملئ بالملائكة والشياطين .

ثالثا : الطفولة الوسطي : Middle Childhood (٦ – ٩ سنوات) المرحلة الابتدائية – الصفوف الثلاث الأولي

- يدخل الطفل في هذه المرحلة المدرسة الابتدائية إما قادما من منزله أو دار حضانة أو روضة أطفال .

تتميز هذه المرحلة :

- اتساع الآفاق العقلية المعرفية وتعلم المهارات الأكاديمية في القراءة والكتابة .

- تعلم المهارات الجسمية اللازمة للألعاب وألوان النشاط العادية .

- اطراد وضوح فردية الطفل واكتساب اتجاه سليم نحو الذات .

- اتساع البيئة الاجتماعية والخروج العقلي إلى المدرسة والمجتمع والانضمام لجماعات جديدة واطراد عملية التنشئة الاجتماعية .

- توحد الطفل مع دوره الجنسي .

- زيادة الاستقلال عن الوالدين[1] .

في هذه المرحلة يجب مراعاة :

العناية بالتغذية في المنزل والوجبات المدرسية المستوفاة للشروط الصحية الاستمرار في تعليم الطفل متى وكيف وماذا يأكل بحيث يختار غذائه المناسب المتكامل في حرية تامة .

(١)محمد عبد القادر عبد الغفار وآخرين – مرجع سابق – صـ ١٥٩ .

الاهتمام بعادات النوم السليمة .

رابعا : الطفولة المتأخرة Late Childhood (٩ – ١٢ سنة) المرحلة الابتدائية – الصفوف الثلاثة الأخيرة .

يطلق البعض علي هذه المرحلة قبيل المراهقة Preadolescence وهنا يصبح السلوك بصفة عامة أكثر جدية في هذه المرحلة التي تعتبر مرحلة إعداد للمراهقة .

تتميز هذه المرحلة بما يلي :

– بطء معدل النمو بالنسبة لسرعته في المرحلة السابقة والمرحلة اللاحقة .

– زيادة التمايز بين الجنسين .

– تعلم المهارات اللازمة لشئون الحياة وتعلم المعايير المختلفة والقيم وتكوين الاتجاهات والاستعداد لتحمل المسئولية وضبط الانفعالات .

– هذه المرحلة تعتبر أنسب مرحلة لعملية التطبيع الاجتماعي .

في هذه المرحلة تطرد عملية التنشية الاجتماعية فيعرف الطفل المزيد عن المعايير والقيم والاتجاهات ويهتم بالتقييم الأخلاقي للسلوك .

يزداد تأثير جماعة الرفاق ويكون التفاعل الاجتماعي مع الآخرين شديد .

يبدأ تأثير النمط الثقافي ووسائل الأعلام والخلفية الثقافية للأسرة والطفل والطبقة الاجتماعية التي تنشأ فيها نموه الاجتماعي .

يميز الشعور الديني في هذه المرحلة « الاجتماعية » حيث يتأثر الطفل بالبيئة الاجتماعية التي يتربى فيها ويأخذ السلوك الديني وأداء الفرائض شكلا اجتماعيا .ويصبح الدين بذلك وسيلة من وسائل التوافق الاجتماعي وتلعب التنشئة الاجتماعية دورا هاما في هذا الصدد [١] .

لكل ثقافة طريقتها الخاصة في عملية تقسيم مراحل الطفولة ، وعلى الرغم من أن

(١)حامد عبد السلام زهران – مرجع سابق من صـ ٥٦٢ ، ٢٧٦ ، ٢٨٤ .

العديد من تلك المراحل لا يتم تسميته بأسماء معينة ومحددة فإنه يتم معرفتها والتحدث عنها عن طريق معرفة السلوك والأفعال المرتبطة بكل مرحلة عمرية معينة[(١)] .

إن مراحل نمو الطفل عند البمبارا لا ترتبط بشكل مباشر بالعمر الزمني ، فالطفل يتم وصفه والتحدث عنه عن طريق نموه وتطوره . ومن تلك الأوصاف أنه يسير أو يمشي أو هو يتحدث ، إنه لديه أسنان ، أنه يعرف كيف يقوم بحمل رسالة معينة يعني أنه مسئول فالطفل يتم النظر إليه على ما هو عليه في الوقت الحالي وليس على ما يجب أن يكون عليه في عمر معين .

عند سؤالي لأحد الإخباريين عن سن الفطام قال لى : أن الطفل يظل يرضع من ثدي أمه حتى يتمكن من المشي ، وعند سؤال أكثر من أم ومحاولة لحساب سن أطفالهن وجدت أن الطفل يظل يرضع من ثدي أمه إلى سن سنتين وثلاث سنوات ، إذن مراحل الطفولة ليست متماثلة في كل المجتمعات ولكنها تختلف من مجتمع لآخر .

- ويطلق على حديث الولادة إلى سن أربعة وخمسة شهور يطلق عليه ديرن Deyern
- أما Den فهو طفل من سن الخمسة شهور إلى سن المشي (سن سنتين) .
- ومن سن سنتين إلى ست سنوات يطلق علية ديمساني (Demiceni) .
- تطلق الأسماء السابقة على الأطفال في مراحلها المختلفة ذكراً كان أو أنثى .

ثم تبدأ الأسماء في الاختلاف بين الولد والبنت من سن ٩ سنوات إلى سن ١٢ سنة حيث يطلق على الولد اسم كمالني أو فوناكنى(Kemaleni أو Fonakeni) ، أما البنت يطلق عليها بوتيكنى أو سوكوروني (Botikini أو Soukourouni)

المتطلبات النفسية والاجتماعية للطفل الصغير :

هناك بعض الحاجات والمتطلبات الأساسية التي يجب أن يتم توافرها في أي مجتمع وتحت أي ظرف من أجل الحصول على نمو نفسي وصحي مكتمل للطفل هذه المتطلبات هي :

(١) ECCD)(Judith timyan - op - cit

الحاجة إلى الاتصال ، الأمر الذي يؤدي إلى خلق روابط قوية بين الطفل وأمه أو هؤلاء المربين الذين يعتنون به . كما يحتاج إلى بعض المحفزات الطبيعية والذهنية . وتوفير الأمان وإمكانية الاستكشاف لمعرفة الأشياء الجديدة لكي يلعب[1] بحرية .

هذه المتطلبات الأربعة عامة ، وغالبا تجدها في العديد من المجتمعات ربما تختلف من مجموعة لأخرى وهذا مايحدث في إفريقيا الحديثة ، فإنه مع التغير السريع الذي يحدث في التوقعات والأهداف المختلفة وكما أن المجتمعات الاجتماعية تتغير بشكل مستو ويتم إعادة تعريفها بشكل مستمد فإن هذه المتطلبات الأربعة ربما لا يتم توفيرها بشكل مناسب ولكنها موجودة .

هذه المتطلبات تمثل مراحل في عمر الطفل ، فلنحاول أن تطبق هذه المتطلبات على مجتمعنا لنجد إلى أي مدى توجد هذه المتطلبات .

*** مرحلة الميلاد والرضاعة والطفولة المبكرة :**

إن أحد أهم الحاجات والمتطلبات الأساسية والهامة التي يحتاجها الطفل الصغير هي الاتصال والربط المبكر بينه وبين أمه أو مع من يقوم برعايته في هذه السن المبكرة، هذه العلاقة الأولى هي التي تعطي الطفل الإحساس بالأمان والثقة في الآخرين.

إن الاتصال يمكن تعريفه بأنه الرابطة النفسية القوية أو القريبة التي تربط ما بين الطفل وأمه التي تنشأ بسبب الرعاية المستمدة والنابعة من الأم لأبنائها وتبادل العاطفة والمحبة .

ولقد وجد كتابات عديدة تناولت مدى القرب ما بين الأم وأبنائها ومدى قوة الرابطة التي تربط بينهم وخاصة في المجتمعات الإفريقية ، وبالنظر في مجتمعات بمبارا وجدنا أن :

* الرضاعة عند الطلب ، النوم معا ، عادة اتصال بشرة الأم ببشرة الطفل في السنة الأولى من العمر ، التواجد الدائم والمستمر والثابت للأم أمام طفلها عندما يحتاج إليها

(١)Early childhood counts : programming of Early childhood early and development ، (1999) world bank

حتى وفي أثناء عملها سواء في الحقل أو المنزل فهي تعمل بيدها وطفلها مربوط على ظهرها طول الوقت حتى إنهم يقولون هناك « مؤخرة الأم دواء للطفل » هذه العلاقة القوية والملتصقة بين الأم وطفلها لا تبدأ منذ الميلاد ولكنها تبدأ بعد أسبوع من الميلاد وذلك لعدة اعتقادات لديهم .

أولا : أن الطفل بمجرد خروجه إلى الحياة يوضع في جانب معين على قطعة من الحصير أو القماش بينما تظل الأم لا تعطي الكثير من الاهتمام إلا بعد أن تتخلص من الخلاص ، ويتم اعتبارها قد عبرت مرحلة الخطر ، ومن هنا نبدأ في الاعتناء بطفلها .

من الملاحظ أن ترك الطفل بهذه الطريقة من الممكن أن يعرضه لمشاكل صحية قد تؤدي بحياته ، حيث وجدت أطفال توفوا بسبب تركهم عراة في مكان مكشوف وخاصة من يولد ولديه متاعب في التنفس، ويظلون هكذا إلى أن تعبر الأم مرحلة الخطر وهي التخلص من الخلاص .

ثانيا : أن عملية الولادة في هذا المجتمع وما يماثله عملية بها مخاطر كثيرة على المرأة . فعملية الولادة بالرغم من أنها مرغوبة ومطلوبة ويتم الاحتفال بها ألا إنها تخلو من المتاعب والصعوبات والخطورة، كما أن الطفل الوليد ينظر إليه على أنه مازال غريباً لم يفز بقبول أو رضا الطبيعة إلا بعد أن يجتاز هذه المرحلة .

ثالثا : هذا الطفل حديث الولادة يأتي من عالم آخر يسكنه الأسلاف والأرواح والأجداد وغير المولودين بعد ، وقد تمت ولادته حديثا ومن خلال بكائه وصراخه هذا ينقل رسالة من العالم الآخر إلى أحد أفراد العائلة وقد يكون هذا الطفل قادرا على جلب الحظ السيئ أو الحظ الحسن حسب ما يوجد في المجتمع متزامن مع ولادة هذا الطفل ، ويكون ذلك في شكل أمراض خطيرة أو موت أو غيرها من المصائب[(١)] .

إن الأيام الأولى من حياة الطفل أيام لطيفة وفرحة ، ولقد فزعت مجموعة أن الأسلاف أو الأرواح من الممكن أن تستدعيه في أي وقت وبعد مرور تلك المرحلة يكون هناك احتفال و بعد مرور الأسبوع الأول ويتم فيها تسمية المولود وبعد قبول الطفل بشكل رسمي في ذلك المجتمع يبدأ في شراء بعض العطور والبودرة وبعض

(١) ميداني ٧ – ٩ – ٢٠٠٩.

القلائد وذلك من أجل الحفاظ على الطفل في صحة جيدة .

نجد أن أحسن الملابس تأتي له وتمنح الأم راحة من كل الأعمال والأعباء أربعين يوما لتحصل على الغذاء والنوم وتكون بالقرب دائما من طفلها ، بالرغم من أنها تظل تعمل في الحقل والمنزل أثناء فترة الحمل إلى آخر يوم في الحمل قبل الولادة مباشرة .

• ذكرنا سابقا أن الطفل يرضع في أي وقت وينام مع أمه ، وذكرنا أيضا رفض الجماع الزوجي ، ذلك لأن هذا يؤدي إلى تغير واختلاط في لبن الأم مما يؤثر على الطفل الرضيع بشكل كبير ويسبب له المرض الشديد .

إن عملية إرضاع الطفل بشكل مستمر وطوال الليل ونوم أمه معه لها تأثير مباشر على طبيعة النوم لدى الطفل ، فنجده عندما يكبر يفضل النوم قريبا من شخص ما ولا ينام بمفرده

الفطام : نجد أن الأم تتخذ هذا القرار ما بين ليلة وضحاها ، حيث يتم إبعاد الطفل عن والدته بمجرد اتخاذ القرار بفطامه ، وبعض الأمهات تعطي الطفل مواد لاذعة مما تجعل الطفل ينفر من ثدي أمه ويترك بعد ذلك مع إخوته وعندما يشعر بحاجته للطعام يعطوا له قطعة من الطعام ويتركوه لكي يتناولها بمفرده ، ويترك بعد ذلك مع أخوته لكي يتناولوا الطعام من طبق واحد ، فهذا يدفعه إلى محاولة الحصول على الطعام وتقليد إخوته ، فهو هنا لا يعطونه طعاماً خاصاً بالفطام كما يحدث في مجتمعات أخرى وإنما يعطوا له نفس طعام الكبار .

*** النمو الحركي للطفل خلال العامين الأولين من عمره في مجتمع البمبارا :**

أشهر الدراسات التي تناولت موضوع حركة الطفل والتعامل معه في هذه المرحلة هي دراسة Hopkins فلقد قام بتعريف التعامل أو التناول holding بأنه التعامل عن قرب وبإحساس مع الطفل والوضع الذي يكون عليه وأيضا مع الاستجابات الحركية والسلوكية لذلك الطفل من خلال مدى التقارب ما بين جسد الطفل وأيدي من يتعامل معه ويعطيه الرعاية(١) .

(1)Bril ، Blandine & Sabatier ، Colette(1989).»The cultural content of motor development : Postural main pulations in the daily life of Bamabara babeis (Mali) ، international journal of Behavioral development P.P. 439 – 453 . P. 440

وقد قام Hopkins بتعريف أنواع مختلفة من التعامل أو التبادل للطفل :

التعامل الفعال والسلبي (التعامل الرسمي والغير رسمي)

فالتعامل السلبي أن يحرك الطفل عن طريق من يعتني به من خلال النساء ، والتحريك للطفل والتعامل الإيجابي يحتوي على بعض الحركات والأفعال التي تسهل وتحفز الطفل على الحركة البدائية دون مساعدة كبيرة فإنها تشير إلى تلك المعرفة المكتسبة لدي من يقوم بالعناية وهي متخصصة فيها للثقافة .

الأوضاع التي يخضع لها الطفل حديث الولادة من الميلاد إلى ٦ شهور في مجتمع البمبارا في سياق ثقافة البامبارا التقليدية هي :

مستلق – جالس – واقف و يتم التعامل معها يوميا .

- أوضاع أخرى يتم التعامل معها من خلال العناية من قبل الأم أو من ينوب عنها.

هناك أوضاع أربعة رئيسية خلال فترة النهار وهي : مستلق علي ظهره وهي تقريبا نادرا ما تحدث ، الجلوس شبه عمودي ، الجلوس وهو مستقيم الظهر ، والوقوف ، من الملاحظ أنه بعد أن تعود الأم إلى العمل بعد أربعين يوما فإنه نادرا ما نجد الطفل موضوعاً أو ملقى على حصير أو على أحد الأسطح كما أن فترة الجلوس شبه عمودي يحاولون الإقلال منها مع زيادة الفترة التي يستغرقها في الوضع الجالس مستقيم الظهر أما عند الشهر السادس فأن الفترة التي يستغرقها الطفل للوقوف تزداد .

عملية حمل الطفل على الظهر : صوررقم (١٦، ١٧)

مع بداية ممارسة الأم لأنشطتها تستغرق ٤٠ ٪ أو ٥٠ ٪ من الوقت نلاحظ وضع الطفل في الحمالة أو العلاقة خلال الشهرين الأولين من عمر الطفل ، ومن أن لآخر تقوم الأم بحمل طفلها على فخذها لمدة ٣ – ٤ ثواني ، فقط يظل هكذا إلى أن يصبح قادراً على الجلوس بشكل مستقيم عند حوالي الشهر الخامس . هناك مجموعة من الأفعال المتكررة والمواقف من بداية عمر الطفل إلى ثلاثة أشهر في أغلب الأحيان تقوم

بها الجدة وهذا يطلق عليه التعامل الرسمي وهذا يمكن رؤيته في ثقافات كثيرة(1) .

يتم شد الأطراف بعد كل حمام والطفل مبلل الجسد ، يبدأ من يعتني به وهو الغالب الأم بشد الأطراف العليا والسفلى ابتداء من الذراعين ثم القدمين ، الهدف من ذلك زيادة قدرة الطفل على الحركة ، ويوجد عمليات شد أخرى غير التى تتم أثناء الاستحمام وهي تعليق الطفل من ذراع واحد وتحريكه واهتزازه حوالي ٤ ثوان ، ثم تعليق الطفل عن طريق القدم ، تعليق الطفل عن طريق الرأس .

* أن عملية تعليق الطفل من الذراع هي التي تتم بشكل يومي تقريبا ، حيث يتم حمله من مكان لآخر باستخدام الحمل من الذراع ويتم استخدام مثل هذه الطريقة مع الطفل حتى عمر ١٨ – ٢٠ شهر .

* أما الاهتزاز فلا يقصد لذاته ، ولكن يحدث مثلا عندما يبكي الطفل أو عندما تكون الأم حاملة له وتقوم ببعض الأشياء .

* أما عملية وقوف الطفل فهو يتدرب عليها مبكرا من قبل تدخل الآخرين ، يتم وهذا خلال الشهرين أو الثلاثة الأولى يعملوا على تعليم الطفل على الوقوف والعمل على تثبيت قدمه علي الأرض .

إن وضع الطفل شبه جالس يحدث منذ الميلاد إلى عمر شهر واحد ، حيث يبدأ الطفل في شبه الجلوس أثناء الرضاعة وأثناء الاستحمام في زاوية ٤٠ – ٤٥ ، درجة وبعد أن تصبح الرأس أكثر ثباتا يبدأ في وضع الجلوس .

* في وضع الجلوس يبدأ الكبار في وضع استراتيجيات للتأكيد على ثبات الرأس والجذع وتأمين الطفل في حالة وقوعه على الأرض حتى لا تصدم رأسه .

* من الأوضاع الشائعة في التعامل مع الطفل أثناء لعب الكبار معهم أن يقوم الشخص البالغ بالإمساك بالطفل من المنطقة التي تحت ذراعيه أي منطقة القفص الصدري(تحت إبطيه) في وضع الوقوف لتقوية عضلات الجذع والرقبة .

* من الأوضاع الشائعة أيضا أثناء عملية تدريب الطفل على استخدام الحمام هو أن

(1)International journal of Behavioral Development P.P. 439 – 453 (op-cit)

يقوم الطفل بالجلوس على حجر الشخص البالغ ، وهذا أيضا يعمل على تقوية عضلات الطفل[١] .

إن تلك الأوضاع التي يتم الإمساك بالأطفال بها والتعامل معهم من خلالها في مجتمع البمبارا كثيرة ومتنوعة و كل هذه الممارسات والطرق التي يتم تطبيقها في رعاية الأطفال هي تعليم لهؤلاء الأطفال مهارات أساسية ، ومن الملاحظ أن الطفل يستجيب ويتفاعل تبعا للوضع الذي يكون عليه ، وعملية نمو النشاط الحركي للطفل تتنوع وتختلف تبعا لوضعية الطفل سواء كان ملقى على ظهره أو شبه جالس ولابد من معرفة أنه مع زيادة نمو الطفل فإن ممارسات وطرق الإمساك به تختلف من مرحلة إلى أخرى.

الإثارة والتحفيز في مرحلة الطفولة :

إن طريقة التعامل مع الطفل والإمساك به تتضمن على الكثير من المثيرات أو المحفزات الحسية ، فعملية حمل الطفل على ظهر الأم مع وجود تلامس بين بشرة الأم والطفل هذا الأمر يحتوي على العديد من أنواع المحفزات ، حيث نجد أن هؤلاء الأطفال عندما ينفصلون عن أمهاتهم يقومون بالنوم بالقرب جدا من أحد أفراد العائلة على نفس النمط الذي كانوا عليه مع أمهاتهم .

كما أن حمل الطفل بالحمالة بالطريقة التي يحملونه بها على ظهر الأم والانتقال به من مكان إلى آخر يمثل أحد أشكال الرعاية بالطفل حيث أن الطفل عندما يكون شديد البكاء والصراخ يتم حمله بهذه الطريقة من أجل تهدئته ، كما أن الاستحمام من عمليات الشد والمساج يؤدي إلى زيادة وتحفيز النمو النفسي والحركي للطفل

أما عن المتغيرات والمحفزات الذهنية فإن الطفل كلما صار أكبر كلما زادت قدرته على الوعي وزادت حاجاته وتطلعاته إلى الاستكشاف ومحاولة معرفة كل جديد حوله .

التنشئة الاجتماعية في هذه المرحلة :

هناك ثلاثة مجالات تتم من خلالها عملية التنشئة الاجتماعية للأطفال مبكرا ، وهذه المجالات هي :

---

(١)ميداني .

(١) **الاحترام والطاعة** : يوجد اهتمام كبير وتأكيد على تعليم الأطفال كيف يصبحون مطيعين وأجريت مقارنات في الثمانينات ما بين المجتمعات الإفريقية وبين العديد من الأماكن حول العالم من حيث الاختلاف في طبيعة التنشئة الاجتماعية ، حيث وجدت الدراسة أن المجتمعات الإفريقية تختلف عن أي مكان آخر حول العالم في عملية التنشئة الاجتماعية من حيث أمرين هما : تعلم الطاعة وتعلم سلوك المسئولية ، إن غالبية الآباء الذين تمت مقابلتهم يذكرون أن الطفل الذي يسأل العديد من الأسئلة ويدخل في العديد من المناقشات والحوار مع الكبار سيئ الأخلاق ، فالطفل الصغير يتعلم فقط أن يقوم بتنفيذ ما يطلب منه بدون أن يسأل عن تفاصيل أو توضيح لما يطلب منه ، وهذا طبيعي من حيث أن طبيعة الأسر هناك طبيعة الحياة الاجتماعية من منطلق كبير الأسرة له مكانة عالية ويتدربون على احترام الكبير ، وبما أن الأطفال الصغار تنشأ وسط هذا المجتمع ويقومون بتقليد الكبار فلابد أن ينشئوا على الطاعة ومساعدة الآخرين وتحمل المسئولية.

إن الطفل أول ما يستطيع المشي يتم تكليفه بأداء أولى المهمات ويتدرب عليها مثل توصيل شيء لأحد الأفراد أو نقل أحد الأدوات من مكان لآخر أو إحضار شيء من مكان ما، الغرض تعليم ذلك الطفل طاعة الأوامر التي توجه إليه . أما عندما يتكلم فيتم تكليفه بنقل رسالة معينة لشخص في مكان آخر أو في منزل آخر وهذه مرحلة أصعب بالنسبة للطفل .

(٢) **التبعية والاستقلالية** : هذا المجتمع وغيره من مجتمعات غرب إفريقيا تهتم بشكل كبير وتضع الكثير من قيمها على سلوك التبعية فهم لا يشجعون الاستقلال الاجتماعي .

حيث أن من الشائع أن نجد هؤلاء الناس عاشوا ونشئوا في مجتمعات زراعية صغيرة أن يكونوا متعاونين في علاقاتهم حيث أن تلك العلاقات التي تعتمد على التبعية وعدم الاستقلال هي التي تعمل على نقل وانتشار الثقافة .

نجد في هذا الموضوع أن الأطفال أكبر سنا مسئولين عن أقرانهم الأصغر منهم وهذا يولد لديهم إحساس بالتبعية لأنهم يكونون تحت رعاية من هم أكبر منهم سنا . كما يولد عند الكبار الإحساس بالمسئولية وذلك تجاه من هم أصغر منهم من أخواتهم ، وهذا

عكس ما نجده في المجتمعات الغربية الحديثة ، ففي ثقافة هذه المجتمعات الحديثة نجد وضع خط فاصل ما بين كونك طفل وكونك بالغا ، حيث أن الأطفال لديهم مهامهم الخاصة بهم ، طعامهم الخاص وثقافتهم الخاصة بهم وكلها أمور تختلف عن تلك التي تخص الكبار البالغين

(٣) مهارات الاتصال (التواصل) : من الحالات ذات الأهمية الكبيرة عملية تدريب الأطفال بشكل جيد على اللغة كوسيلة للاتصال فكان، من الملاحظ من قبل العديد من الباحثين أن الثقافات الإفريقية التقليدية تحرص فيها كل من الأم والأب وباقي الكبار الآخرين في المجتمع لا يحاولون القيام ببذل مجهود وافي في الحديث مع أطفالهم بغرض تعليم هؤلاء الأطفال كيفية الاتصال أو التواصل مع الآخرين وهذا يمكن أن يكون السبب الرئيسي الذي يجعل هؤلاء الأطفال غير قادرين على الأداء بشكل جيد ليس في المدارس فقط ولكن أيضا في المواقف التي تحتاج من هؤلاء الأطفال أن يقوموا بالتعبير عن أنفسهم أو يتحدثون مع غيرهم من الكبار[1] أن الأطفال لا يتعلمون من الكبار لغة يتكلمون بها فهي ليست لغة تخاطب أو لغة حوار تعليمي ولكنها عبارة عن أوامر . مجرد أن يتعلم الطفل المشي والكلام يبدأ في أخذ الأوامر من كل من هو أكبر منه ، فهم يتعلمون كيفية القيام بالأمور العملية والتدريب العملي وذلك من خلال المشاركة المستمدة والنابعة من الحياة مع الكبار وحضور المناسبات الاجتماعية ، وهذا يكسبهم خبرة في التعامل العملي مع الآخرين . فنجد أن الطفل البمباري مجرد أن يبلغ ٦ سنوات يخرج إلى العمل مع والده ، والفتاة تبدأ في العمل في المنزل مع والدتها ومساعدة أخواتها .

يتضح لنا هنا أنه لا يوجد تقسيم واضح لمراحل الطفولة المتعارف عليه تنقسم إلى :

الطفولة المبكرة .

الطفولة الوسطي.

الطفولة المتأخرة .

(1) Judith Timyan (op-cit).

لا يوجد هذا التقسيم في مرحلة الطفولة عند البمبارا لأن الذي يحدد مرحلة الطفل إمكانيات وسلوكيات الطفل ولا يوجد تقسيم لها كما هو متعارف عليه .أى لا يوجد تقسيم لمراحل الطفولة وفقا للعمر الزمني .

نجد الطفل من بداية الحمل إلى سن ٦ سنوات في رعاية الأم والجدة والأخوات الكبار ، من بداية الحمل إلى العامين الأوائل نجده لا يفارق أمه ، أو الأصح من بداية الحمل إلى أن يمشي لا يفارق أمه وأحياناً جدته وبعد أن يتعلم السير يبدأ في الاختلاط بالأخوة والأخوات الأكبر سنا ويبدأ الكبار في إعطائه الأوامر والتوجيهات ثم بعد أن يتكلم تبدأ مرحلة أكثر صعوبة ويبدأ في التحرك خارج نطاق المنزل ويكلف بمهام للاعتماد على نفسه إلى أن يصل إلى ست سنوات يذهب إلى الحقل والزراعة مع والده والبنت تبقى في المنزل مع الأم .

ولا يوجد فرق هنا بين الولد والبنت ولكن يتم التفرقة في المهام التي تنسب إلى كل منهم ، أما معاملة الكبار أو الأم والأب فالكل سواء لديهم ، ولكن من الطبيعي أن يفضل الأب الذكور لمساعدته في الزراعة وتفضل الأم الإناث لمساعدتها في الشئون المنزلية « فالطفل هبه من الله ولا يجب لأحد أن يختارها وما يرسله إلينا الله يجب علينا قبوله » لكن الأسرة في النهاية لا تكتفي بأطفال ذكور فقط ولا ترضي بأطفال إناث فقط ، بل ترضي بالاثنين معا إلا أن ازدياد عدد الذكور في نفس الأسرة يمثل نوعا خاصا من المباركة والرضا النفسي

ومن الملاحظ أيضا في هذه المرحلة أنه لا يوجد أي نوع من التدليل للطفل ولا يوجد أي دور للأب إلا من سن ٥ ، ٦ سنوات ولا يوجد كلام كثير من الأب أو الكبار إلى الأبناء إلا في حالة إرشادهم أو توجيههم أو إعطاء الأوامر .

بعض المعتقدات التقليدية الخاصة بالأطفال في هذه المرحلة :

يرى كثير من البمبارا رجال ونساء أنه ليس ضروريا أن تختلف الشعائر باختلاف نوع المولود سواء كان ذكراً أو أنثى فكل المواليد ذات قيمة .

و طبقا للقول الشائع عندهم فأن « الطفل هبه لا يجب لأحد أن يختارها » بل يجب الترحيب به عندما يأتي ، ويؤمن جميع أفراد البمبارا بأن كل ما في الكون روح ، ولذا فإنهم

يستشيرون العرافات للتنبؤ بالمستقبل وكثير من الرجال يذهب أثناء حمل زوجاتهم ليعلموا أن كانت ستضع زوجاتهم بسلام وما هو نوع الجنين وهل سيرزقون بذكور عدة، بالرغم مما يقال عن مدى أهمية المولود إلا أن كل تصرفاتهم تشير اليى أنهم يفضلون الذكور .

أما غير المسلمين أي أصحاب الديانات التقليدية فأنهم يذهبون إلى الرجال الحكماء(العرافين) من القبيلة فيتكهنون بالمستقبل من خلال رموز معينة يمكنهم من خلالها رؤية المستقبل كالماء والأوراق وخلافه وبذلك يذكرون نوع الجنين ويسمى هذا الشخص الحكيم (بالكوموتيجي بالبامبارا) ولا يسمح لأحد أن يراجع أو يناقش أو يشكك في هذا الكوموتيجي .

البعض منهم لا يذهب إلى العرافات ولا إلى الكوموتيجي وإنما يعتقدون بأن هناك أدوية تقليدية كالأعشاب والجذور قد تستخدم في إمكانية ولادة الذكور ، كما أقرت بعض النساء بأن الاغتسال في مستخلص بعض النباتات النادرة قد يساعد في تيسير عملية الإنجاب ، كما يلجأ الكثيرون منهم للدعاء والصلاة ، إلا أنهم لا يفضلون الذكر على الأنثى أو العكس وإنما يريدون النوعين ، غير أن زيادة عدد الذكور في الأسرة يمثل نوعا من الرخاء والخير والبركة .

رغم عدم تفضيل أي نوع من المواليد إلا أن ما سبق بالإضافة إلى ما يحدث من احتفال بالطفل الجديد يوحي بأن الذكر هو الطفل المفضل ، فعند ولادة طفل ذكر يقوم الأب بذبح طير (غالبا الدجاج) يوميا لمدة سبعة أيام قبل مراسم التسمية ، كما أنه قد يكافئ القابلة عندما تخبره بهذا الخبر ، أما إذا كانت المولودة أنثى فقد يكتفي الأب بذبح طير ليوم واحد ، فقط كما أنه قد يتفوه ببعض العبارات التي قد توحي بعدم رضاه مثل « لو كان ذكراً كان أفضل » .

ولا يسمح للرجال بالحضور أثناء الولادة ، وطبقا لما يراه شعب بامبارا أنه من غير اللائق أن يتدخل الرجل في شئون الولادة أو يلح في معرفة نوع المولود ، فهو يتعرف على ابنه نظريا عندما يقدم الطفل لكبير العائلة وليس الرجل إلا أن يوفر الطعام المناسب لزوجته .

ينصب أكثر اهتمام هذا الشعب على التغيرات الحسية الملحوظة على الطفل ، ولديه اعتقاد شائع أن استطاعة الذكر الجلوس في سن ثلاثة شهور ، بينما الإناث في سن أربعة شهور ، برغم ذلك فقد حرصت مجموعة من السيدات كبار السن بأن ذلك لا يحدث قبل سبع أو ثمانية شهور ، ومن شدة إيمان هذا الشعب بالمشاركة الجماعية وتدعيم المهارات الجسدية فهم يلجئون إلى السحر والتعاويذ لكي تساعد الطفل على إكساب مهارات جسدية وحركية وتشجعه على الحركة والاتصال مع الآخرين ، فبعضهن تستخدم العناصر الطبيعية لبعض المزاعم السحرية ، فقد تستخدم بعض أنواع النباتات الشائكة في مياه الاستحمام بغرض تعجيل اكتساب المهارات ، كما أنه يوجد بعض أنواع الاغتسال التي تجهز خصيصا ويضاف لها بعض الأعشاب والأوراق النباتية بغرض حماية صاحبها من الأخطار المختلفة وشفائه من الجروح .

وترى بعض الأمهات أنه في حالة تقدم طفل عن طفل آخر في إحدى المهارات بأن هذه إرادة الله للطفل أن يتعلم وليس لأحد دخل فيها ، إذا حدث وتكلم طفل في عمر مبكر فإن هذا لا يلقى التشجيع والاستحسان ذلك لأن الطفل لا يتحدث إلا بعد أن يشرب الشراب التقليدي (Kono – nin – nin) كونو نين نين فيجب أن ينتظر اللحظة المناسبة . أما إذا تأخر الطفل عن أقرانه في الكلام فإن كبار السن الجدات فإنهم يقومون بفرك عش طائر يدعي ناكو Niko في فم الطفل فالطائر له دلالات عندهم حيث يعتقدون أنه طائر متكلم. أما مدة الرضاعة فهي تستمر إلى ثلاثون شهر ، ومن حق الطفل الأخير إطالة فترة الرضاعة عن أخواته الآخرين ، ومن حق كبير العائلة أن يتدخل إذا حاولت الأم فطام الطفل قبل هذا السن ، وقد أخبرنا كبير إحدى العائلات أيضا بأنه يجب على كل أم أن تعرف ما ستقدمه لطفلها أثناء عملية الفطام وبعده ، وعند سؤال إحدى الأمهات قالت : لا أستطيع أن أفكر أي نوع من الطعام أعطي لطفلي ، فأنا أتركه يأكل مع إخوته كما يأكلون فهو سعيد بذلك ويأكل وهم أيضا .

وقد لوحظ أنه لا فرق بين ما يرتديه هؤلاء الأطفال في السن الصغيرة بين الولد والبنت ، فالأم تلبسه ما تجده بالمنزل وقصات الشعر أيضا واحدة ، وتستمر ذلك إلى أن يصل إلى سن الخامسة فعندها يبدأ في أن يحذو حذو أبية وأخوته الكبار من الذكور ، والبنت تجاه والدتها وأخواتها الكبار من الإناث .

ما هو التافو[1]:

التافو هو تميمة تستخدم للكبار والصغار ، ولكنها شائعة الاستخدام للأطفال ، تستخدم إذا ما تأخر الطفل في المشي أو الكلام ، وتستخدم كحرز وحماية له من الخوف ، وهي عبارة عن خيط من القطن يقرأ عليه بعض الكلمات للغرض الذي تستخدم من أجله ، أما المسلمون فأنهم يقرؤون الآيات القرآنية ، أما وغير المسلمين فأنهم يقرؤون العبارات الخاصة بهم وتلف حول معصم الطفل أو حول الأرجل أو حول الوسط . أما عند الكبار فهي عبارة عن شريط من الجلد طويل ويوضع به قطعة من الورق ويكتب عليها بعض الآيات القرآنية إذا كان مسلماً وإذا كان وثنياً تكتب عليه العبارات الخاصة بالغرض الذي تستخدم من أجله، وتلف الورقة داخل شريط الجلد ويرتديه صاحبه إما حول الوسط أو اليد أو الأرجل . (انظر الصورة ١٩)

ثانياً : أشكال التنشئة الاجتماعية :

ذكرنا في الجزء النظري تعريف التنشئة الاجتماعية بأنها العملية الاجتماعية الأساسية التي يصبح الفرد عن طريقها مندمجا في حياة اجتماعية من خلال تعلم ثقافتها ومعرفة دوره في الحياة وأنها عملية مستمرة علي مدى الحياة.

وقد أوجزت فوزية دياب تعريفها للتنشئة الاجتماعية حيث عرفتها بأنها تحويل الفرد من كائن عضوي حيواني السلوك إلى شخص آدمي بشري[2] .

وقد لوحظ أن الإنسان في كل مكان ينتمي على الأقل إلى وحدتين اجتماعيتين :

(١) الأسرة : وهي أول جماعة اجتماعية يعرفها الطفل .

---

(١)الناقو للكبار مثل الحجاب الذي يستخدمه بعض المشايخ في القرى المصرية من أجل الوقاية من العين والحسد .

(٢)فوزيه دياب ، نمو الطفل وتنشئته بين الأسرة ودور الحضانة - ط ٢ - النهضة المصرية - القاهرة ١٩٨٠،.
فاروق محمد العادلي - عاطف أمين وصفي « مبادئ الأنثروبولوجيا » مدخل اجتماعي ثقافي ،- سنة ٢٠٠٣- ص ١٢٦.
أحمد أبو زيد « المجتمعات الصحراوية في مصر - القاهرة - ١٩٩٣ - صـ ٦١ .

(٢) المجتمع المحلي Local community : وهو في الغالب الوحدة الثانية التي يتعرف عليها الطفل بعد الأسرة والمقصود بالمجتمع المحلي أكبر مجموعة من الأشخاص الذين يعيشون معا ويقوم تعاملهم على أساس الاتصال الشخصي أي وجها لوجه face to face relation .

إن الأسرة والمجتمع المحلي هما الوحدتان الاجتماعيتان ذات الانتشار العالمي فهما الأساس الذي يعتمد عليه في تربية الأطفال في المجتمعات البسيطة وغير البسيطة وهي التربية غير النظامية (غير الرسمية ، غير المباشرة) هذه التنشئة أو التطبيع الاجتماعي هي عملية أوسع وأكثر تعقيدا من التربية أو التعليم بالمعنى الدقيق أو المفهوم الرسمي ككلمة ، لأن هذه التنشئة تشمل وتمتد إلى كل ما يساعد الفرد على اكتساب المواقف والاتجاهات والقيم السائدة في المجتمع من خلال اتصاله واحتكاكه بالآخرين .

عند دراسة التنشئة الاجتماعية والمعتقدات التقليدية الخاصة بها في مجتمع بمبارا وما يماثله من المجتمعات الزراعية البسيطة لابد لنا أن نأخذ في الاعتبار ما يأتي :

١- الوصف التفصيلي الدقيق لتفاصيل الحياة اليومية للفرد .

٢- أسس التربية الرسمية وغير الرسمية التي يخضع لها الطفل منذ طفولته المبكرة .

٣- دراسة دورة الحياة بالنسبة للفرد وأسس التمييز بين المراحل التي يمر بها بالإضافة إلى الحقوق والواجبات والمسئوليات والالتزامات التي تلقى على الفرد في كل مرحلة .

يقصد بالتنشئة الاجتماعية الممارسات والعادات التي يقوم بها أعضاء ذلك المجتمع محل الدراسة من أجل تنشئة ورعاية وتربية أطفالهم ، حيث أن تلك العادات والممارسات تكون متكاملة ومتوافقة مع طبيعة الحياة اليومية لذلك المجتمع ، وسوف نتحدث عن تلك الممارسات العامة التي يشترك فيها المجتمع ككل حيث إنها تظهر على أنها بعض الإجابات من المجتمع علي بعض المشكلات للتعامل مع الأطفال عند مرحلة عمرية معينة وفي ظل ظروف معينة في الواقع فإنها عبارة عن بعض الاستراتيجيات من أجل الاستجابة لحاجات ومتطلبات هؤلاء الأطفال والتي تحفزهم وتعمل على تطورهم ونموهم .

وهنا لابد من التركيز على جانبين على درجة كبيرة من الأهمية خاصة في مجتمع البمبارا وما يماثله من مجتمعات :

١- العوامل الطبيعية والاجتماعية التي يتم من خلالها تربية وتنشئة الأطفال .

٢- التوجهات والمعتقدات السائدة لدى هؤلاء الذين يقومون بتربية الطفل والعناية به وأيضا المعتقدات والتوجهات السائدة لدى جميع من حوله في المجتمع الذي سوف ينشأ فيه من الكبار والبالغين ونظرتهم إلى عملية العناية بالطفل[1] .

(١) أثر البيئة الطبيعية في تربية الأطفال :

أن البيئة الطبيعية لمجتمع مثل البمبارا لها تأثير كبير وانطباع على بعض الممارسات في تربية وتنشئة الطفل نظرا لشدة الحرارة وارتفاعها ، وأنها من المناطق الحارة فأننا نجد النساء (الأمهات) والأطفال يرتدون ملابس خفيفة ، وكما رأينا طبيعة ملابس المرأة في مالي والبمبارا نظرا لشدة الحرارة وطبيعة عملها في المزارع وكما وجدنا فأنه يحدث اتصال مباشر وتلاقٍ ما بين بشرة الأم وجلد الطفل

حيث أظهرت بعض الدراسات أن تلك العملية من التلامس تقوم بخلق إحساس وروابط عالية جدا وتبادل لشعور الحنان والأمومة ما بين الأم والطفل مما يؤدي إلى خلق رابطة قوية بينهما .

كما أن طريقة حمل الأم لطفلها وهذه الطريقة أجبرتها عليها البيئة الطبيعية شدة الحرارة بالإضافة إلى طبيعة عمل الأم ، فإن عملية الحصول على الطعام تتطلب أن تقوم الأم بالعمل في الحر الشديد من أجل الحصول علي الطعام وتجميعه وزراعته وفي نفس الوقت تريد أن ترعى ابنها الرضيع في فترة الرضاعة مما يضطرها إلى ربطه خلف ظهرها كما يتضح ذلك في الصورة ، ولقد جعلت هذه الطريقة علاقة وثيقة بين الأم والطفل .

(٢) البيئة الاجتماعية :

للبيئة الاجتماعية أهمية كبيرة تفوق أهميتها البيئة الطبيعية ، حيث أن الروتين اليومي

(1) Judith Timyan » The cultural rative group on childhood care and development (ECCd) 1988 pp 1 : 25

للطفل يتم من خلال علاقته بالكبار من أعضاء الجماعة ، من خلال هذه العلاقة يتعلم الطفل اتباع أنماط السلوك المختلفة وأهمها السلوك الاجتماعي ، حيث يشاهد الطفل تصرفات الكبار ويلاحظها ثم بعد ذلك يقوم بمحاكاتها ، فمثلا في البمبارا يظل يسمع طوال اليوم العديد من عبارات التحية والسلام والتعامل بين الأشخاص ونظام التعامل بين الكبير والصغير وبين الطبقات المختلفة ويؤدي هذا بالطفل إلى التعلم وهو في سن مبكرة جدا كيف يقدم التحية ويتعلم بعض أساليب التعامل مع الآخرين .

وتمثل البيئة الاجتماعية للطفل وسطاً غنياً جداً سواء بالناس أو المواقف اليومية التي تعمل على إكساب الطفل المهارة والخبرة بالإضافة إلى الوالدين ، وعلى الكبار والبالغين أن يتحملوا مسئولية تصحيح ما يفعله من أخطاء ويعملوا على تشجيعه .

(٣) أثر المعتقدات في تربية الطفل :

عند دراسة تنشئة الأطفال في مجتمع بسيط مثل مجتمع الدراسة فإنه لابد من معرفة التوجهات والمعتقدات السائدة لدى هؤلاء الذين يتولون عملية تربية ورعاية الأطفال ، هذه المعتقدات لا تعتمد على أمور نسبية يختص بها كل فرد على حده وإنما هي مجموعة من الممارسات التي تتخذ علامة على مجموعة خاصة ومعينة من المعتقدات الاجتماعية ، فإن لكل ثقافة تتميز بأن سماتها الخاصة التي تقوم بوضع علامات مميزة لكل مرحلة من مراحل نمو الطفل .

فمثلا بعض المعتقدات في البمبارا عدم أكل المرأة الحامل لبعض الأطعمة وإقبالها على بعض الأطعمة الأخرى وذلك يرجع إلى بعض المعتقدات في ثقافتهم مثل عدم أكل لحم حيوان toto اعتقادا منهم أن أكله يجعل الطفل سارقاً في المستقبل ذلك لأن من صفة هذا الحيوان السرقة . وعدم أكلها للسمك خوفا من أن يولد الطفل بعين مثل عين السمك ، كما أن تبول الطفل الصغير على أي شخص يعني بالنسبة لهم جلب الحظ الحسن .

وكما يحدث أيضا في ثقافة بعض الجماعات الاثنية في وسط كوت ديفوار حيث يتم إعطاء الأطفال حقنة شرجية منذ الولادة وبشكل مستمر وذلك لاعتقاد الكبار أن سبب

ذلك تنظيف وغسل الطفل من الداخل(١).

بالإضافة إلى اعتقادهم بالنسبة للتؤم ، فهم ينظرون للتوأم نظرة تفاؤل واستحسان ، فهو مصدر رزق بالنسبة لأى عائلة ترزق بتوأم لأنهم يستخدمون كوسيلة لاستعطاف الآخرين ، فهم مصدر رزق وجلب العطايا من الآخرين وتصل بهم استخدام التوأم للإيجار لبعض العائلات لجلب الرزق لهم بالإضافة إلى اعتقادهم بأن التوأم يحمل عقرباً ، لايستطيع أحد من الكبار أن يؤذي أيا من التوأم ، وإذا حدث ذلك وتسبب أحد بضرب التوأم أو أى منهم فإن الطفل ينظر إلى من تسبب له بالأذى ويقول له سوف أرسل لك عقرب أى أن هذا الشخص سيلدغه عقرب في يوم من الأيام وفي أي مكان كان لأنة آذى التوأم لايستطيع أحد الاقتراب من التوأم إلا لإرضائهم وهذا بخلاف بعض القبائل الإفريقية ومعتقداتهم عن التوائم مثلما يحدث في قبائل الدنكا من عمل طقوس معينة لقبول التوأم وقبائل أخرى تلجأ لقتل أحد التوأمين ليعيش الآخر.

كما أن السلوك العام وعمليات التطور والنمو لدى الأطفال في جميع أنحاء العالم لا ينظر إليها بنفس الشكل ولا التعامل معها بنفس الدرجة ولكنها أمور تعتمد على نظام معين من المعتقدات في المجتمع وبالتالي على ثقافة ذلك المجتمع . وينظر إلى الطفل الذي يقوم بتحريك يديه بشكل اهتزازي عندما يتم لمس وجهه من جانب أحد الكبار من جانب الأم البمبارية أنه دلالة القوة والصحة الجيدة للطفل ، أما بالنسبة للأم الأمريكية مثلا فإنها تنظر إليه على أنه يشير إلى وجود بعض الخلل في التوافق الحركي للطفل(٢).

إن المعتقدات الدينية وكذلك أثر البيئة الاجتماعية الخاصة بتنشئة الطفل ، لا ينفصلان عن بعضهما البعض فهي متصلة معا وتتفاعل مع بعضها البعض في تربية الأطفال وهي ما يطلق عليها التربية غير المباشرة أو التنشئة الاجتماعية غير المباشرة أو غير الرسمية أو غير المنظمة وسوف نتكلم عنها بالتفصيل في المباحث القادمة .

---

(1)Eccd Ibid

(2)Judith Timy an (1988) A report prepeared de Beligional Unicff work shopi toward a strategy for Enhaning early childhood development in West Africa P.P. 1 – 25

أما التربية الرسمية المنظمة والتنشئة الاجتماعية المنظمة وهي التعليم والهيئات والمنظمات الرسمية التي يلتحق بها الطفل في مرحلة عمرية محددة لكي يتلقى تعليما منظما ، وهي تتمثل في الكتاب والمدارس بأنواعها وأيضا في المباحث التالية وسوف نتكلم عنها بالتفصيل .

ثالثا : مؤسسات التنشئة الاجتماعية عند البامبارا :

وتنقسم إلى قسمين :

- المؤسسات غير الرسمية.
- المؤسسات الرسمية .
- المؤسسات غير الرسمية / التعليم غير الرسمي / غير المباشر / غير النظامي

المؤسسات غير الرسمية للتنشئة الاجتماعية :

أولا : الأسرة

وهي أولى مؤسسات التنشئة الاجتماعية غير المباشرة ، أن المجتمعات البدائية البسيطة تعطي أهمية كبرى للعلاقات القرابية التي تتبعها الأسرة ، وللأسرة تعريفات كثيرة ومن أوضح التعريفات لها تعريف ميردوك حيث عرفها بقوله : « أن الأسرة هي جماعة اجتماعية تتميز بمكان إقامة مشترك وتعاون اقتصادي ووظيفة تكاثرية ، ويوجد بين اثنين من أعضائها على الأقل علاقة جنسية يعترف بها المجتمع وتتكون الأسرة على الأقل من ذكر بالغ وأنثى بالغة وطفل سواء كان من نسلها أو عن طريق النسب»[1] .

لما قام ميردوك بمقارنة الأسرة في ٢٥٠ مجتمع إنساني لاحظ وجود ثلاثة أشكال رئيسية للأسرة الإنسانية، أهم تلك الأشكال هي : الأسرة النووية والأسرة الممتدة والأسرة الممتدة ذات السكن مع والدة الزوجة وتأخذ قبائل البمبارا شكل الأسرة الممتدة .

١ - الأسرة النووية Naclear Family : باعتبارها النواة أو الخلية الأولي للمجتمع

(1) Mur Dock ، j (1949) Social organization،New york . p 1

الإنساني وأحيانا تسمي الأسرة الزواجية والبعض الآخر يسميها الأسرة الصغيرة وهي تتكون من زوج واحد وزوجه واحده وأطفالهما .

٢- **الشكل الثاني هو الأسرة الممتدة** : وهي أسرة مركبة وهي تتكون من عائلتين صغيرتين أحدهما امتداد للأخرى ويما أن مجتمعا البمبارا من الأسر الممتدة

نوضح بعض خصائص الأسرة الممتدة extendnd family وهي :

(أ) تتكون الأسرة الممتدة من عائلتين زواجيتين أو مركبتين أو أكثر ويشترط توافر رابطة القرابة الدموية الأولية بين أعضاء تلك الأسرة ويعيش امتداد الأسرة الممتدة في وحدة سطحية واحدة ويسود بينهم التعاون الاقتصادي ومن صورها أب وزوجته وأبنائه الذكور وعائلتهم وبناتهم وقد تكبر الأسرة الممتدة ويصبح عدد أفرادها كبيرا قد يصل من ٥٠ إلى ١٠٠ عضو[١]

(ب) تمتاز الأسرة الممتدة أنها تجمع في نطاقها عدد أكبر من الأجيال وقد تستمر في الوجود إلى مالا نهاية وتستمر الأسرة الممتدة في الوجود علي أساس أن الآباء يعيشون مع أطفالهم الذين يكبرون ويتزوجون وهي الشكل الأسري الوحيد الذي يتمتع بصفة الاستمرار في التواجد شأنه في ذلك شأن الجماعات القرابية وصفة الاستمرار هذه مشروطة باستمرار التناسل وضرورة السكن في وحدة سكنية مشتركة .

(جـ) تلعب قاعدة السكن التي تحدد المكان الذي يعيش فيه الشاب مع عروسه بعد الزواج دور كبير في بناء وتركيب الأسرة الممتدة . فنجد الأسرة ذات السكن مع والد الزوج Patrilocal extended family وهي مجتمع الأسر التي يكونها أبناء الأب تشمل الأب وزوجته وأبنائه وعائلاتهم وأحفاده وعائلاتهم أي عندما يتزوج أحد أبناء تلك الأسرة عليه أن يحضر زوجته ويعيش مع أسرة والده[٢] .

١) الشكل الثالث يسمي الأسرة الممتدة ذات السكن مع والدة الزوجة Matrilocal extended family وتتكون الأسرة من الزوجة وبناتها المتزوجات مع

(١)فاروق العادلي ،ص ١٢٧ مرجع سابق

(٢)المرجع السابق ص ١٤٢

عائلتهم وحفيداتها وعائلاتهن وكذلك أبنائها وبناتها غير المتزوجات .

الأسرة عند البمبارا : (صورة ٢٣ ، ٢٤) :

هي أسر ممتدة ويتراوح سن الزواج في الفتيات في القرى من ١٣-١٤ سنة ، أما الفتيان ١٨ سنه . ويشيدون بالترابط الاجتماعي الأسري . أن عميد الأسرة أي الأكبر سنا يهتم بالأبناء والأحفاد في منزل واحد ، ومن الممكن أن يصل عدد أفراد الأسرة الواحدة في منزل واحد إلى خمسين فردا ، فالأبناء يتزوجون ويمكثون في نفس منزل الأسرة كما أن الرجل يمتلك الزوجة (المرأة) والأبناء والإناث ، فهم من ممتلكات الرجل وقد ذكرنا أن هذا المجتمع لديه تعدد الزوجات ، قبل الإسلام كان من غير عدد ، أما بعد دخولهم الإسلام أصبح محدد شرعا بأربع زوجات ولكن نظرا لضيق الحالة الاقتصادية يكتفون باثنتين حسب الحالة المادية للزوج وهى التي تحدد عدد الزوجات .

بالإضافة إلى تعدد الزوجات تبعاً للعادات والتقاليد فأن عدم إنجاب الذكور هذا يؤدي بالزوج إلى الزواج مرة أخرى لإنجاب الذكور أو عدم الإنجاب أساساً ، ومن أسباب ذلك أيضا امتناع الزوجة عن مباشرة زوجها بداية من الشهر السادس للحمل إلى فطام الصغير، وسن الفطام عندهم ثلاث سنوات أي أن الزوجة تمتنع أكثر من ثلاث سنوات عن زوجها اعتقادا منهم أن الاتصال الزوجي بينهم أثناء إرضاع الصغير يؤدي إلى أمراض تصيب الصغير نتيجة إرضاعه بلبن الأم في هذه الأثناء

الأسرة هي الأساس في هذا المجتمع وكما يوجد تقسيم العمل من الناحية الاقتصادية يوجد أيضا تقسيم العمل من ناحية تربية الأطفال . فنجد أن من بداية الحمل إلى سن الفطام وهو سن ثلاث سنوات من اختصاص الأم ويظل الطفل ملتصق بأمه من الميلاد حتى سن ثلاث سنوات وهي تهتم به وترعاه وترضعه وتباشر عملها في المنزل بالزراعة ومساعدة الزوج وطفلها معلق على ظهرها كما أوضحنا في الصورة السابقة وهذه الطريقة في حمل الطفل توفر له الرعاية من المخاطر وتوفر له الراحة النفسية حيث إنه ملتصق بأمه طول الوقت كما أنها تستطيع أن ترضعه في أي وقت يشاء ، فرضاعة الطفل ليس لها وقت محدد وإنما يرضع كما يشاء وفي أي وقت ، إذن للأب ليس له أي دور مع الصغير في الرعاية أو تحمل أي مسئولية من الأب تجاه الصغير. في هذه

المرحلة يتعلم الطفل الجلوس والزحف (الحبو) والمشي والكلام وهذا من اختصاص الأم . ثم تنتقل الرعاية للطفل من ثلاث سنوات إلى ست سنوات إلى الأخوات الكبيرات يقوموا بتعليم الطفل بعض المهارات وتعليمه اللغة والأغاني والرقص ويتم هذا من خلال التفاعل مع الأكبر سنا ، الأخوات والأخوة الأكبر سنا يقومون برعاية الصغار وتقويمهم وتعليمهم بعض المهارات كما ذكرنا .

من ست إلى ثمان سنوات يبدأ تدخل الأب ، حيث يذهب الأولاد مع الأب إلى الحقل لتعلم الزراعة ، فهم يقومون برعي بعض الماشية والأغنام ، تحت إشراف الشباب ، وبعد ذلك يتعلم الطفل بعض مهارات الزراعة البسيطة إلى أن يكتمل سنه عشر سنوات نجده يزرع بمفرده ويعتمد عليه في ذلك ، أما البنات فتمكث في المنزل للمساعدة في الأعمال المنزلية ورعاية الطفل الأصغر .

نظراً لأهمية الزواج وتكوين أسرة نقف قليلاً عند الزواج عند البمبارا مع التنويه أن الزواج هنا وطريقته وطقوسه وعاداته ليست خاصة بالبمبارا فقط وإنما هى خاصة بطريقة الزواج فى دولة مالى عاماً.

الزواج في مجتمع البامبارا :

يمثل الرجل الشريك الفعال والنشط من أجل تحقيق الهدف وهو الزواج من الفتاة ، فللرجل الدور الأول والأساسي ، أما الفتاة فلها الدور الثاني أو الثانوي ، ويرى المجتمع أن الزواج مطلب أساسي وضروري لجميع الكبار والبالغين ، وهذه الأهمية للزواج تنعكس على القيمة العليا من الإنجاب، بل أن السبب الرئيسي للزواج هو إنجاب الأطفال حيث يعدونها هبة من الله و مصدراً اقتصادياً ومكسباً مادياً .

ويتراوح عمر الزواج بالنسبة للفتاة ما بين سن ١٥ – ١٦ سنة والمفروض أنه بحلول سن العشرين لأي فتاة أن تكون متزوجة ولديها أطفال ، أما سن الرجال فقد أصبح الآن سناً أكبر نظرا للحالة الاقتصادية فيتراوح سن الرجل في الزيجة الأولي ما بين ٢٨ إلى ٣٠ سنة . ويتدخل مستوى الأسرة اقتصاديا في سن الرجل للزواج ، وتشير الإحصائيات إلى أنه عندما يبلغ الرجل سن ٦٥ عاما نجد أن ٨٠٪ منهم قد تزوج مرتين أما السيدات في هذا العمر نجدهم تزوجوا مرة واحدة ، لأن المرأة التي يتوفى زوجها تصبح في حماية

الأخ الأكبر ، وهناك عدد لا بأس به من الأطفال للرجل الذي يتزوج أكثر من مرة فكلما زاد عدد الأطفال زاد دخل الأسرة لأن الأطفال مورد اقتصادي كبير للأسرة [1] .

تتولى أسرة الشاب عملية الزواج من بداية ترشيح المرأة اللازمة لهذا الزواج ثم القيام بكل مصاريف واحتياجات هذا الزواج ، وتتكاتف الأسرة كلها لإتمام عملية الزواج، لان المرأة تحصل على الدعم والعون في أوقات الحاجة من والدها وأخوتها من قبيل الزواج أما بعد الزواج تنتقل المساعدة إلى أسرة الزوج ، وخاصة عند نقص الموارد الغذائية في المنزل فالزواج يعتبر رابطة بين أسرتين .

وتتحدد تكاليف الزواج قبل ميعاده بعدة سنوات تصل إلى عشر سنوات ، وتشمل تكلفه الزواج المهر والتعويض عن عمل الفتاة في منزلها وانتقالها إلى منزل أسرة الزوج وتشمل أيضا حفل الزواج، وتتحدد هذه التكاليف وفقاً لدرجة ثراء الزوج ومستوى الزوجة الاجتماعي والمادي وطبيعة الزواج والتي تختلف إذا كان الزواج للمرة الأولى أو الثانية .

وتحصل الزوجة على دفعات مالية من خلال الوسيط بين الأسرتين ، حيث تستمر أسرة الرجل في تقديم الهدايا والمال إلى أسرة الفتاة ، وتقوم الأسرتان ومعهما الوسيط بحصر قيمة الهدايا والمال الذي قدم إلى العروس ويذهب جزء من هذا المال إلى والد الفتاة الذي يبدأ في شراء الذهب ويجهز ابنته استعدادا للزواج ، ويذهب جزء آخر إلى كبير الأسرة من أجل شراء ملابس وأجهزة ، و يكون هذا في العام الذي يسبق الزواج [2] .

هذه التكلفة الكبيرة للزواج دفعت بعض العائلات إلى ما يسمى بالتبادل الزواجي حيث يتم تبادل بين فتاة من هذه الأسرة مقابل فتاة من أسرة العريس ، و يحدث ذلك في المجتمعات الفقيرة ماديا ، وهذا التبادل يتم في فترة زمنية قصيرة لا تتجاوز عامين أو ثلاثة ، ويتطلب ذلك أن تكون الفتاتان في نفس السن والمزايا وهذا التبادل يساعد على خفض تكاليف الزفاف والزواج .

(1)Toulmin ، Camilla، (1992) cattle ، women and wells : Manging house hold survival in the Oxford university ، New Your P. 236 – 237 .

(٢)ميداني.

وقد أدى ارتفاع تكاليف الزواج أيضا بالشباب إلى البحث عن الأرامل والمطلقات لتوفير تكاليف الزواج ذلك لأن الأرملة أو المطلقة ليس لها طلبات مثل الفتاة التي تتزوج أول مرة بالإضافة إلى النظر إلى ما لدى الأرملة أو المطلقة من ثروة من زواجها الأول .

يعد التوافق في المستوى الاجتماعي بين العائلات شرطاً أساسياً للزواج لعدة أسباب ، حيث أن الفتيات من العائلات الغنية تعمل أقل من الفتيات الفقيرات ، كما أن الأغنياء يقضون سنوات طويلة في الدراسة لذلك فإنهن لا يرغبن في العمل في الحقول ، أما إذا كانت عائلة الرجل أغنى من عائلة الفتاة فإن المجتمع ينظر إلى والد الفتاة بأنه قد باع أبنته ، وفي نفس الوقت فأن الأب يرفض زواج ابنته من رجل فقير ، لذلك تفضل العائلات الزواج المتماثل ، أما عن عمل الزوجة في مجتمع البمبارا فإن المرأة تتفرع في المجتمع من أجل الشئون المنزلية ويستغرق ذلك الوقت والطاقة ، حيث أن النساء يقضين ثلاثة أو أربعة ساعات من أجل البحث عن الماء لزراعة الحبوب والطهي ومراعاة الصغير.

ونظراً لأن البمبارا يفضلون الزواج بأكثر من زوجة لذا فإن الزواج بأكثر من امرأة يعمل علي تخفيض العبء عن الزوجة الأولى ، فكلما زاد عدد النساء العاملات في الأسرة خفف ذلك من الأعباء المنزلية ويحدد سن المرأة قيمة إنتاجها وكذلك الحمل يتوقف عليه هذا الإنتاج ، فالنساء تتحمل الأعمال الثقيلة وتربية الأطفال وكما يشعرن بالفخر بالاستمرار في العمل الزراعي حتى بعد الولادة ويسعى كل من الزوجين إلى إنجاب الأطفال ، وتتنافس زوجات الرجل الواحد في عدد الأطفال التي تنجبها، ويعتمد الآباء على الأبناء في المساعدة في الزراعة ورعي الأغنام ، ذلك لأن الرجل والمرأة بدون الأبناء لا يتمكنون من إشباع الاحتياجات الضرورية .

أما في حالة مرض الزوجة فإن هذا يخفض من قيمتها في نظر الزوج وأسرته ، ونظرا لغياب الرعاية الطبية والغذاء الصحيح فإن المرض يؤدي إلى نتيجتين إما شفاء المرأة أو وفاتها وفي بعض حالات الأمراض المزمنة التي تتطلب العلاج والمتابعة في مستشفى سيجو أو المستشفى الإسلامي، وفي منطقة كالا تشهد ارتفاع عدد حالات مرض النساء،

مما يمنعهم من العمل لعدة أيام ، وهذا يؤدي إلى نوع من العجز الجزئي للأسرة ويؤثر تأثيرا شديدا في دخلها[1] .

وتحاول أسرة الرجل أن تتدارك مرض الزوجة من بداية اختيار زوجة الابن أي من بداية الزواج ، فتختار الفتاة من أسرة فاضلة من أجل ضمان صحتها ، لتؤدي الواجبات المطلوبة منها وترعى الزوج والأسرة

وفي حالة عقم المرأة يلجأ البمبارا إلى العلاج التقليدي بالأعشاب والعلاج بالسحر ، وبعض العائلات تتابع العلاج في مستشفيات المدينة مثل سيجو أو ترسل المرأة إلى باماكو لتلقي العلاج اللازم ، هذه عائلات نادرة ، كما يطلق على المرأة التي لا تنجب اسم سوباكا Subaka ومعناها في معتقداتهم « المرأة التي تأكل أولاد الناس في داخلها »[2] . ومن عاداتهم أنه مراعاةً للمرأة التي لاتنجب أن يؤخذ طفل من زوجات الرجل الأخريات ويعطى للزوجة التي لا تنجب وتتولى هي رعايته ويكبر الطفل معتقدا أنها أمة ويظل برعايتها إلى أن يتزوج .

ونلاحظ أن معدلات الطلاق منخفضة جدا والسبب الرئيسي فيها عدم الإنجاب أو المعاملة السيئة من الرجل للمرأة ، وخاصة في حالة عدم الإنجاب ذلك لأنها تحتل دوراً اجتماعياً مهمشاً وهذا يؤدي إلى استياء الرجل منها لعجزها عن الإنجاب ، ثم تعامل معاملة سيئة تؤدي إلى أن تهجر المنزل وتطلق بعدها أما الخلافات في حالة وجود أبناء فإن هجر الزوجة للمنزل يعبر عن إعلان المرأة لغضبها ورفضها واستيائها من الضرب أو الاعتداء عليها ، وفي أغلب الأحيان يتمكن الزوج من إصلاح الضرر وعودة الزوجة بوسائط عائلية .

وهناك حالة في قرية كالا يتحدثون عنها ، حيث أن الزوجين أنجبا ثلاث فتيات إلا أن فقر هذا الرجل منعه من الزواج مرة أخرى لإنجاب الذكور الذين يشاركون في الفلاحة ، واستمر هذا الوضع حتى وفاة الزوجة وبعد وفاتها لم يستطع الزواج بأخرى أيضا لفقره ، واستمر هذا الوضع إلى أن توفي الزوج أيضا ولكن حدث أن ذرية هذا الزوج أيضا

(١)ميداني.

(٢)ميداني ٥/ ٢/ ٢٠٠٩ .

انتهت بوفاة البنات لصغر سنهم ، فأهل القرية يعتقدون أن هذا المنزل كان قادراً على الاستمرار في حالة إذا تزوج الزوج بأخرى وأنجب الذكور . ومثل هذه الحالات توضح أهمية الإنجاب وأهمية إنجاب الذكور خاصا .

تبين لنا مما سبق أهمية الزواج والأسرة والمرأة في مجتمع البمبارا ، فالمرأة ليست نصف المجتمع هنا ولكنها كل المجتمع ، وعلى الرغم من ذلك ينظر إليها الرجل والمجتمع نظرة متدنية ، وبالرغم من التكلفة المادية العالية للزواج إلا أنه مهم جدا ومن الأولويات ، وصلت أهميته إلى أن كبير الأسرة قد يؤجل حفر بئر والحفاظ على المواشي في سبيل تغطية مصاريف الزواج ، كما أن هناك منازل باعت المواشي في سبيل تغطية مصاريف الزواج ، وأخرى استنفذ كبير الأسرة كل الموارد المتاحة من أجل زفاف الأخ الأصغر ، وأسرة أخرى اعتمدت على بيع الفائض من الحبوب من أجل تغطية زواج الابن بدلا من شراء المواشي .

فالزواج له الأولوية الأولى ، لأن العائلات تسعى إلى أداء الواجبات المنزلية والعمل في الحقل من أجل ضمان دخل الأسرة وضمان الاستمرار في الإنتاج من أعمال الزراعة ، ويتحقق ذلك بالزوجة كما سبق لذا فإن كبير الأسرة يعمل من البداية على مراقبة الذكور الصغار ويعمل على زواجهم لضمان الذرية في المستقبل والحصول على المرأة العاملة[1] التي تساعد الزوج .

ما زال الحديث عن الأسرة ودورها في تربية الأطفال ، وبما أن مجتمع الدراسة ذو أسر ممتدة فإننا لابد أن نتكلم عن دور الجدات وكبار السن في رعاية الأطفال .

دور كبار السن في رعاية الأطفال

ويلعب كبار السن لاسيما الجدة دوراً مهماً في تربية الطفل عند البمبارا حيث يعد كل من الجد والجدة حافظين التراث والقيم والعادات والتقاليد ويعملون على توارثها للأجيال من خلال تربية الأطفال .تتولى الجدة رعاية الصغار مع الأم بمجرد أن يكتمل الطفل عامه الأول . تقوم الجدة برعايته بالتناوب مع الأم وخاصة في حالة تواجد الأم

(١) المقصود بالمرأة العاملة التي تعمل في المنزل والحقل وتربية الأولاد .

والطفل في المنزل تتولى الجدة رعايته أثناء انشغال الأم بالعمل في المنزل . أما قبل العام فإن الطفل لا يفارق أمه سواء في المنزل أو الحقل . فهو في الحمالة على ظهرها .

وتتولى الجدة أيضا استحمام الطفل يوميا وتعمل له تمرينات شد لجسده أثناء الاستحمام لتساعده على النمو الحركي وعلى شد عضلات جسده ومساعدته على المشي ، أما عندما يتعلم الطفل المشي داخل المنزل يتولي الإخوة الأكبر سناً رعايته. يتم هذا تحت إشراف الكبار وفي الغالب تكون الجدة أو ما ينوب عنها . تتولي الجدة أيضا حكاية القصص للأطفال من سن ٣ – ٦ سنوات ويطلق على القصة أو حكاية القصة Zirin تقوم بهذه الحكاية الجدة أو ما ينوب عنها أي أكبر سيده في المنزل تجلس على الأرض ويلتف الأطفال حولها وتبدأ بقول Zirin (زيرين) ويرد عليها الأطفال (بنعم) وتبدأ في حكاية القصة . صور رقم (٢٥،٢٦).

يعتبر سرد القصة للأطفال من أمتع الأوقات التي يقضيها الأطفال مع الجدة وتستمر الجدة في هذه الحكايات إلى أن يحفظها الأطفال عن ظهر قلب . وعندما يخرجون خارج المنزل للعب مع أقرانهم في مرحلة عمريه متقدمة في سن ٦ سنوات نجدهم يبدأون في تقليد الجدة بما حفظوه عنها من قصص ويأخذونها لعبه ترفيهية يجلسون في حلقات مع أصدقائهم والذي لديه القدرة على إلقاء قصة حفظها يبدأ بقول zirin بالبامبارا بالبويجلس الكل بانتباه ويردوا عليه : (نعم) .

إن أغلب القصص التي تحكى من الأساطير وخيالية ولكنها في النهاية تعليمية ، وأغلبها يدور حول الذئب والأرنب ، والأرنب في عرفهم رمز الذكاء والمهارة أما الذئب يمثل الغباء وفي النهاية لابد للأرنب أن يفوز أو تدور القصة حول الكلب ووفائه الذي يرقى إلى حماية صديقه وتنبيهه إلى الخطر ودور الكلب في حماية الخراف أثناء رعي الأطفال لها وتواجدها دائما مع الأطفال ومساعدة الكلب أيضا للصياد أثناء عمله في الغابة ، ذلك لأن الكلب له مكانه كحيوان هام وأساس في حياة هؤلاء البمبارا ، فهو لا يقوم بحماية قطيع الأغنام فقط وإنما أيضا بالحفاظ على حياة صاحبه وحمايته من الأخطار . والقراءات الأنثروبولوجيه تقول : أن أول حيوان تم استئناسه هو الكلب في العصور القديمة .

دور جماعة الأصدقاء واللعب وأهميته في التربية :-

يعتبر اللعب جزءا مهماً في نمو الطفل سواء كان المجتمع تقليدياً أو غير تقليدي . وكل ثقافة توفر لأطفالها اللعب المناسب والمتبع حسب ثقافتها . وفي أغلب الأحيان في مثل هذا المجتمع يكون اللعب من الأشياء الموجودة في البيئة ، فمثلا طفل البمبارا يلعب مع أصدقائه أثناء رعي الأغنام فهو يخرج للعمل مع والده في الزراعة من سن ٥ سنوات ، وأول عمل يقوم به هو رعي الأغنام تحت إشراف أحد الشباب . يجتمع الأطفال أثناء الرعي ويقسمون أنفسهم : طفل يرعي الأغنام والباقون ، يلعبون وهذا بالتناوب جزء يراقب الأغنام ويجمعها وجزء يلعب ، ثم يتبادلون الأدوار .

أما بعد انتهاء العمل فإن الأطفال تجتمع في الساحة ، وهي ساحة مخصصة للمجتمعات جزء منها للرجال وجزء للأطفال وجزء للشباب ، غالبا الأطفال يلعبون بعيدا عن مجالس الرجال ، ولا يتدخل الآباء ولا الرجال فيما يفعله الأطفال ولا يتدخل الأطفال أيضا ، ولا يوجد حديث أو لعب بين الرجال والأطفال أو بين الآباء والأطفال إلا إلقاء الأوامر والتوجيهات ويتدخل الشباب في وقت اللزوم إذا احتاج الأطفال إلى أي توجيهات أثناء اللعب وبعد العمل يقسم الأطفال أنفسهم في الساحة مجموعات ، وهذه المجموعات الإناث لوحدها والذكور لوحدها من سن خمس إلى ست سنوات ، وتختلف لعب البنات عن لعب الأولاد فأغلب لعب البنات بالغناء والرقص ويلعب الأولاد ألعاب الجري والكورة ، وكثير من الأمهات يشجعن أطفالهن على الاختلاط بالأكبر منهم سنا واللعب معهم . حيث نجد أن الأطفال الأكبر سنا يتضمن لعبهم تقليد الكبار في مختلف سلوكيات الحياة كالزواج والطهي والزراعة ووسائل الترفيه المختلطة ويوجد لعبة يلعبها النوعين معا من الذكور والإناث وهي لعبة جيرتاريدا geretarida.

والإناث هم أول ما يدركن الاختلاف بينهن وبين الذكور في طبيعة اللعبة وطبيعة قوتهم الجسدية . من بداية اللعب مع بعضهم البعض يبدؤون معرفة كل نوع على حدة وقدرته الجسدية وأيضا من بداية خروجهم للعمل يبدؤون في إدراك أن الذكور لها أدوار والإناث لها أدوار . ولكن الفصل بين الجنسين أثناء النوم يفصل بينهم من سن سبع إلى تسع سنوات ولكن في طبيعة العمل وطبيعة اللعب قد تم الفصل بينهم من سن خمس

سنوات[1] .

دور الإخوة والأخوات الكبار في رعاية الأطفال :-

يقوم الإخوة والأخوات الأكبر سنا في المنزل برعاية من هم أصغر منهم سنا وخاصة البنات ، فعند خروج الأطفال للعمل مع أبيهم تعمل البنات على رعاية من هو أصغر منها ، وهذه الرعاية تشمل المحافظة على الصغير من الأخطار وتعويده المشي و مساعدته علي الكلام ومساعدة والدتها في استحمامة ونظافته اليومية وإطعامه بعد الفطام.

وعندما يخرج الأولاد إلى العمل مع أبيهم يتولى رعايتهم من هم أكبر منهم سنا ، حيث يقومون بتعليمهم الرعي أولا وجلب الماء وتدريبهم علي أعمال الزراعة البسيطة إلى أن يتم عشر سنوات نجد أن الطفل عندها يقوم بحمل الفأس والزراعة مثل أبية ومن ذلك الوقت يقوم بالاعتماد عليه ويحمله مسؤولية الزراعة كاملة . كما يقوم أيضا الكبار سواء كانوا من الأسرة أو خارجها بتعليم الطفل الأخلاق فكل فرد في هذه المجتمعات معروف من الجميع ، وتربية الطفل أخلاقيا مسئولية جميع أفراد المجتمع ، ذلك لأنه مجرد أن يبدأ الطفل الخروج من المنزل فهو مراقب من جميع أفراد المجتمع ، وإذا شاهده أي شخص من أبناء الأسرة أو القرية يقوم بأي عمل خارج حدود الأخلاق والأدب قام بردعه وعقابه من غير الرجوع إلى أهله . والعقاب في جميع الأحوال جسديا باستمرار رد فعل الخطأ من الكبير للصغير مباشرة هو الضرب قبل التفاهم . يضرب الطفل أولا ثم يتم نصحه والكلام معه علي الصواب والخطأ ثم يوضح له أن ما فعله كان خطأ حتى إنه عند إبلاغ الأب بما فعلة ابنة يكون رد الأب للذي أبلغة : لم لم تضربه على هذا الفعل ؟

* بعض الأنشطة التي يقوم بها الأطفال : -

من خلال بعض المناقشات تم رصد بعض الأعمال التي يقوم بها الأطفال ومنها .

- أعمال اجتماعية يومية :-

ومن خلال الأعمال الاجتماعية التي يقوم بها الأطفال لا يتم تحديد نوع الطفل الذي يقوم بالعمل ذكر أو أنثى. هذا يدعم ويقوي الإحساس بالتكامل ويحثهم على

---

(١)ميداني.

التعاون والإحساس بالمسئولية والثقة بالنفس.

تعمل الأطفال من سن ثلاث إلى ست سنوات في مختلف المجالات مثل الأطفال الأصغر منهم سنا ، حيث يقوم الأطفال الذكور والإناث برعاية ببعض الأطفال الصغيرة جدا حيث يتعايشون معهم دون تدخل الكبار ، ولكن أن حدث ما هو خارج نطاق سيطرتهم فعلى أحد البالغين أن يتدخل[1].

- **بعض المهام التي تتم بالجري :**

تتم بعض الاختبارات وإلقاء الأوامر التي يقصد فيها اختبار مدى الطاعة في هذه المرحلة المبكرة من العمر ، ومنها سؤال الطفل أن يحضر بعض مياه الشرب للأطفال الأكبر سنا ولذويهم ، فنجد منهم من يطيع بلا سؤال ومنهم من يماطل في ذلك ومنهم من يهرب من المكان رافضا الاستجابة ، وهنا نجد أن جميع أفراد المجتمع يعملون على تقويم الرافض ومكافأة المستجيب ، ويتكرر الطلب ذاته وتتنوع الطلبات إلى أن نجد أنهم جميعا يطيعون وينفذون بلا سؤال .

- **أعمال المنزل اليومية :**

يؤكد جميع مجموعات القرية والبلدة وحتى المتعلمون الذين قابلتهم في القاهرة انحصار الأعمال المنزلية علي الإناث فقط حتى وهم في عمر صغير ، كما تمنع الآباء الأطفال الذكور إذا ما أراد أي طفل عمل أي شئ يرون أنه من عمل الإناث أو من عمل المرأة فيما بعد ، فإنهم يرون أنه من غير الطبيعي أن يقوم الذكر بأي عمل من تلك الأعمال ، كما نجد أن الأمهات ينفرن من تدخل أزواجهن حيث يقمن بنهر أطفالهم الذكور ومنعهم من المشاركة في بعض الأعمال المنزلية البسيطة وينظر إلى الأعمال المنزلية أنها خاصة بالسيدات والإناث وهي مرفوضة وتصل إلى درجة التحريم على الرجال والذكور .

وتقول إحدى السيدات « لا يجرؤ أحد في منزلنا علي إسناد أي من الأعمال

(١)ميداني

المحرمة[1] إلى الأولاد » .

ولكن ... إذا لم يكن هناك إناث في المنزل من يقوم بتلك الأعمال في مساعدة الأم ؟

في حالة إذا كانت إنجاب الأم كل أولادها ذكوراً تعمل النساء من نفس العائلة على مساعدة تلك السيدة التي ليس لديها إناث أو تقوم إحداهن بإرسال ابنتها للمساعدة وعلى هذا تعامل تلك البنت على أنها ابنة صاحبة البيت . وإن تعذر الحصول على أي مساعدة فإنه قليلا ما يساعد الأولاد الأم في بعض الشئون الصغيرة مما يعرض الأم لبعض الأسئلة والملاحظات السخيفة والتأنيب على إشراك الأولاد في بعض أعمال الأم مهما كانت بسيطة ، ويرى زعماء القرى وكبار العائلات أنه « يجب أن توزع الأعمال طبقا للنوع » حيث إنه لابد من ترك الأعمال كما هي فلا يؤنث عمل ذكري من أجل أنثى ، أي لا تقوم الأنثى بعمل المفروض أن يقوم به الذكر وفي نفس الوقت يرى معظم الرجال أن أي عمل إذا لم تقم به الأنثى أو الفتاة قامت به الأم وليس أي رجل أو طفل أو شاب ، فهذا من المحرمات[2] .

وتوجد أيضا منظمة وتجمعات للأطفال مثل منظمة (تون) للأطفال ويلتحق بها الطفل في سن سبع سنوات ويرأسها طفل كبير نسبيا ، يتعاونون ويدعم بعضهم بعضا وينظمون بعض الاحتفالات ، ويوجد بينهم منافسة فردية ، وتعمل هذه الجمعية على التقارب بين الأسرة من خلال تقارب الأطفال بين بعضهم ، بالإضافة للاحتفالات التي ينظموها ينظمونها أمسيات لسرد الحكايات والقصص والأساطير التي تحكي عن ماضيهم خاصة أن البامبارا يؤمنون بالأساطير والقصص وهم حريصون علي نقلها للأجيال جيلاً بعد آخر[3].

وسائل الإعلام :

توجد وسائل الإعلام في المدن فقط ، ففي العاصمة يوجد مبني للتليفزيون به قناتان

(١)المقصود بالأعمال المحرمة هي الأعمال المنزلية أو الأعمال التي تقوم بها الإناث

(٢)ميداني ١٢/ ١٢/ ٢٠٠٨

(3)Leoplod Rosenmary more than Wisdom(1988) » Africa study of the old in an African village» journal of cross cultural Gerontology pp 21 – 40

واحدة باللغة الفرنسية وأخرى باللغة البمبارية ، هذه المحطات في باماكو ولا تصل إلى القرى ، أما الإذاعة توجد محطة للإذاعة ، وبها محطات خاصة أكثر من ثلاثين محطة أغلبها بلغة البمبارا ، وهذه المحطات تصل إلى القرى أما الحكومة فلها محطتان فقط الأولى والثانية .

الحضانة :

الحضانة من وسائل التربية غير المباشرة ، وهي وسيلة مهمة جدا في تربية الأطفال وإعدادهم لدخول المدرسة ولكنها لا توجد إلا في باماكو العاصمة ومنها حضانات باللغة الفرنسية وأخرى باللغة العربية ، ويتم الالتحاق بها من سن ثلاث سنوات إلى سن الالتحاق بالمدرسة ، هذه الحضانات في باماكو تخدم فئة محدودة جدا ، لأنها حضانات بمصروفات بالإضافة إلى أنها تخدم الأسر التي تعمل بها الزوجة في المصالح الحكومية وهذه نسبة ضئيلة جداً ، وتخدم أيضا الجاليات الأخرى التي تقيم في مالي من أسر موظفى السفارات والأشغال الحكومية .

أما عن بمبارا فإن هذه المؤسسات لا توجد في القرى أو في بمبارا ، فالأطفال في هذه السن دائما يلعبون خارج المنازل في حرية تامة وفي سن ست سنوات يلتحق مع والده في الحقل والعمل للزراعة أو الصيد أو أي عمل يعمل به الأب إلى أن يرغب الأب ويكون لديه استعداد مالي لتعليم ابنه وإلحاقه بالمدرسة ، ومن الممكن أن يصل إلى سن ١٠ عشر سنوات ولم يلتحق بالمدرسة .

الكُتّاب : صورة رقم (٢٧، ٢٨)

هو مؤسسة لتحفيظ القرآن والتعاليم الإسلامية ، هذه المؤسسة توجد في البلدان الإسلامية ووجدت بعد ظهور الإسلام ، وهي مؤسسات خاصة يمتلكها أفراد يجعل البعض لها مصروفات ولكنها رمزية أو مصروفات عينية كما في القرى والأرياف ، وتوجد مثلها في مصر والمغرب وتونس وكثير من البلدان الإسلامية ، وهي منتشرة أكثر في القرى والأرياف وفي المدن توجد هذه المؤسسات إما ملتحقة بالمساجد أو خارج المسجد وأغلب هذه المؤسسات تكون مجانية وتعتبر هبة أو صدقة لأهالي الأطفال

المنتفعين بها[1] .

وعمل هذه المؤسسات الأساسي هو تحفيظ القرآن خاصة للأطفال وفي البمبارا تبدأ من سن خمس سنوات وعلى الأب مسئولية التحاق ابنه بالكتاب ومباشرة تعاليم الإسلام وحفظ القرآن ، ويستمر الطفل في حفظ القرآن إلى أن يبلغ عشر سنوات ، وقلنا أن سن الالتحاق بالكتاب المفروض خمس سنوات ، ولكن للأب الحرية في أي سن يدخل ابنه الكتاب فيها ، فلا يوجد إجبار في تحديد السن فهي ترجع إلى استعداد الأب ومتي تعلم الأب نفسه القرآن والتعاليم الدينية ، أي إذا كان الأب تلقى حفظ القرآن في سن مبكرة فيتبع نفس الطريقة مع ابنه ، أما إذا تلقي التعاليم الدينية فى سن متأخرة فإنه يتبع مع ابنه الأسلوب نفسه في نفس السن.

يوجد نظامان للكتاب : نظام خاص بالمدن ونظام خاص بالقرى :

* **النظام الخاص بالمدن** : الكتاب كما قلنا ملكية خاصة ومصروفات تدفع شهرياً يذهب إليها الأطفال لحفظ القرآن الكريم وتعاليم الدين الإسلامية ويبدأ هنا من سن خمس سنوات أي قبل دخول المدرسة ، وهنا حرية أيضا يلتحق الطفل أم لا حسب رغبة ولي الأمر (الأب) لكن الأغلبية العظمى ترسل أبنائها إلى الكتاب في هذه السن .

وتوجد مرحلة أخرى للأطفال الملتحقين بالكتاب وهم أطفال المدارس في المراحل المختلفة ، وهم يلتحقون به في الإجازة الصيفية ، وهؤلاء هم طلبة المدارس الحكومية الذين يتلقون دراستهم باللغة الفرنسية ولا يوجد بها دراسات دينية ، والأهالي ترغب في تعليم أطفالها اللغة العربية والدين وحفظ القرآن فتلجأ إلى إدخال أطفالها في إجازات المدارس لتحصيل وحفظ القرآن ، في هذه الحالة لا يوجد سن محدد ، فالأعمار هنا متفاوتة سبع سنوات مع عشر سنوات مع اثنتي عشرة سنة والهدف واحد هو حفظ القرآن .

* **أما النظام في القرى** : وخاصة قبائل البمبارا في مدينة سيجو فلا يوجد اعتراف بالتعليم النظامي ، وإن وجد فهو محدود للغاية ، والاعتماد الكلي للتعليم هنا على

(١)ميدانى

الكتاب ونظامه مختلف عن نظام المدن .

ومن ناحية الملكية هو أيضا ملكية خاصة مثل المدن ، ولكن المساحة هنا مختلفة فلابد أن تكون مساحة الكتاب كبيرة ، ذلك لأن الذين يلتحقون بالكتاب تكون إقامتهم كاملة بالمكان ، لأن الأهالي يرسلون أولادهم إلى الكتاب من المدن والقرى المجاورة ، ويأخذهم الشيخ ويتولى تعليمهم وإقامتهم معه إقامة كاملة، ولا يأخذ الشيخ منهم مقابلاً نقدياً وإنما مقابل تعليمهم وإقامتهم عنده المقابل هو عمل هؤلاء الأولاد عند الشيخ إما في الحقل للزراعة أو الرعي أو الحدادة أو أي عمل يريده الشيخ من الأولاد ، السن هنا بالطبع سن الأطفال الذين يقدرون علي هذه الأعمال ويتحملون البعد عن الأهل ، وتبدأ تقريبا من سن عشر سنوات .

ما الذي يدرسه هؤلاء الأطفال الملتحقون والمقيمون بالكتاب ؟

ينقسمون مجموعتين :

المجموعة الأولي : وهي جماعة حفظ القرآن يلتحق بها من يريد حفظ القرآن ، وهنا من الممكن أن يستمر خمس أو عشر سنوات في حفظ القرآن ، وبعدها له حرية الاختيار إما الاكتفاء بهذا ويخرج من الكتاب عائدا إلى أهله أو يكمل ويذهب إلى المجموعة الأخرى ، ومنهم أيضا من لا يرغب في حفظ القرآن وإنما يكتفي بالقراءة الصحيحة .

المجموعة الثانية : وهي دراسة الفقه الإسلامي وتتم دراسة الفقه الإسلامي من خلال دراسة خمس كتب كل كتاب يمثل مرحلة ولابد من أن يندرج فيها الطالب وهي على التوالي : الكتاب الأخضر ، الكتاب العشماوي ، المقدمة ، الثموداني ، هذه الكتب تمثل مراحل دراسة الفقه الإسلامي ولابد للدارس أن يبدأ بالكتاب الأخضر وينتهي بالثموداني ، ولا ينتقل من مرحلة إلا بعد أن يتم التي سبقتها ، أي لا يصل إلى الكتاب العشماوي إلا إذا أتم دراسة الكتاب الأخضر وهكذا .

إن الالتحاق بهذه المجموعة لا يشترط حفظ القرآن أولا ، بل يشترط القراءة الجيدة وتجويد القرآن وهذا بالتأكيد يتم في السنوات الأولى من تعليم الطفل أي من سن ست سنوات إلى عشر سنوات أو خمس عشرة سنة وهي تعليم اللغة العربية كالقراءة والكتابة ثم قراءة القرآن ثم يلتحق بهذه المجموعة بالشروط التي قلناها سابقا خاصة بصاحب

المكان (الكتاب) .

لابد لنا أن نشير هنا إلى أن الغرض من هذا النظام هو الدراسة من أجل الدراسة والمعرفة فقط ، فليس هناك شهادة حكومية تعترف بهذا النظام ، ولا اهتمام من جانب الدارسين أو الأهالي أو الحكومة للحصول على شهادة معترف بها بالرغم من ذلك فهناك إقبال شديد جدا من أهل القرى وتشجيع لأبنائها للالتحاق بهذا النظام من التعليم ويكتفون به ، فهو تعليم ديني صرف وهذا يدل على مدى شغف هؤلاء القوم بالمعرفة وخاصة بالدين ، وكما أن كلمة تعليم مرادفة للتعليم الديني سواء بشهادة أو غير شهادة[١]

المؤسسات الرسمية للتنشئة الاجتماعية (التعليم الرسمي والمباشر والنظامي)

المدرسة والمجتمع البدائي (البسيط) :

يري ستانلي دياموند Satnly Diamond أن المدرسة في المجتمعات التقليدية لا تعتبر أكثر من مظهر للتطفل الاستعماري colonia lintrusion ، فهي نظام غير تقليدي في مجتمع تقليدي ، وهذا يجعلها نظاما دخيلا على تلك المجتمعات وبهذا يقابلها البدائيون بحذر وتحفظ شديد ، ذلك لان المستعمرين سواء كانوا بريطانيين أو فرنسيين فرضوا لغة بلادهم الأساسية كلغة أولى للتعليم في تلك المدارس[٢] .

وهذا يتضح في مجتمع الدراسة ، فنجد أن مالي كانت مستعمرة فرنسيا وعندما حصلت على الاستقلال أصبح للتعليم نظامان (سوف نوضحه فيما بعد) المدارس الحكومية وهي بالمجان وباللغة الفرنسية ولا يدرس فيها اللغة العربية أو الدين على الرغم من أن ٩٠ ٪ من الشعب يدينون بالدين الإسلامي، وثانيا المدارس الأهلية وهي مدارس بمصروفات ، التعليم فيها إسلامي صرف وباللغة العربية ثم أن التعليم الجامعي لا يلتحق به إلا خريج المدارس الحكومية ، ومن الملاحظ أن هناك تناقضا صارخا بين مدارس الحكومة والمدارس الأهلية ، وأن الطلبة أنفسهم بالرغم من أنهم أبناء بلد

(١)ميداني

(٢)زكي محمد إسماعيل – الأنثروبولوجيا الاجتماعية والفكر الإسلامي – كلية التربية – جامعة الازهر – بدون تاريخ نشر صـ٣٠١ .

واحد ولغة واحدة وعادات وتقاليد واحدة إلا أن بينهم فروقا كثيرة وينظرون إلى بعضهم البعض على أن كلا منهم من مجتمع آخر.

إن العملية التربوية في هذه المجتمعات البسيطة عملية تنشئة بمعناها الواسع من حيث هي تدريب على المهارات والمواقف المتعددة في النظم المختلفة والتي تتكون منها شبكة العلاقات الشخصية ، فإنها بهذا المفهوم تصبح عملية استمرار للحياة نفسها ، أي لا يوجد انفصال ما بين التربية والحياة الاجتماعية في المجتمعات البسيطة .

في المجتمعات البسيطة تعد الأسرة في حالة غياب المدرسة هي الوسط الاجتماعي الوحيد للتربية إذ تقوم بتدريب الطفل على كيفية الحصول علي العيش ، وتظهر بوادر تقسيم العمل في هذه المجتمعات بين الرجل والمرأة ، حيث يختص الرجل بتعليم أولاده حرفة الصيد أو الزراعة والرعي ومهام الحروب والدفاع عن النفس والأسرة والقبيلة معا ، بينما تقوم المرأة بتعليم بناتها إعداد الطعام والبحث عن المأوي والغذاء ، معا وعملية التعليم هنا تعتمد أساسا على المحاكاة محاكاة الأطفال لآبائهم .

والتربية في هذه المجتمعات هي : عملية اندماج الفرد في الثقافة سواء في عموميتها أو خصوصيتها و تمثل العموميات في حماية الأسرة للصغار والمسنين وتقسيم العمل بين أفرادها مهما كانت ضآلة هذا التقسيم ، وفي عمل الأسرة معا كوحدة اقتصادية ، وظهور نظام الزواج كأساس للعلاقات الأسرية ، وإن اختلفت نظم ومقومات العلاقة الجنسية كأساس للزواج بين مجتمع وآخر ، وبينما تصل هذه العلاقة « الرباط المقدس» إلى قمة إنسانيته وكماله في الديانة الإسلامية حيث يقول الله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [الروم: ٢١](قرآن كريم).

التعليم الرسمي ، والمباشر ، والنظامي في مالي:

التعليم في مالي له نظام خاص بالدولة ، فالتعليم في المدن العاصمة بماكو يختلف عن التعليم في القرى وأيضا سن الالتحاق بالمدارس في المدن يختلف عن القرى ، ففي المدن سن الالتحاق أولي ابتدائي من سن سبع سنوات ، أما في القرى بمبارا فإن التعليم الرسمي والحضور في المدارس فلا يرسل الآباء الأطفال إلى المدارس للدراسة إلا عندما يكون الآباء علي استعداد لذلك وليس باعتبار سن الطفل فالسن مختلفة ومتنوعة

تتراوح ما بين سن سبع سنوات إلى عشر سنوات أي من الممكن أن يضم الفصل الدراسي في أولي ابتدائي طفل سن ٧ سنوات مع طفل سن ١٠ سنوات أو ١١ ، ١٢ سنة فلا يوجد سن لالتحاق الأولاد في التعليم الأساسي ، ونسبة تعليم البنات للأولاد قليلة جدا ، فالاهتمام بتعليم البنت في المنزل ينحصر في الشئون المنزلية وإذا ما تم إرسالها إلى المدارس فهي تدرس إلى المرحلة الإعدادية فقط وبعد ذلك يتم تأهيلها إلى الزواج

تنقسم مراحل التعليمية إلى مرحلتين قبل الالتحاق بالجامعة :

المرحلة الأولي : التعليم من أولى ابتدائي إلى إعدادي .

المرحلة الثانية : من إعدادي إلى ثانوي .

هذه المراحل تتم كاملة في المدن أما في القرى فقلما يصل الطفل إلى المرحلة الثانوي ، وفي المدن بعد الانتهاء من المرحلة الثانوية قليلا ما يلتحقون بالجامعة ذلك لأن الدراسة في الجامعة ، باللغة الفرنسية لذلك توجد بعثات في دول عربية كثيرة على رأسها مصر والمغرب وتونس ويتم فيها الحاصلون على الثانوية العامة التعليم الجامعي فيها.

أنواع التعليم والمدارس في مالي :

يوجد ثلاثة أنواع من المدارس في مالي وكل نوع به نظام تعليم يختلف عن الآخر ، وهي :

١- مدارس أهلية ، الدراسة بها باللغة العربية الخالصة .

٢- مدارس حكومية ، باللغة الفرنسية الخالصة .

٣- مدارس تجمع بين الدراسة باللغة العربية واللغة الفرنسية .

أولا : المدارس الأهلية الإسلامية في مالي

كانت هذه المدارس تاريخيا عبارة عن دور لتحفيظ القرآن الكريم ، وهذه المدارس يمتلكها أصحابها وليست ملكا للدولة وهي بمصروفات ، فقد كان من عادة الحاج عبد القوي الفاتح (أحد المجاهدين الإسلاميين الماليين الذين عملوا على نشر الإسلام في الريف) إذا استولى على قرية أو قلعة دينية أن يختار اثني عشر طفلا دون البلوغ ويغير

أسماءهم إلى أسماء إسلامية ثم يقدمهم إلى أحد حملة القرآن في جيشه ليعلمهم القرآن الكريم.

من ذلك التاريخ بدأت هذه المدارس (المجالس) في المقاطعات التي استولى عليها الفاتح ، ومع مرور الأيام أصبحت هذه المجالس القرآنية تأخذ اسم المكان الذي تعقد فيه (الدهليز) لأن المعلم كان يجتمع بطلابه في غرفة ذات بابين في مدخل الدار والدهليز باللغة البمبارية هو مربط الأكباش[1] ، كان التعليم في هذه المجالس التي تحولت فيما بعد إلى مدارس كان التعليم بها إسلاميا : حفظ القرآن ودراسة الفقه والسنة وخاصة فقه مالك ، ظل الحال هكذا إلى أن جاء الاستعمار الفرنسي ، فلم تكن المدارس موجودة بالمقاعد والسبورات ومعلم يأخذ العصا ويلقي أمام الطلاب بل كان الطلاب يكتبون على الألواح الخشبية ما يستوعبونه بسرعة ويسر يوميا حتى ينتهوا من حفظ القرآن عن ظهر قلب ، ثم يبدأون بالتدريج في تعلم العلوم الإسلامية من فقه كالأخضري ثم العلوم اللغوية مثل فقة مالك .

وعندما جاء الاستعمار فتح مدارس أخرى على النمط الأوربي ، وجعل التعليم إجباريا فبدؤوا يعرفون الأسلوب الجديد في التعليم وبدؤوا في تطوير مدارسهم وتحويل مجالسهم إلى مدارس أهلية وأول مجلس تحول إلى مدرسة إسلامية عربية كان في كاي ، وهذه المدرسة كان لها دور في نقل الثقافة العربية الإسلامية إلى جنوب الصحراء ، وكان في دائرة سيقو وهي المدينة العلمية والعاصمة التشريعية والتنفيذية للحركة الجهادية قبل الاحتلال الفرنسي ، كان بها مدرستان كبيرتان في الخمسينات هما مدرسة النجاح والفلاح ومدرسة سبيل الفلاح أنشئوا عام ١٩٤٧م ، ثم أن شيوخ هذه المدارس لم يتخرجوا في جامعات الوطن العربي ولا في مالي بالطبع ، ولكن تتلمذوا علي أيدي شيوخ المجالس الإسلامية ، درسوا القرآن وتفسيره والفقه المالكي بالإضافة إلى اللغويات ، فلم يكن أصحاب هذه المدارس على علم بالعلوم الحديثة ولم يسافروا إلى الخارج للإفادة من المدارس العربية في الوطن العربي ولكن اعتمدوا على المقارنة بين ما أقامته فرنسا من بيوت للتعليم ولوازم مدرسين وبين إمكانياتهم فكونوا مدارس إسلامية

(١) الشيخ الشيرتو هادي عمر تيام ، الإسلام في الدولة العلمانية مالي ، مرجع سابق صـ ٩٠ .

إفريقية[1]. ولقد حارب الاستعمار المدارس الأهلية كثيرا ، وكانت المنافسة شديدة وأصبحت المحاولات قائمة لتحويل المدارس الأهلية الإسلامية إلى مدارس حكومية علمانية ولكن لم يفلح في القضاء عليها فظلت قائمة كنوع من التعليم ولكن هذا التعليم كان هو الأساس لأهالي البلاد سواء كان في العاصمة أو القرى وذلك يرجع إلى نظرة الأهالي إلى اللغة الفرنسية ، فهم يربطون بينها وبين المستعمر حتى بعد الاستقلال .

فما زالت هذه المدارس موجودة إذن ، وهي الأساسية بالرغم من أن نظام الدولة يشترط للعمل في المصالح الحكومية أو إكمال الدراسة الجامعية الحصول على اللغة الفرنسية والذي لا يتم إلا بالالتحاق بالمدارس الحكومية ، كما أن التعليم في المدارس الحكومية مجاني أما في المدارس الأهلية فهو خاص وبمصروفات ومع ذلك عليه إقبال أكثر من المدارس الحكومية الفرنسية .

والتعليم في هذه المدارس باللغة العربية ، وجميع المواد التي تدرس مرتبطة بشكل أو بآخر بالدين الإسلامي فهم يدرسون الفقه والحديث وقرآن وسيرة ... الخ كل ما يرتبط بالدين الإسلامي ، أما باقي المواد مثل المواد القومية والتاريخية مثل التاريخ والجغرافيا فهي تدرس باللغة العربية ولابد أن تكون مرتبطة بتاريخ البلاد وجغرافيتها أي مواد متعلقة بقومية البلاد وليس بقومية فرنسا كما كان متبعاً سابقا[2] . ونذكر هنا أن المدارس الأهلية الإسلامية لا تضم سوى مرحلتين الابتدائية والإعدادية ، وفي السنوات الأخيرة ضمت بعض المدارس المرحلة الثانوية .

يرشح المعلمون للتدريس بعد حصولهم على الشهادات الإعدادية مباشرة ، ولا يتلقون أي إعداد من الدولة لإعداد المعلم ولا يوجد في مالي دار للمعلمين للدارسين باللغة العربية وهذا ما جعل التعليم في المدارس الأهلية ناقصا وضعيفا وأحيانا فوضويا [3] .

إن نظرة الناس إلى التعليم هي الدين والتعاليم الدينية ، فقط حتى إنهم يقولون : أن

(١)المرجع السابق صـ٩٢ .

(٢)ميداني .

(٣)الشيخ الشيرنو هادى عمر تيام – الإسلام في دولة علمانية ، مرجع سابق – ص-٩٨ ،

المسلم يجب عليه أن يلحق أبنه بالمدارس الإسلامية ليدرس الدين ولا يدرس الفرنسية أو العلوم الأخرى لأنهم مازالوا يربطونها بالاستعمار كإنهم لا يفرقون بين اللغة وصاحبها بالرغم من أن شرط الحصول على الوظائف الحكومية إتقان الفرنسية ، كما أن لغة الدولة الرسمية هي الفرنسية وجدير بالذكر هنا أن مالي تعتبر أكبر الدول النامية تخلفا ونسبة الأمية مرتفعة فيها جدا حيث تبلغ ٧٠ ٪ ولكي تقف الدولة على حافة التقدم فلابد أن تصل نسبة المتعلمين الذين يحسنون القراءة والكتابة إلى ٥٠ ٪ على الأقل[(١)]

جدول الدراسة الأسبوعي النموذجي للمدارس الأهلية

الإثنين	قرآن	نحو	الصرف	الحساب	/	الفقه	القرآن
الثلاثاء	قراءة	نحو	حديث	الحساب	/	التفسير	الفقه
الأربعاء	قراءة	بلاغة	المحفظة	الحساب	/	الميراث	القرآن
الخميس	نحو	صرف	البلاغة	الحساب	/	عطلة	عطلة
الجمعة	—	—	—	—	—	—	—
السبت	نحو	بلاغة	القراءة	الحساب	/	التفسير	القرآن
الأحد	بلاغة	قراءة	النحو	الصرف	/	الفقه	القرآن

يوضح لنا هذا الجدول اتجاه المدرسة الأهلية وهدفها في التربية والتعليم ، هذا النوع من المدارس والدراسة هو المنتشر في مالي وخاصة في القرى ، فالتعليم هنا عند جميع أهل مالي وخاصة القرى مرادف للدين أو التعاليم الإسلامية .

ثانيا : المدارس الحكومية :

وهي مدارس عامة فرنسية تمولها الحكومة ، أغلب هذه المدارس بناها الاستعمار الفرنسي ودعمها وكان التعليم فيها مجانا ، والآن بعضها بمصروفات والبعض الآخر مجانا وفي كلا النوعين تمول الحكومة هذه المدارس وتؤيدها ، والخريجون من هذه

(١)المرجع السابق صـ ١٠٤ ،

المدارس هم الذين يتولون الوظائف في الحكومة أو يكملون التعليم الجامعي ، ذلك لأن الدراسة بها باللغة الفرنسية وهي بعيدة عن الدين ودراسة الدين ومن الأباء من يرغب في تعليم ابنه أمور الدين وحفظ القرآن فعليه إذن ن يلحق بالكتاب كما ذكرنا من قبل .

والملاحظ على أبناء المدارس الحكومية وأبناء المدارس الأهلية أنه بالرغم من أن كلا منهما أبناء بلد واحد وديانة واحدة وعادات وتقاليد واحدة إلا أن هناك هوة بينهما ، فكل منهم ينظر إلى الآخر على أنه غريب ومن بلد آخر. وهذا ما تعمل حكومة مالي الآن على إزالته بين أبنائها وتقرب بين أبناء المدرستين كما تحاول تغيير في المناهج التعليمية في المدرستين حتى يحدث تقارب فهي تحاول ربط الدراسة الدينية في المدارس الأهلية بالمجتمع وإدخال مواد أخرى مع الدين حتى تشمل الدراسة الدنيا والدين وفي نفس الوقت تحاول إدخال دراسة دينية في المدارس الحكومية لربط الحياة بالدين ، ذلك لأن المدارس الحكومية بعيدة تماما عن دراسة الدين وتجمع جميع الديانات داخل هذه المدارس فالتعليم فيها علماني ليس له شأن بالدين إطلاقا .

ثالثا : النوع الثالث من المدارس :

وهو خليط من النوعين السابقين ، وهو دراسة عربية فرنسية ، هذا النظام أنشئ في الخمس سنوات الماضية، وهو نظام حديث الدراسة فيه مرحلتان المرحلة الابتدائية والإعدادية ، نسبة دراسة اللغة الفرنسية والمواد المتعلقة بها ١٥ ٪ فقط وباقي النسبة لدراسة الدين واللغة العربية وما يتصل بها .

وبعد الانتهاء من المرحلة الإعدادية فأن علي من يريد الالتحاق بالمرحلة الثانوية أن يدرس سنة دراسة تمهيدية الدراسة فيها باللغة الفرنسية على أن تكون نسبة دراسة اللغة العربية والدين ٢٠ ٪ والـ ٨٠٪ الأخرى دراسة مواد علمانية باللغة الفرنسية بالإضافة إلى دراسة اللغة الفرنسية كلغة رسمية .

يحتوي جدول هذه المدارس على دراسة اللغة العربية بفروعها والدين الإسلامي بفروعه والرياضيات بالإضافة إلى تدريس لغة البمبارا من السنة الأولى الابتدائي، ثم تدخل اللغة الفرنسية من السنة الثالثة الابتدائي وتدخل العلوم العصرية وهي الفيزياء

والكيمياء والعلوم الطبيعية من السنة السادسة الابتدائي والاستمرار في المرحلة المتوسطة والثانوية في كل هذه الأنواع من التعليم ، و لايوجد في هذه الأنواع من المدارس ما يسمي بالكتاب المدرسي الذي يحتوى على المقرر ويكون في أيدي التلاميذ .

في المرحلة الابتدائية الأولى التى تشمل ست سنوات دراسية ، يكتب المدرس على السبورة والتلاميذ يقومون بنقل الدرس من على السبورة ويتم النقل على اللوح الخشبي فهم لا يعرفون الورق الا متأخراً ، أما في المرحلة المتوسطة والثانوية فيبدأ المدرس بإملاء التلاميذ الدرس المقرر عليهم قبل الشرح ولا يكون الكتاب إلا في يد المدرس فقط ، وكان هناك تعليق من الجالية المالية في القاهرة أنهم استغربوا عندما حصلوا على كتاب مقرر لكل طالب أثناء تعليمهم في القاهرة .

أما عن إقبال الأهالي على التعليم في هذه الأنواع الثلاثة من التعليم فأننا نجد أن الأهالي لديها إقبال أكثر على التعليم العربي والأساسي الديني ، وهذا يتضح أكثر في القرى ، فأما في بمبارا فلا يوجد نظام المدارس الحكومية الفرنسية إلا في سيجو المدينة وهو قليل جدا ، أما في القرى لا توجد هذه المدارس، وإنما توجد أيضا في بماكو وهي كثيرة وأساسية في التعليم .

أما عن تعليم البنات في كل الأنواع السابقة من المدارس فيكون في المدارس العربية ويصل إلى نهاية المرحلة الابتدائية وقليلا ما تصل إلى الإعدادية بسبب صغر سن الزواج المبكر .

فتعليم البنات ليس له أهمية كبرى في مالي وحتي في باماكو العاصمة ، أما في بمبارا ليس له أهمية إطلاقا، لأن البنت سواء تعلمت أو لم تتعلم فهي للزواج وإنجاب الأطفال ، أما إذا تعلمت وهي في باماكو فهي تنهي تعليمها عند سن ١٥ سنة في الكثير من الأسرة استعدادا للزواج .

اللغة كوسيلة للتواصل :

ذكرنا في مجتمع الدراسة في الفصل الأول اللغة التي تتكلم بها مالي، وذكرنا أن بمالي أكثر من خمس عشرة لغة متعارفاً عليها ، ولكن اللغة المحلية الأولى هي البمبارا أما اللغة

الرسمية لغة المصالح الحكومية والوظائف فهي الفرنسية .

وبالرغم من أن شعب بمبارا أقلية بالنسبة لسكان مالي إلا أن اللغة السهلة والمحلية هي لغتهم ، ومن السهل على كل العرقيات الأخرى أن تتكلم لغة البمبارا بالإضافة إلى لغتها ، إنما يصعب على البمبارا أنفسهم أن يتكلموا لغة أخرى غير لغة البمبارا . هذه اللغة كانت منطوقة فقط ومنذ سنوات بسيط أصبحت مكتوبة ومنطوقة ، وأشرنا سابقا أنه قد ترجم كتاب فقه مالي باللغة بمبارا ، وكما ترجمت معاني المصحف الشريف إلى لغة بمبارا ، بالإضافة إلى أن الدولة تشجع وتعمل علي تدعيم لغة البمبارا ، فهي اللغة المحلية لشعب مالي .

وتعمل الحكومة في باماكو على إرسال كل طفل أنهى الدراسة الأولى أي من ابتدائي إلى إعدادي يرسل إلى محافظة في بمبارا وخاصة سيكو لكي يتعلم لغة البمبارا حيث أهميتها لكل سكان مالي ، بالإضافة إلى أن سيكو من أكثر المحافظات والمدن تمسكا بالعادات والتقاليد والديانات التقليدية بجانب الإسلام وإن معقل اللغة العربية أيضا في مالي هو في سيكو ، كما أن هناك اليوم في مالي اتجاهاً دراسيا وتربويا إلى فرض التعليم في المدارس الابتدائية كلها باللغة الأساسية في البلاد وهي لغة البمبارا .

التربية الدينية :

يحرص الآباء والأجداد حرصا شديدا على التربية الخلقية والدينية لنقل مبادئ السلوك السوي والتصرف السليم إلى أبنائهم ، والأوامر عندهم تتصل بتقديس الأجداد واحترام الشيوخ والآباء ، وينتشر بينهم الصدق وطاعة أولي الأمر والوفاء بالوعد ، وتنحصر الأصول الدينية في أنهم يفرقون بين العالم المرئي والعالم غير المرئي ، وعندهم الشعور بالخضوع لعالم أعلي وأن هناك قدرة عليا تنظم الكون وتهيمن عليه ، ويعتقدون بوجود أرواح مستقلة بعضها خير صديق وبعضها شرير عدو ، ويؤمنون كذلك باستقلال روح الإنسان عن جسده وانفصالها عنه عند الوفاة .

كما يميزون بين الخير والشر ويؤكدون على الحياة والعدالة والمسئولية والحرية والواجب والخطيئة التي تعاقب عليها سلطة غير مرئية أو من يمثلها ، ويهتمون بالصلاة والعبادات ويميزون بين المقدس وغير المقدس في الأماكن والأشياء والأقوال

و ينظرون إلى الأسرة كمقر اجتماعي وديني يحفظ نقاء الدم وينقل تقاليد وعادات القبيلة خاصة عند مراحل الحياة الأساسية المتمثلة في الولادة والبلوغ والزواج والموت .

إن الطفل تابع لأسرته ، يعتنق دينها ويتشرب تقاليدها بما يؤثر في سلوكه وتصرفاته وتفكيره ونظرته للحياة وقد قال النبي (صلي الله علية وسلم) « كل مولود يولد على الفطرة إنما أبواه يهودانه أو ينصرانه أويمجسانه»« حديث شريف »

والأطفال في مجتمع البمبارا يفعلون ما يفعله الكبار ويقلدونهم ، والكبار حريصون كل الحرص على تشجيع الأطفال لكي يقلدوهم في الصلاة والذهاب إلى المساجد وهنا يرى الأب ضرورة لتعليم ابنه القرآن ويلحقه بالكتاب ، أي لا توجد سن معين كما أوضحنا للالتحاق بالكتاب ، فهي متروكة للأب ومدى استعداده لتلقي ابنه التعاليم الدينية الإسلامية من فقه وأحاديث وحفظ قرآن .

ومن الملاحظ في سيقو (وكان هذا متبعا في مالي كلها) أن كلمة تعليم مرادفة للتعاليم الإسلامية وأن كلمة تربية أيضا مرادفة للتربية الإسلامية والعربية ، هذه النظرة مازالت في قري في سيقو والقرى والمدن التي حول العاصمة ، أما في العاصمة باماكو فالنظرة مختلفة قليلا ، فنجد بعض الناس يجمع فكرهم عن التعليم بين التعاليم الدينية والدنيوية ويجمع بين اللغة العربية والفرنسية والبمبارية ولكن بعض الأسر مازالت تنظر إلى التعليم على أنه تعليم عربي ديني فقط طالما هي أسرة مسلمة ، وهذه الأسر مازالت تنظر إلى التعليم الفرنساوي الدنيوي البعيد عن الدين أنه تعليم غريب على المجتمع وأنه مرتبط بالاستعمار ، لأن ثقافة الدولة المستعمرة هي ثقافة المستعمر ، إذن ثقافة فرنسية .

وقد قامت الباحثة بالتنقل بين بعض عائلات البمبارا ، وأجرت حواراً مع بعض السيدات والبنات لمعرفة مدى تمسكهم بالدين وعند سؤالهم عن مدى التزام السيدات والبنات بالصلاة قلن : هناك سيدات ملتزمات بالصلاة وهن اللاتي يتكلمن اللغة العربية ويحضرن حلقات دراسة الدين والصلاة ، وقد لفت نظر الباحثة وجود بعض الحلقات الدينية الخاصة بالسيدات وتقوم بإلقاء الدروس والتوعية فيها سيدة ، وهناك بعض الحلقات التي تجمع بين السيدات والرجال ، ولكن يفصل بين المجلس فاصل (ستائر) وفي هذه المجالس الذي يلقي الدرس هو شيخ الجامع .

وقلن أيضا أن هناك سيدات ملتزمة بعض الشيء بالصلاة و منهم من لا تصلي أساسا ودرجة الالتزام تختلف من سيدة إلى أخرى في موضوع الصلاة ، لكن أكثرهن التزاما من حصلت على قسط من التعليم وتحضر حلقات الدراسة وهي في الغالب السيدات المتزوجات ، فهن أكثر التزاما من غير المتزوجات والآنسات ، ويرجع في رأيهم التزام السيدات بالصلاة إلى إرضاء الزوج وأسرة الزوج .

أما التزام البنات بالصلاة فهذا راجع إلى إرضاء الأب غالباً ، وفي حالة حرص الأب على الصلاة فإن الأبناء من الذكور والإناث ينشأن علي حرص أداء الصلاة .

أما عن ظاهرة الحجاب فهي في ازدياد عن ذي قبل ، وكانت النسبة الغالبة للسيدات ، أما الآن فقد بدأت البنات والغير متزوجات تظهر منهم نسبة كبيرة في ارتداء الزي الإسلامي أما غير المحجبات فتجدهن وقت الصلاة ارتدين زيا مناسبا للصلاة يغطي من رأسها إلى إصبع قدمها ، وبعد الانتهاء من الصلاة يخلعن هذا الزي ويلبسن الزي الخاص بهم وهو على قطعتين وقد تم وصفه في الفصول السابقة من البحث.

أما عن مدي التزام الأطفال بالدين والشعائر الدينية فإنه يختلف من أسرة إلى أخرى ويرجع أساسا إلى الأب ومتى بدأ إتباع الشعائر الدينية في الصغر ، إذا كان الأب ممن اتبعوا الصلاة والشعائر الدينية وهو صغير فهذا ينطبق على الأولاد ، أما إذا اتبع الأب الشعائر الدينية في سن متأخرة فهذا ينطبق على الأولاد وبدأت في الآونة الأخيرة حلقات للعلم والنصح والإرشاد ، هذه الحلقات تعقد في الجوامع ويحضرها الرجال والأبناء والسيدات أيضا ، وهي حلقات توعية وإرشاد عن كيفية تطبيق الدين الإسلامي في الحياة العامة وبعثة الأزهر لها دور كبير في هذا فهي متواجدة دائما في مالي .

إن بداية اليوم عند البمبارا لها طقوس كل حسب ديانته ، لأن النسبة الأكبر من شعب البمبارا مسلمون ويوجد بينهم أقلية وثنية أما المسيحيون فهم نسبة لا تكاد تذكر ، ذلك لأنهم يفضلون (إن لم يكونوا مسلمين) البقاء علي دينهم عن أنهم يدينون بغير الإسلام ، أي أنهم إما مسلمون أو ذوو ديانة تقليدية ولكن في التعامل معهم لا تستطيع أن تفرق بين ما هو مسلم أو غير مسلم فلهم عادات واحدة وتقاليد واحدة وأخلاق وقيم واحدة إلا في بعض الأمور التي من الممكن أن تخالف الشريعة الإسلامية فإن المسلم يبتعد عنها .

فمثلا بالنسبة للمسلم يقوم في صلاة الفجر ، يبدأ يومه بصلاة الفجر ، وتتبعه الزوجة والأولاد وتقوم الزوجة بإعداد الطعام ، ويخرج الزوج إلى العمل في الحقل للزراعة مع دعوات الزوجة له بتيسير الحال ، ثم بعد ذلك يتبعه الأولاد الذين هم في سن العمل للمساعدة ويكون هذا في الضحى ، وتمكث الأم مع البنات في المنزل لعمل الشئون المنزلية ورعاية الصغار وتحضير الطعام ثم تذهب في الظهيرة إلى رجال العائلة في الحقل ومعها طعام الغذاء وبعد الغذاء يستأنف العمل ، وتنضم النساء في هذا الوقت مع الرجال للزراعة وإنشاد الأغاني الحماسية لبعث النشاط في نفوس الرجال للعمل وتحمل المشاق .

أما غير المسلم فمنهم من يوجد في منزله تمثال صغير يتقرب به إلى الإله أو هو الإله نفسه ، كما يعتقد ببدء اليوم بالتقرب إليه بالدعاء والترانيم ومنهم من يتقرب بالقرابين مثل ذبح دجاجة ، كل حسب مقدرته المادية ، ثم بعد الذبح يلقي الدم على التمثال مع الدعاء بتيسير الحال .

ومنهم من يبحث عن عش للنمل الكبير وعندما يشاهده يكسر عليه بيضة مع الدعاء بتيسير الحال لكي يفتح عليه الإله ويرزقه .

ومنهم من يأخذ ثمرة ورو Woro وهي ثمرة مشهورة عندهم يأخذها ويمضغها ثم يبصقها على الإله الخاص به . وثمرة الورو Woro هذه لها استخدامات كثيرة ، فهي تستخدم فعند الزواج عندما يتقدم شاب لفتاة فأن أول زيارة من الشاب لأسرة الفتاة يأخذ معه كمية من زهرة الورو ويقدمها لوالد الفتاة لطلب يدها في بداية الكلام يقدم حفنة من الورو يضعها في يد والد الفتاة ، وقبل وجود الورو كان يقدم كمية من الملح لنفس الغرض.

هذه الثمرة يستخدمها جميع أهل البمبارا على اختلاف ديانتهم المسلم يستخدمها للمضغ فقط دون وجود إله ليبصقها عليه ، ويستخدمها أيضا عند الكلام على فتاة للزواج ، أما غير المسلم فأنه يستخدمها للمضغ ثم يلقيها على الإله ويستخدمها أيضا عند الزواج والتقدم إلى فتاة .

أما عن مدى معرفة الناس بالتعليم وتقبلها. فأن معرفة الناس بالتعليم أساسا مبهمة

وغير واضحة في أذهانهم ، ذلك لأن التعليم من وجهة نظرهم هو تعليم ديني ولا يوجد سن للالتحاق بالمدارس وخاصة في القرى فسن التحاق الأطفال بالمدارس يتوقف على رب الأسرة ، فمتي رأي رب الأسرة أن هذا الطفلاً وجب عليه أن يتعلم يلحقه بالمدرسة فنجد في سنة أولي ابتدائي أن هناك طفل عمره ست سنوات وآخر عشر سنوات وآخر خمس عشرة سنة وكلهم في نفس العام الدراسي ويدرسون نفس المواد فهم يطبقون المقولة التي تقول « اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد » ولكن على طريقتهم الخاصة ، فالإنسان يبدأ التعلم في أي سن ، والتعليم ديني مادام المتعلم مسلما . .

بالإضافة إلى أنهم يعتقدون بأن المدارس الفرنسية والتعليم فيها للنصراني أو الوثني ، أما المسلم فأنه لا يلتحق بالمدارس الفرنسية ، وكان الرفض من الآباء والأسر ورسخت هذه العقيدة لديهم عن التعليم فترة طويلة من الزمن وهذا راجع أساسا إلى أن اللغة الفرنسية هي لغة المستعمر وربطوا نوع التعليم هذا بالاستعمار .

وقد بدأ الآن هذا الاعتقاد في التغير ولكنه تغيير بطيء نوعا ما في المدن ، ولكن بعض الأسر مازالت تصر على هذا وتعلم أبناءها تعليما عربيا دينيا فقط ، والغريب أن هذا التعليم تعليما عربيا دينيا في المدارس الخاصة الأهلية وبالمصروفات أما التعليم باللغة الفرنسية فهو في المدارس الحكومية وبالمجان بالإضافة إلى اهتمام الحكومة بالعاملين والمدرسين الذين يعملون في مدارسها ورعايتهم اجتماعيا وبالرغم من ذلك فإن الإقبال على التعليم العربي الديني أكثر من المدارس الحكومية الفرنسية .

كما أن لرفض التعليم الفرنسي سبباً آخر وهو أن الدراسة بها باللغة الفرنسية حيث لا يدرسون فيها الدين والمعروف أن شعب مالي شعب متدين ويحب الإسلام ولقد قامت مالي الحديثة وجدت على الدين الإسلامي، الإضافة إلى أن التعليم الفرنسي يهتم بالثقافة الفرنسية ، وطالما وجدت مالي أن هذه الثقافة غريبة عنها ذلك أن مالي وسيقو بالأخص من الشعوب التي تتمسك بالعادات والتقاليد .

وبدأت عملية التعليم تتغير ، ولكن التغير يسير بطريقة بطيئة جدا ، ولقد وفرت الحكومة نظاما ثالثا للتعليم بالإضافة إلى التعليم الفرنسي والتعليم العربي الديني ، هذا النظام الثالث يجمع بين النظامين : التعليم الفرنسي والتعليم الديني العربي وقد

أوضحنا هذا النظام في التعليم النظامي في مالي ، وسبب وجود هذا النظام أن التعليم الجامعي باللغة الفرنسية ومن يريد الالتحاق بالجامعة لابد له من إتقان الفرنسية ، والبديل بعد انتهاء الثانوية باللغة العربية دخول مسابقات للحصول على منحة دراسية في أي بلد آخر مثل القاهرة والمغرب والجزائر وتونس ، وهذا بالطبع يكلف البلد مبالغ طائلة وهذه البعثات قد التقت بهم الباحثة في القاهرة و كانت مائة وخمسين طالب ملتحقين بالجامعات المصرية وبالأخص في جامعة الأزهر ومعاهدها، وأغلبهم يقيم في مدينة البعوث الإسلامية ، ويوجد من بين هؤلاء الطلبة من يدرس في القاهرة على نفقته الخاصة تتولى أسرته الإنفاق عليه لإتمام الدراسة وقد قابلت بعضهم وكان من بينهم فتاة تدرس في معهد أزهري لدراسة اللغة العربية.

تعليم الفتاة والمرأة في القرى :

نتفق جميعا أن التعليم أداة قوية في إيدي صاحبها وتعطيه الكثير من القوة والسلطة أحيانا، لذلك نجد أنه من مراكز بناء القوة في المجتمع ، وبما أن مجتمعنا مجتمع ذكوري أي الرجل في المقدمة فلابد من عمل تحديد أو تحجيم لتعليم المرأة من خلال من هم مسئولون عن ذلك ، حتى أنه عند إتاحة الفرصة للمرأة للحصول على التعليم من خلال المشاركة في برامج تعليم الكبار (محو الأمية) وهو خاص بالسيدات والفتيات التي فاتها سن التعليم المدرسي فإنه يتم تقليص واختزال ذلك المجال المفتوح أمامها من أجل استخدام تلك المهارات التي تعلمتها من خلال ذلك التعليم الذي حصلت عليه ، علي الرغم من وجود العديد من الإثباتات والبراهين التي تشير إلى أنه خلال سنوات التعليم المدرسية فإن عملية تعليم الفتيات هذه يكون لها فائدة ومنفعة كبيرة من الناحية الاجتماعية والاقتصادية ، علي سبيل المثال في النواحي الصحية والإنجابية ، وغيرها إلا أنه مع ذلك لا يوجد تشجيع لتعليم الفتيات الصغار في المدارس ولا تعليم الكبار من النساء ، فالنساء في القرى لا يعرفون القراءة والكتابة ولا كتابة أبسط الكلمات أو كتابة أسمائهن بالرغم من أنه يوجد برامج لتعليم الكبار وخاصة في القرى يتم دعمها من جانب منظمة تنموية تسمي (C.A) أو منظمة مساعدة الأطفال (chil Aid) ، وهي منظمة غير حكومية تعمل في مالي منذ ١٩٨٧ في مجال رعاية الأطفال وإدارة الموارد الطبيعية والزراعية والبيئية ، وبعض الأعمال الصغيرة والتعليم ، فنجد أن نسبة ضئيلة

جدا من النساء هي التي استفادت من هذه المنظمات الخاصة بتعليم الكبار وذلك للصعويات التي قابلتهم ، ومنها :

*ضعف الإمكانيات المتاحة للتعليم مثل استخدام أدوات التعليم من سبورة وأوراق وأقلام ، وذلك للوضع الاقتصادي المتدني .

* ومنها أن هذه الدراسة تعقد مرة واحدة في السنة ، وغالبا ما تكون متوافقة مع شهر رمضان وأثناء فترة الصيام ، وهي فترة تكون النساء فيها على درجة كبيرة جدا من الانشغال ، وهذا يعوقهن من الحضور إلى تلك الفصول التعليمية ، ولذلك فإن نسبة الحضور تكون عالية للرجال والأولاد أكثر من البنات والسيدات .

* ومنها ما يتعلق بالحالة الاقتصادية وهي أن الفصول تعقد في المساء و القرى لا يوجد بها كهرباء وإنما يستخدمون مصابيح الكيروسين وهي لا توفر الإضاءة الكافية واللازمة لذلك الأمر .

* ومنها ما يتعلق باللغة التي يستخدمونها ، حيث أن لغتهم الأصلية هي البمبارا وهي اللغة العامية ولا تستخدم في التعليم حيث أن اللغة السائدة في التعليم هي اللغة الفرنسية و كل التعاملات الحكومية والروشتات الطبية التي تخرج من المراكز الطبية كلها باللغة الفرنسية وليس باللغة القومية البامبارا ، وبالرغم من أن الذين تعلموا اللغة الفرنسية يتحدثون بالبامبارا لأنها لغتهم الأصلية ومع ذلك لا يقرؤون ولا يكتبون بها .

* والمهم منها ما يتعلق بالاعتقادات والعادات الراسخة في أذهانهم من أن التعليم والدراسة من الأفضل أن يحصل عليه الرجل أكثر من المرأة وأن التعليم أكثر نفعا للرجل عنه بالنسبة للمرأة ، وأن جميع قادة التعليم والدين هم رجال لذا فإنه من المفروض أن هذه الفصول التعليمية هي مخصصة للرجال، وبالرغم من أن هذه الفصول عند نشأتها مختلطة للرجال والنساء فإن عملية الحضور في البداية كانت للرجال ثم بالتدريج بدأ التحاق النساء .

مع ملاحظة أنه من الناحية الاجتماعية من الصعب أن تحضر النساء تلك الفصول مع الرجال كما أن القائمين على هذه العملية التعليمية اكتشفوا أنه إذا قام الرجل بإجابة خاطئة من أي سؤال لا تستطيع المرأة أن تصحح له الإجابة إذا كانت تعرفها لأن ذلك

يعتبر نوعا من عدم الاحترام .

ولذلك أدرك القائمون علي هذه الفصول ضرورة الفصل بين فصول النساء والرجال ، ولكن كانت هناك صعوبة تتعلق بموافقة الرجل على إرسال نسائه وبناته إلى هذه الفصول .

* كما أن من الصعوبات أيضا التي قابلت النساء ضيق الوقت ، فالمرأة يقع عليها العديد من المهام كخدمتها للأسرة والعمل داخل وخارج المنزل خاصة وضع المرأة في القرى ، ذلك لأنها تقوم بالزراعة مثلها مثل الرجل تماما، وقد تغير وقت الفصول الدراسية إلى ما بعد العشاء ولكن وجدوا المرأة تكون أرهقت ومتعبة من أعباء اليوم الكثيرة .

* بالإضافة إلى أن عدد الرجال المتعلمين يفوق عدد النساء وبالتالي فإن استفادة الرجال من التعليم أكثر من النساء ومفضل للمجتمع عن النساء .

ولقد كانت هناك بعض الطرق القديمة التي يستخدمها الرجال الكبار الشيوخ في القرى ، كانوا يستخدمون قطعا من الصخور أو الأحجار وعن طريقها يقوم بعمل بعض الحسابات من خلال عد تلك القطع ، وعندما تم إسناد هذا الأمر إلى من هم أصغر سنا من الشباب قاموا بتلك العمليات الحسابية ذهنيا وبدون استخدام تلك الطرق التقليدية ، وأن هذه الأمور بعد ذلك أصبحت تسند للشباب من الرجال وليس النساء

* بالإضافة لتلك الصعوبات السابقة في كيفية حصول المرأة علي ذلك التعليم فإننا نضيف إليها صعوبات تواجهها من أجل التطبيق فإنه أيضا من الصعب أن يكون ذلك التعليم مؤثرا من جانب المرأة علي المجتمع أو أن يقوم ذلك التعليم الذي حصلت عليه بعمل أي تغيير في الجانب الاجتماعي أو الاقتصادي ذلك لأن تلك الأعمال والمجالات المؤثرة في الجانب الاجتماعي ليست في دائرة اختصاصات المرأة على الإطلاق في ذلك المجتمع ، ذلك لأن القرارات التي تكون المرأة مسئولة عنها هي القرارات المتعلقة بالمنزل والحياة اليومية وبعض أمور الزراعة وتربية الأطفال ، بعض الأمور الاجتماعية وبعض الأعمال التجارية البسيطة ذات النطاق المحدد .

* كما أن الرجال في أغلب الحالات يمتنعون ويرفضون أن تذهب زوجاتهم لتلك الفصول التعليمية وحتى في الحالات التي يوافق فيها الرجال على أن تذهب زوجاتهم

لتلك الفصول التعليمية فإن هذا لا يعني أن هؤلاء النساء قد حصلوا على أي قدر من السيطرة أو السلطة ، بل أن الأمور لا تتغير.

* أن القائمين على هذه العملية التعليمية يرون أن تعليم المرأة سوف يكون بمثابة التحرير بالنسبة للمرأة وسيحدث تغيرات كبيرة ، لكن القوى السياسية المتواجدة في تلك المجتمعات علي درجة عالية من الرفض والحرص على عدم حدوث أي تغيرات في تلك الجوانب السياسية ، وبالتالي فإن قادة تلك المجتمعات ورؤساءها يقبلون فكرة تعليم المرأة وذلك بغرض واحد هو تحسين حالتها الشخصية، ولكن ليس كوسيلة من أجل تغيير الأوضاع أو السلطة بين الرجل والمرأة ، لذلك نجد أن القائمين على تلك البرامج يقولون : أن تلك البرامج سوف تؤدي إلى تحسين المرأة وجعلها أفضل في تلك الأعمال والمجالات المخصصة لها في تلك المجتمعات ، أي أنها سوف تصبح أفضل في عملية الطهي والطبخ أفضل كزوجة ، وأفضل كمزارعة، وليست وسيلة تكسب من خلالها المرأة الأموال أو تغير نظم السيطرة والحكم بينها وبين الرجل ، فمن هنا أصبحوا ينظرون إلى ذلك التعليم للمرأة على أنه أحد الأمور المتوافقة مع متطلباتهم وحاجاتهم .

* يتضح لنا هنا أن عملية تعليم الكبار وخاصة الفتيات والسيدات لابد وأن يتم بدرجة عالية من الحذر ، كما أنه يتضح لنا أن عملية الحصول على ذلك التعليم ليست من الضرورة أن يتبعها بعض الأمور أو المتغيرات المتعلقة بالجانب الاجتماعي والاقتصادي ، حيث إنه من الواضح أنه حتى مع حصول المرأة على التعليم واكتسابها مهارات تعليمية فإن هذا في أغلب تلك الأحوال لا يؤدي إلى تبعيات أو تغيرات اجتماعية أو اقتصادية خاصة في القرى .

فإن تعليم الرجال (محو الأمية) هو أكثر ارتباطا بالمنافع الاجتماعية والاقتصادية التي يتم تحقيقها في تلك المجتمعات ، وإن أهم ما تستفيد منه المرأة من فصول تعليم الكبار هو عمليات الاختلاط بالآخرين من خلال تلك الفصول ، وأن تتاح الفرص أمامهم لتحسين أوضاع حياتهم وتكون لديهم ظروف حياة وظروف معيشة أفضل من تلك التي يعيشونها خاصة في القرى .

ولكن لا تستطيع المرأة أن تتغير أو تغير من ظروف حياتها إلا مع حدوث تغير شامل

ليس للمرأة أو أحوالها فحسب بل للنظام الاجتماعي ككل وأيضا في السياق الاقتصادي الخاص بالمجتمع فالمرأة لا تستطيع أن تقوم بالتغيير في تلك المجتمعات مادامت هناك قوى كبيرة مضادة تحاربها وهي القوى المجتمعية التي تقف في وجه النساء (1).

يتضح لنا مما سبق في هذا الجزء من الدراسة ، أنه لا تقسيم لمراحل الطفولة المتعارف عليها :

مرحلة الرضيع و الطفولة المبكرة والطفولة المتأخرة ، لا يحظى الطفل بأي ميزة من ميزات هذه المراحل إلا مرحلة الرضيع فهو يأخذها كاملا وأكثر من اللازم كما أوضحنا ، فأن الطفل يظل رضيعا إلى سن ثلاث سنوات ، وبعض الأسر يظل الطفل إلى سن أربع سنوات ثم يبدؤون في فطامه وهذا يؤدي بالطبع إلى طفل ضعيف يعاني من سوء التغذية وعرضه لكثير من الأمراض ، وذلك لأن هناك أطعمة كثيرة لابد أن يتناولها الطفل في المراحل الأولى من نموه ولا يكتفى بثدي الأم ، وخاصة أن الأم نفسها تعاني من سوء التغذية .

ويترك الطفل لرعاية الإخوة والأخوات الكبار وخاصة البنات ويأكل مما يأكلون ويفعل أفعالهم ويكون الطفل لاهيًا بدون حماية إلا من الأخت الكبرى وفي الغالب هذه الأخت الكبرى لا تتجاوز الخمس سنوات في أغلب الأسر فأي حماية توفرها هنا لهذا الصغير، فالأطفال في هذه المرحلة معرضون لأخطار كثيرة في غياب الأم أو ما ينوب عنها من الراشدين .

ومن سن خمس سنوات يبدأ الطفل ينخرط في عالم آخر ، فالبنات تصبح سيدات صغيرات تحمل أعباء المنزل في مساعدة الأم وتحمل مسئولية الأخ الأصغر والأولاد في هذه السن يذهبون إلى الحقل لأداء أي عمل مع الأب فهم يعملون عمل الأب (مزارع – حداد – صياد) فهو هنا أصبح رجل صغير إلى أن يصل إلى سن العاشرة نجد الطفل يتحمل مسئولية نفسه في العمل ومسئولية من في المنزل أيضا .

(1)women and literacy in rural Mali : (2003)a study of the socio- economic impact of participating in literacy programs in four villages - international journal of education development - PP : 439 – 458

أما التعليم فنجد إنه يأتي حسب رغبة الأب وحسب قدراته المادية ، وهو تعليم ديني في المقام الأول وفي الكُتاب ولا يبدأ قبل سن السابعة فنجد طفلا في المرحلة الأولى الابتدائية عمره سبع سنوات وبجواره طفل آخر في نفس المرحلة عمره عشر سنوات لا يوجد سن محدد لدخول المدرسة ، وهذا ما يحدث في القرى إلى الآن ، وتحديد سن الالتحاق بالمدرسة من اختصاص العاصمة (باماكو) فقط وأطفالها أما القرى أو المدن المجاورة فالتعليم فيها حسب رغبة الأب وقدراته المادية .

وعندما ينخرط في التعليم نجد أن هناك اختلاف في سن الالتحاق للمدرسة في القري عن العاصمة نجد أيضا اختلافاً في طبيعة التعليم ونوعيته في القري عن العاصمة ، بل إنه في العاصمة نفسها هناك أكثر من نوع من التعليم ، هناك فجوة بين متطلبات وسياسية الدولة في مجال العمل ورغبات الأهالي في التعليم.

كما أننا نجد أن الفتاة لاحظ لها في التعليم وخاصة في القرى ، أما العاصمة فهي تحظى بالتعليم إلى المرحلة الابتدائية فقط وبعد ذلك تجلس في المنزل للتدريب على أعمال المنزل وتجهيزها للزواج .

إن المرأة في مالي مكبلة بالعادات والتقاليد والأعمال المنزلية والحقلية وتحمل مسئولية الأسرة بالكامل ، وبالرغم من هذه المسئولية التي على كاهل المرأة فهناك الرجال أنفسهم يقولون : «لولا المرأة لمات الرجال جوعا في مالي » بالرغم من ذلك لا تحظى بالاهتمام الكافي لا من الرجل ولا من المجتمع والدولة ، لا تحظي بالمعاملة الكريمة التي أقرها لها الإسلام في حفظ حقوقها وكرامتها ، فهي لا تعترض ولاتثور ولا تغضب عندما تعاقب بالضرب ، ولا تعترض عندما يتزوج زوجها بالثانية والثالثة ، فتعدد الزوجات يقره الشرع والعادات والتقاليد والدولة ، ولا يؤخذ رأيها حتى في أولويات حقوقها في الرجل الذي سوف تتزوجه ولا يؤخذ رأيها في زوج ابنتها ولا زواج ابنها ، ليس لها رأي أو تدخل في أي شيء إلا إذا كان يتعلق بالرضيع أو شئون المنزل أو الطعام أو زراعة الحقل الخاص بها ، أما في غير دلك فهي لا وجود لها .

لابد من برنامج توعية للمرأة في مالي وخاصة في القرى ، لابد من توعيتها بحقوقها وواجباتها وتوعيتها بأمور الدين الإسلامي الصحيح وأحكامه لكي تستطيع الحفاظ على

حقوقها وكرامتها ، حقوقها في أن تتعلم وتعلم ابنتها وتصر على تعليم الابنة حتى لا تصبح مثلها ، هذه الفتاة الصغيرة إذا نالت القسط الوافي من التعليم والتوعية بأمور الدنيا والدين فسوف تصبح زوجة وأماً صالحة ليس لأسرتها فقط وإنما للمجتمع ككل .

أثر الإسلام فى التنشئة الاجتماعية فى البمبارا :

كافة الدراسات العلمية والبحوث في مجال العلوم التربوية تؤكد ما للقيم الإسلامية من أثر فاعل في عملية التنشئة الاجتماعية فالقيم هي التي ترسم وجهة السلوك وتحدد إمكانات التفاعل فهي مكمن قوة وشدة السلوك السوي، وهي تطبع الإنسان على عناصر الحضارة، فالحضارة لا تنطلق إلا وتحددها مجموعة من القيم وهي أسلوب الحياة المتصل بالدين، فإن تربى الفرد في بيئة تقية نقية عرف الورع، وعمر قلبه بالإخلاص، ونفسه بالأثرة، وسلوكه بالاعتدال، وعقله بالوعي، وكلها أسس سليمة من معطيات الدين الحنيف ، حيث أن الدين الإسلامي دين هداية للبشرية جمعاء، ففيه الخير والصلاح، فإن تمسكت به البيئة الطبيعية للطفل «الأسرة وتوابعها وما يحيط بها» واستقامت عليه، فحتما ستبلغ ما أرادته في تربية أطفالها .

وعملية التنشئة الاجتماعية في منهج الإسلام متعددة الأبعاد ومن أهمها: الاحترام المتبادل بين الأفراد، ومراعاة المصلحة العامة، والتكامل والتعاون بين أفراد المجتمع، والولاء والانتماء لأمة الإسلام، والقدوة الحسنة من جانب الكبار للصغار ولهم جميعاً في الرسول العظيم محمد صلى الله عليه و سلم الأسوة الحسنة والقدوة الصالحة مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ الأحزاب:٢١، ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [٢٨ سبأ].

لقد اهتم الإسلام اهتمامًا بالغًا بالطفولة باعتبارها صانعة المستقبل المنشود للأمة ونجد ذلك واضحًا في الآيات القرآنية الكريمة، مثل: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [سورة الكهف آية: ٤٦].

﴿وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴾ [سورة الإسراء : ٦].

وتبرز أهمية السنة النبوية بموضوع الأطفال والطفولة وخاصة المتعلق بالتنشئة

الاجتماعية منذ اختيار الزوجة الصالحة ومرورًا بتسمية الطفل باسم حسن والاهتمام برعايته وإرضاعه والحرص على بناء شخصيته في جوانبها الاجتماعية والنفسية والفكرية والأخلاقية.

هذه القيم السامية التي جاء بها الإسلام لاتدانيها شريعة أخرى في القوانين الوضعية، فمنهج الإسلام يقوم على الوسطية والاعتدال دونما إفراط ولا تفريط.. ودونما إسراف ولا تقتير ودونما عسر في التكاليف ونجد أن اليسر في كل شيء.

نرى تأثير الإسلام فى التنشئة الاجتماعية واضحاً عند قبائل البمبارا منها :

الإسلام والأسرة والزواج عند البمبارا

عندما جاء الإسلام بتعاليمة لاقى قبولا مع عادات وتقاليد البمبارا ، فقد حث الإسلام على أهمية الأسرة والزواج وتربية الأطفال وقد أولى الأسرة أهمية كبيرة فى تربية الطفل وأهمية المرأة ويعمل الإسلام على الترابط الأسرى ، وهذا ما يدعوا الية البمبارا فهم يهتمون الأسرة والزواج وتربية الأطفال، الإسلام هنا يتماشا مع التقاليد والمعتقدات التقليدية ، وأيضا فى مسالة تعدد الزوجات فهى من العادات والتقاليد عند البمبارا أكثر منها شرعاً وتدخل الإسلام فقط فى تحديدها بأربع زوجات يمثل الزواج وتكوين الأسرة لدى البمبارا أهمية كبرى سواء تقليديا أو إسلاميا.

يكون الاختيار للزوج في البمبارا من قبل العائلة ، أي أن العائلة هي التي تقوم بترشيح الزوجة المناسبة والتي يقبلها الابن دون مناقشة ، ويحكم الإسلام بقوة قواعد هذا الزواج ، ولكن في هذا المجتمع تكون المرأة أقل اعتمادا علي ، الزوج بل العكس فإن الأزواج هنا هم أكثر اعتمادا على زوجاتهم . فالزوجة تقوم بأعباء كبيرة في ترابط الأسرة وعليها العناية بالصغار والعناية بأفراد الأسرة وخاصة في ظل نظام الأسر الممتدة ومن الممكن أن تصل الأسرة الواحدة إلى خمسون فرداً أو أكثر في منزل واحد وخاصة في القرى والزوجة أيضا تساعد زوجها في الزراعة بالإضافة إلى زراعة الحقل الخاص بها[1] كما سبق.

(1)Encarta Interactive world Atlas . customs of Mali 8 – 12 – 2008

ولا يزال نظام تعدد الزوجات هو الشكل السائد ، ولكن الفرق هنا أنه طبقا للشريعة الإسلامية، ولكنها أقل استعمالا الآن بسبب كثرة الأعباء الاقتصادية ، بالإضافة إلى أن النساء في المدن بدأت يرفض هذه العادة ورفض وجود زوجة ثانية أو ثالثة أو رابعة إلا أن مازال هذا النظام سائدا عند البمبارا وخاصة في حالة عدم إنجاب ذكور ، ومن أسبابه أيضا أن المرأة الحامل تمتنع عن زوجها من الشهر السادس للحمل إلى سن فطام الصغير ، وهذا يؤدي إلى تعدد الزوجات ، لأن الزوجة تمتنع عن زوجها مدة لا تقل عن عامين أو أكثر اعتقادا منهم بأن اللقاء الزوجي يضر بالحمل ثم بعد ذلك يضر بلبن الصغير ، هذه عادات قبل الإسلام وبعده

والزواج هنا له أهمية كبيرة ، حيث أن العائلات تزداد كبرا بسبب الزواج وبسبب الإنجاب وذلك لأن وجود أطفال كثيرين يجعلهم يقدمون المساعدة الأكثر لآبائهم، كما أن آباءهم يأملون في ذهابهم إلى حقول العمل بدلا عنهم عندما يتقدم بهم السن .

إن طقوس الزواج هي أهم الطقوس في الدورة الحياتية ، ويترتب عليها العديد من الاحتفالات والكثير من التجهيزات ، وقد يستمر كبير الأسرة في إعداد الزواج للشاب منذ صغره ، لأنه يتطلب نفقات كثيرة وعالية من جانب الزوج والزوجة والأسرة والأصدقاء ، إلى جانب تقديم الهدايا العينية أو المادية من أسرة العريس إلى أسرة العروس مما يشكل مزيداً من الضغط المالى علي العريس وأسرته(١) .

ولابد أن يمر الاحتفال بالزواج بالطريقتين التقليدية والإسلامية وخاصة في القرى كما سبق ، أما في المدن فأنهم يفضلون الزواج المدني أي الإسلامي ، فقط ويرجع ذلك إلى خفض نفقات الزواج ، لكن من لديه الإمكانات المادية عليه أن يحتفل بالزواج على الطريقتين التقليدية والإسلامية ، أما في القرى فلابد من الطريقتين .

الإسلام والمرأة في البمبارا :

في إطار المبادئ التي دعا إليها الإسلام من الديمقراطية والمساواة فقد رفع الإسلام من شأن المرأة وغير النظرة التي كانت تنظر إلى المرأة في ثقافات وأديان ومجتمعات

(١)http://www.everyculture.com / Ja.Mali.htm 27-1-2009

أخرى . نجد أنه برغم الدور التي كانت ومازالت تقوم به المرأة إلا أن النظرة إليها قديما كانت متدنية وينسب إليها بعض الأخطاء أو الأعمال المنافية للإنسانية ، نجمل بعض هذة الأخطاء القديمة التي كانت تنسب إلى المرأة ورد الإسلام عليها :

١- لم يكن لإنسانية المرأة موضع اعتبار لدى الرجل فلم يكن لها دور معلوم تسهم به في تنظيم المجتمع وقد هبط بعضهم بها حتى كانوا يتدارسون فيما بينهم : هل المرأة إنسان له روح أو هي حيوان نجس لا روح له؟ هذه النظرة كانت موجودة في الصين القديمة حتى كتبت إحدى سيدات الطبقة الراقية تقول « نشغل نحن النساء ، آخر مكان في الجنس البشرى ، ويجب أن يكون من نصيبنا أحقر الأعمال»[١] .

٢- أنها لم تكن لدى كثيرين أهلا للتدين والتخلق بالفضيلة كما ذكر في أساطير مانوفي الهند « عندما خلقت النساء فرض عليهن حب الفراش والمقاعد والزينة والشهوات الدنسة والغضب والتجرد من الشرف وسوء السلوك ، فالنساء دنسات كالباطل ، وهذه قاعدة ثابتة » وكانت المرأة بناء على ذلك تخاطب زوجها في خشوع قائلة يا مولاي ، وأحيانا يا إلهي وتمشي خلفه بمسافة ، وقلما يوجه لها هو كلمة واحدة طيبة»[٢] .

٣- انعدام المساواة بين الابن والبنت في نطاق الأسرة كما كان موجوداً عند العرب القدماء وقدامى الصين وانعدامها أيضا بين الزوج والزوجة كما هو في الهند ، فقد كان العرب قبل الإسلام يئدون البنات .

٤- إهدار شخصيتها القانونية أو أهليتها للتصرف الاقتصادي ، فهي غالبا كانت لا تملك ولا ترث، ولم يكن لها دور في بيع أو شراء أو أي شئ من الشئون الاقتصادية والاجتماعية .

إذا أجملنا هذه الأخطاء نجد أن السبب الرئيسي لها هو النوع (أنوثة المرأة) بالإضافة إلى أن مقتضيات الحياة البدائية كانت السبب الأساسي لهذه الأخطار ، ولقد كان من حكمة الإسلام وأصالته أنه حين عرض لتقرير مكانة المرأة في الحياة أعلن إنسانيتها التي تستوي فيها مع الرجل كما أعلن وصفها الخاص الذي تنفرد به عن الرجل

(١)البهي الخولي الإسلام وقضايا المرأة المعاصرة ، ط٣ ، دار القلم ، كويت ، بدون سنة نشر ، صـ ١٠ .
(٢)المرجع السابق ، صـ ١٥ .

باعتبارها أنثى .

كما يشير إلى المرأة ومكانتها بالنسبة للرجل ما ذكره توماس جيفرسون ، أن هذه المكانة متدنية عن مكانة الرجل وأنها أي المرأة لابد أن تكون في خضوع لما يريده الرجل عقابا لها عما ارتكبته حواء في الماضي عندما أخذت بنصيحة الثعبان وتناولت الفاكهة المحرمة لأن آدم وجميع الرجال من بعده ينظرون للمرأة على أنها السبب في النزول إلى الأرض .

نجد أيضا Dan Agbese in The Nigerean outlook وهي نظرة نيجيرية مسيحية تنادي بإسكات النساء في الكنائس قائلة : دعوا النساء تسكتن في الكنائس لأنه ليس مسموح لهن أن يتحدثن لأنهن ذليلات ، بينما يبقيا القانون على ذلك فإذا كانت النساء ترغب في أن تتعلم شيئاً فإن عليهن أن يسألن أزواجهن في المنازل ، لأنه من المخزي أن تتكلم النساء في الكنائس(١) .

أما سيمون ديبوفوار عام ١٩٧٤م فقد ذكرت أن المرأة اتجهت في الأعوام الأخيرة إلى الدراسات العليا وهذا يشير إلى التحول والتغير بعد الرؤية القاصرة من الرجال نحو النساء ، تلك النظرة التي كانت سائدة في معظم الثقافات ، ولكن الإسلام مختلف عن معظم الأديان والثقافات الأخرى من حيث التركيز على السلوك القويم من المرأة وتوفير الحماية للمرأة من الأزواج والأغراب ، حيث أن ثلث التعاليم القانونية في القرآن تتناول المرأة والأسرة في المزارع والحقول وملكيتها أرض تزرعها باسمها « هذه الأرض التي تزرعها باسمها هي عبارة عن بستان قريب من المنزل تقوم المرأة بزراعته لاستكمال متطلبات الغذاء حيث أن رب الأسرة لا يهتم إلا بزراعة الحبوب وأساسيات الطعام فقط أما باقي احتياجات الأسرة من طعام فتقوم الأم بتدبيره بمعرفتها وعلي نفقتها ويجهودها ، ويتم ذلك في زراعة بستان صغير قريب من المنزل » هذا بالإضافة أيضا إلى مساعدة الزوج في زراعة الحقل الكبير كما سبق .

أن المرأة في مالي والبمبارا لديها دخلها الخاص تستخدمه وقت الاحتياج . ففي

(١) Barbara Callaway & Lucy Creevey (1994) » The Heritage of Islam : women ، Religion ، and Politics in West Africa ، P. 29 -35

موسم الجفاف تذهب النساء إلى الأراضي المتميزة التي بها محاصيل وتعمل مقابل أجر على جمع المحاصيل والزراعة في هذه القرى وتعود بالعائد وتدخره إلى وقت الاحتياج ، هذه العوائد توفرها المرأة من أجل شراء المواشي اللازمة في أعمال الفلاحة وكثير من الزوجات يبيعون الأقراط من أجل شراء المواشي ، إذا كانت الزوجة من أسرة مرموقة فإنها تمثل الدخل الكبير لمنزل الزوج .

ونظراً للأهمية الكبيرة للمرأة في مالي والبمبارا وخاصة في القرى نجد أن المجتمع يتعرض لأزمات كثيرة في حالة وفاة المرأة . لاسيما عندما تكون المرأة المتوفاة هي الوحيدة القادرة على العمل ، والصعوبة الأكبر إذا كانت الأسرة فقيرة وليس لديها أبناء ذكور أو أن يكون كل أبنائها إناث صغيرات لا تستطيع العمل في الحقل والزراعة وعملهن داخل المنزل فقط .

تظل الأسرة وحدة متماسكة وشديدة الارتباط بعضها ببعض طالما أن الزوجة موجودة ولديها أبناء من الذكور والإناث أو من الذكور فقط وفي حالة عدم وجود إناث فإن الزوجة تستعير إحدى البنات من الأسرة لمساعدتها ولكن في حالة عدم وجود الأبناء يتزوج الأب مرة أخرى .

ما تزال المرأة في البمبارا شأنها شأن كثيرات في إفريقيا تخضع وتتحكم فيها العادات والتقاليد الموروثة عن الآخرين ، وإن كانت تلك العادات مزيجا بين ما هو قديم وجديد ، ديني ولا ديني ، قومي أصيل ومستورد دخيل ولا اعتبار للمرأة إلا إذا انتظمت في سلك تلك العادات وتمثلتها وخضعت لها وأسلمت لها الأحاسيس والمشاعر ، كيف لا وهي نشأت عليها ودرجت عليها ، لذلك تراها لا تثور إذا عدد زوجها عليها الزوجات بلا حدود أو إذا لم يشاورها في أمر من أمور الأسرة أو إذا انتقلت ميراثا للابن الأكبر بعد موت أبيه مادامت العادات والتقاليد تقضي بذلك[١] .

وقد سألت أحد الإخباريين وهو متعلم عندما أخبرني : بتعدد الزوجات هل الزوجة لا تعترض أو تثور أو تغضب من ذلك التعدد ؟ فأجابني : هل لها أن تعترض على التقاليد ؟، فتعترض أو تغضب ولكن ليس أمامها في النهاية إلا الموافقة ، هذه عاداتنا وتقاليدنا .

(١)السيد / شيرتو هادي عمر تيام ، الإسلام في الدولة العلمانية مالي ، مرجع سابق ص ص ٥٩ – ٦٨ .

إن المرأة البمبارية محاصرة ومكبلة بالتقاليد والعادات، ولا سبيل للخروج منها إلا بوعي قومها والمجتمع المحيط بها وتوعيتها توعية إسلامية صحيحة تتيح لها ممارسة حقوقها الإنسانية الإسلامية المهضومة، لأن الإسلام جاء إلى إفريقيا وتمكن من بعض مناطقها منذ زمن بعيد ولكن تمكنه كان ولا يزال في العبادات لا غير، أما تنظيم العلاقات الاجتماعية والحكم فإن تمكن الإسلام في هذين المجالين ضئيل جدا إلا ما كان أحوالا شخصية من عقد نكاح أو عقيقة أو طلاق.

جاء الإسلام إلى البمبارا والناس على عادات وتقاليد ولهم طقوس ورثوا بعضها عن الآباء والأجداد وبعضها من الطبيعة الاجتماعية، فلا يرون بها بأسا، بل يفتخرون بها ويحافظون عليها لأنها من التركة

نذكر من هذه العادات :

بالإضافة إلى ما ذكرنا من تعدد الزوجات، أو السماح للرجل بجعل زوجة الأب غير الأم زوجة للابن بعد موت الأب، يوجد أيضا في كل جنوب مالي كثير من الغابات المقدسة هذه الغابات ممنوع على النساء دخولها وكذلك ممنوع فلاحتها أو قطع أشجارها، هذه الغابة موجودة في شرق سيقو وهي المحافظة الثالثة في مالي، وموجود مثلها منتشر في جنوب مالي كلها ولها نفس الدرجة من القدسية.

أما عن عمل المرأة وخاصة النساء القرويات كما هو قبل الإسلام وبعده فأن ساعات العمل تصل إلى ١٧ ساعة في اليوم بالإضافة إلى الاعتناء بشئون الأولاد من إرضاع وتربية، فيقول الشيخ شيرنو هادي عمر تيام « لولا النساء لمات الرجال عندنا جوعا، لأن المنتجات الزراعية من عرق جبين النساء »[1] وحقوق المرأة عند هؤلاء القرويات تنحصر في الحق في الزواج وإنجاب الأطفال وتربيتهم والحق في العمل.

في مجال التعليم : -

كان للإسلام أثرا واضحاً في التعليم وخاصاً للأطفال والتحاقهم بالكتاتيب لتحفيظ القرآن الكريم ومدى حرص الآباء على ذلك ولا يتم إلحاقهم بالمدارس النظامية، فأن قبائل

(١)المرجع السابق صـ٦٢ .

البمبارا تفضل أن يتعلم الطفل التعاليم الإسلامية (فقه وأحاديث وحفظ قرآن) على التعاليم النظامية ، علما بأن هذا التعليم الذى يتم فى الكتاب ليس من اجل شهادة ، فهو من اجل العلم والمعرفة فقط . هذا ما زال يتبع إلى الآن فى التعليم فى قبائل البمبارا وغيرها فى القرى حيث أن التعليم مختلف فى القرى عنه فى باماكو العاصمة كما أوضحنا سابقاً .

وإذا نظرنا إلى أثر الإسلام فى التعليم عاماً فى دولة مالى نجد أن المدارس العربية احتلت مكانة كبيرة في النظام التعليمي فقد كانت نسبة التلاميذ في مالي في هذه المدارس عام ١٩٩١ حوالي ١٤ ٪ من التلاميذ المسجلين في النظام التعليمي في مراحل الابتدائي والإعدادي والثانوي ، وهذا في وقت وصل فيه التعليم الفرنسي في مالي مكانة كبيرة بالإضافة إلى مكانة اللغة الفرنسية كلغة رسمية للدولة .

وقد اتجهت السلطات منذ الثمانينات إلى إجراء إصلاحات في المدارس العربية لتواكب التعليم العام وذلك بوضع مناهج مشتركة تقسم العلوم الدينية والعربية إلى جانب العلوم الاجتماعية والعصرية مثل الرياضيات والفيزياء والكيمياء حتى يستطيع من يحصل على الشهادة الإعدادية أو الثانوية من التلاميذ أن يتحول إلى التعليم العام لمواصلة دراسته في أحد التخصصات .

وكان نتيجة ذلك افتتاح قسم للغة العربية في مدرسة المعلمين بالعاصمة باماكو منذ عدة سنوات ، وقد تخرج منه أعداد لا بأس بها من الطلاب الماليين الذين نالوا فرصة متابعة تعليمهم في الدول العربية ، مما سيكون له أثر إيجابي في ازدهار الثقافة العربية والإسلامية واحتلال الإسلام لمكانته اللائقة سواء على الصعيد الثقافي أو الاجتماعي[(١)] .

وقد استطاعت الباحثة أن تقيم مقابلات مع بعض الطلاب الماليين ، المقيمين في مصر للدراسة وبالتحديد في جامعة الأزهر بكلياتها المختلفة التربية والتجارة وغيرها ، وحظيت الباحثة بفرصة الاحتفال معهم بعيد الأضحى المبارك في سفارة مالي بالقاهرة . حيث يصل عدد البعثة الطلابية في القاهرة تقريبا ١٥٠ طالباً في مراحل مختلفة من التعليم الجامعي بالإضافة إلى أبناء العاملين بسفارة مالي في مصر فإنهم يدرسون في المدارس المصرية (الخاصة) .

(١) إبراهيم انجاي « الإسلام في دولة مالي » ، مرجع سابق صـ ٣٢ .

التحديات الحالية التي يواجهها الإسلام :

يشهد الإسلام في مالي في الوقت الحالي تحديات عديدة ، منها ما يرجع إلى الاستعمار ومنها ما يرجع إلى الإسلام نفسه .

فأما الذي يرجع إلى الاستعمار فهو ازدواجية الثقافة الإسلامية والفرنسية والغزو الفكري الغربي[(١)] أما بالنسبة لازدواجية الثقافة الإسلامية والفرنسية ، فإننا نجد أن الثقافة الإسلامية يرجع انتشارها في مالي إلى بداية انتشار الإسلام نفسه كدين وحضارة ، وقد تمثل التأثير الثقافي للإسلام في تطور التعليم الإسلامي والعربي في مالي قديما وحديثا ، ومنذ أن سعى المستعمر الفرنسي إلى نشر ثقافته وتشجيع أبناء البلاد على التمسك بها ومحاولة القضاء على الإسلام وثقافته بدأت المنطقة تشهد ازدواجية الثقافة ، واستمر هذا الوضع بعد الاستقلال حيث كان على أبناء المسلمين أن يتزودوا بالثقافة الفرنسية حتى يضمنوا لهم أماكن بين الصفوة وكاد هذا الوضع أن يؤدي إلى صراع ثقافي بين أبناء الدولة أنفسهم ، إلا أن الإصلاحات الأخيرة في التعليم العربي الإسلامي أتيحت فرصة لاستيعاب منجزات الثقافة الغربية عامة دون الإخلال بالجانب الإسلامي[(٢)] .

لقد أخبرني الطلبة المقيمون في القاهرة أنه كان لزاما عليهم لكي يلتحقوا بالتعليم الثانوي الذي هو بوابة الدخول إلى الجامعة أن يدرسوا عاما باللغة الفرنسية قبل التحاقهم بالثانوي ، ذلك لأن دراستهم السابقة كانت دراسة إسلامية باللغة العربية.

أما قضية الغزو الفكري العربي فهي ملتحقة بازدواجية الثقافة ، وهو من أخطر التحديات التي تواجه الإسلام على مستوي العالم ، وآن آثار هذا الغزو الفكري ما يتردد بين الجهة والأخرى من صيحات التنكر لبعض المبادئ الإسلامية كأنها نزلت لتوها وليس منذ أربعة قرنا ، ولعل أخطرها مطلب رجع به الوفد النسائي الذي مثل مالي في مؤتمر بكين ١٩٩٦ وهو « المساواة في الميراث بين الرجل والمرأة » ومطلب آخر هو « إلغاء عدة المرأة التي يتوفى عنها زوجها » ولكن استطاع ذوو العقول النيرة أن يتصدوا لمثل هذه المخاطر حتى الآن ، إلا أن الأمر يحتاج جهداً مضاعفا من الذين يشعرون

(١)المرجع السابق ص ص_٣٢١ - ٣٢٣ .

(٢)أخباريين .

بالمسئولية أمام الله وتجاه دينهم وشعبهم .

أما التحديات الأخرى من الإسلام نفسه فهي انتشار المذاهب الإسلامية في مالي ، فمالي على المذهب المالكي منذ دخولها الإسلام ، ولكن في السبعينات بدأت تظهر الوهابية (نسبة إلى محمد بن عبد الوهاب في السعودية) وهي تأتي بمفاهيم جديدة عن المسائل الفقهية تخرج عن المألوف عند المسلمين في مالي وهي عن الصلاة والزكاة وأركان الإسلام الأساسية ، ولم يقتصر الأمر علي المجادلة ولكن وصل الحد إلى تكفير بعضهم بعضا ، بالإضافة إلى ظهور الشيعة أيضا وهو ما ينذر بخطر جديد وتحد للإسلام نفسه، وهذا الأمر يؤدي إلى الشقاق بين المسلمين ولا يستبعد قيام مصادمات وأعمال عنف من شأنها أن تضعف من موقف الإسلام ذاته(١) .

ورغم التحديات التي يواجها الإسلام في الوقت الراهن إلا أن هناك مؤشرات تدل على أن مستقبل الإسلام في مالي يدعو للتفاؤل ، فمنذ سنوات برزت عدة ظواهر معينة تؤكد أن الإسلام سوف يكون له شأن في المستقبل.

ثم أن ظاهرة الجمعيات الإسلامية بدأت تتزايد في السنوات القليلة الماضية ومن أنشطتها نشر الوعي الإسلامي الصحيح بين أفراد الشعب ، والتصدي للهجمات الموجهة ضد الإسلام مثل جمعية عباد الرحمن ، الجمعية المالية للشباب المسلم ، جمعية خريجي المعاهد المصرية .

فلقد تخرج عدد كبير من الطلاب الماليين من الجامعات والمعاهد في البلاد العربية المختلفة وانخرطوا في أنشطة التوعية الدينية .

اتجاه عدد كبير من طلبة كليات التعليم الجامعي العام في مالي وإقبالهم على التمسك بالدين والسعي للنزول بالعلوم الإسلامية من المصادر التي توفر ذلك باللغة الفرنسية حتى يكون لهم فهم صحيح للإسلام وتشير في ذلك إلى طلبة كلية الطب .

أفاد كثير من أعضاء النخبة عامة الشعوب خاصة الذين لم ينالوا حظا وافراً من التعليم الإسلامي حيث حرصوا على الاهتمام بالندوات التي تنظمها الجمعيات

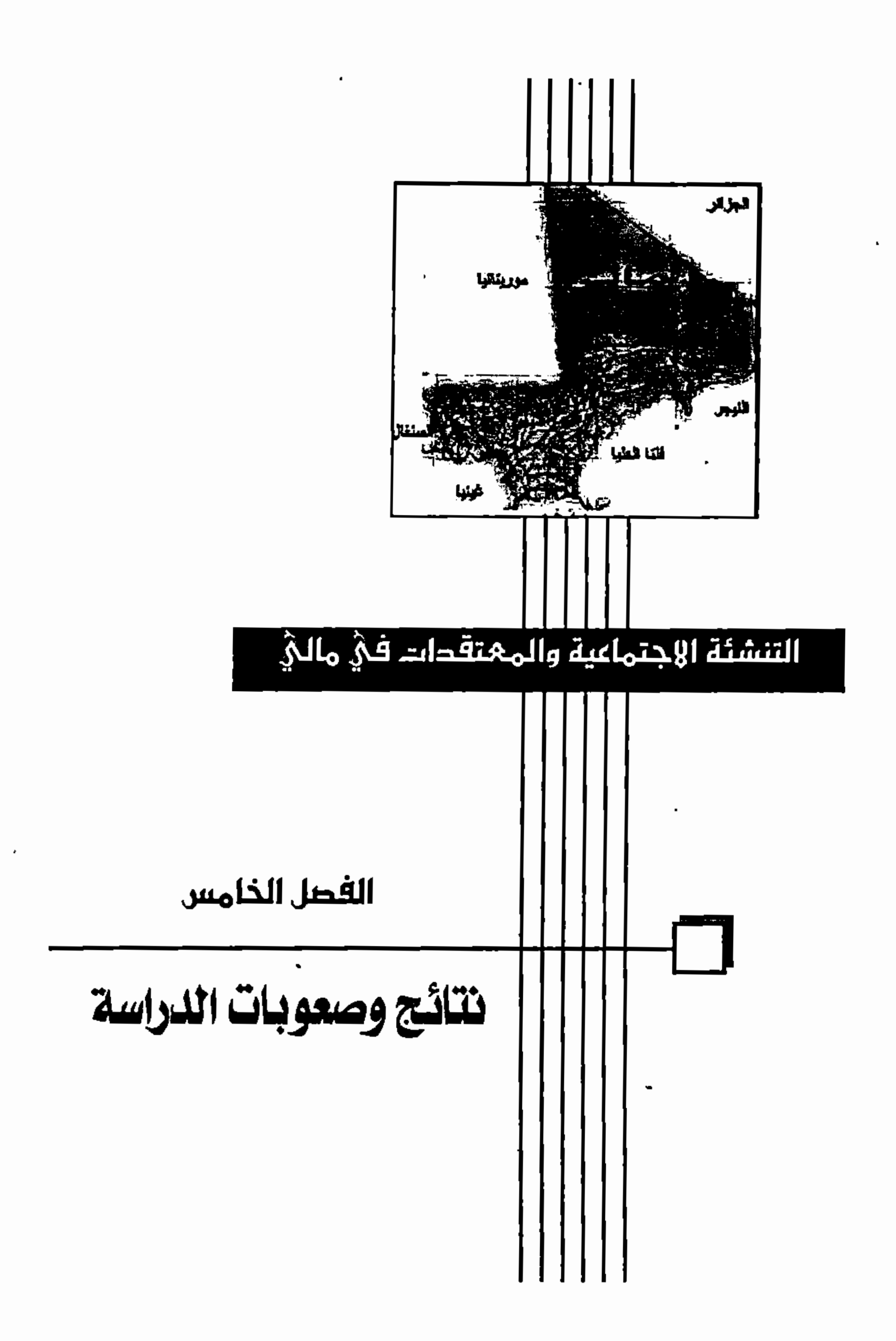
(١)المرجع السابق صـ ٣١٢ .

الإسلامية لتوعية المسلمين إلى جانب اهتمامهم بالاطلاع على مصادر العلوم الإسلامية باللغة الفرنسية(١) .

هذه مؤشرات تؤكد أن الإسلام كدين للسماحة والإخوة والتضامن لم تتغير مكانته في نفوس أفراد الشعب المالي وإن كانت هناك بعض الظروف التي أثرت في مكانته في بعض الفترات على الصعيد الثقافي .



(١)الشيخ شيرتو هادي عمر تيام ، الإسلام في الدولة العلمانية مالي ، مرجع سابق ص ٧٥.



التنشئة الاجتماعية والمعتقدات في مالي

الفصل الخامس

نتائج وصعوبات الدراسة

نتائج الدراسة

* من أكثر السمات المميزة لمجتمع البمبارا كمجتمع قبلى هو تمسكه بالعادات والتقاليد فى الحياة الاجتماعية ، والعمل على انتقال هذه العادات إلى الأجيال تباعاً ، ومن العوامل التى ساعدته على ذلك أنه مجتمع مغلق فى دولة حبيسة حيث موقع مالى جغرافيا أنها دولة حبيسة هذا ساعد قبائل البمبارا على الحفاظ على التقاليد والعمل على انتقالها عبر الأجيال .

* أما عن الوضع الدينى لقبائل البمبارا فهم يجمعوا بين الإسلام والديانة التقليدية بالرغم من أن المجتمع فى مدينة سيجو وقرية سيكورو هو مجتمع إسلامى يوجد نسبة ضئيلة جدا من الديانة التقليدية لا تتعدى ٥٪ من سكان سيجو ولكن لا تستطيع الفصل بينهم أن هذا مسلم وذلك تقليدى كلهم أبناء البمبارا لا يميز بينهم إلا أن المسلم يتلقى التعاليم الإسلامية فى الكّتاب وتحفيظ القرآن ، الديانة التقليدية والدين الإسلامى جنباً إلى جنب فى مجتمع البمبارا ، يأخذ المسلم من الديانة التقليدية ما يتمشى مع الإسلام ، أى يتم تطويع الديانة التقليدية لتتماشى مع الإسلام والعكس أيضاً، ذلك لأنهم ينظرون إلى الدين التقليدى على أنه جزء لا يتجزأ من العادات والتقاليد وهذا أشد ما يتمسكون به .

* تلعب المعتقدات والممارسات الدينية دوراً بالغ الأهمية فى التنشئة الاجتماعية عند قبائل البمبارا فى مالى ، بدءً من الزواج وتكوين الأسرة حيث يسود نظام تعدد الزوجات وفقاً للديانة التقليدية لكنها حددت وفقاً للشريعة الإسلامية بعد دخول الإسلام . كما أن الزواج يتم بالطريقتين الإسلامية والتقليدية ولا يهم الفرق الزمني بين المرحلتين وبعض الأسر يتم فيها المرحلتين في يوم واحد والبعض الآخر يحدد لكل مرحلة ميعاداً .

* وتتميز التنشئة الاجتماعية فى مجتمع البمبارا والمجتمعات المشابهة ، أنها تهدف إلى أن يقلد النشيء عادات مجتمعاتهم وطراز حياتهم ، فالطفل عندهم يتدرب على الأعمال التي تمارسها الأسرة كأعمال البيت وصناعة الأدوات الضرورية والرعي والزراعة ، ويعتبر هذا تدريبا آليا تدريجيا على عادات معتقدات الأسرة الاجتماعية .

* وقد ارتبطت تربية الطفل بالمعتقدات الدينية بشكل كبير ، حيث يشترك فى ذلك

ثلاثة خصائص متمثلة في الإله (الدين) والطقوس واللغة والمجتمع بأسره ، وتتمثل عملية تنشئة الطفل في عمليات التمثيل والرقص والتقليد التي يقوم بها الصغار محاكاة للكبار ويتم ذلك أثناء لعب الصغار مع بعضهم البعض ، وهو ما يسمى بالتربية غير المباشرة .

* وتتداخل الممارسات التقليدية وتربية الأطفال ، منذ بداية الزواج والحمل حيث ما زالت التقاليد المتعلقة بتغذية الحامل ومحرمات بعض الأطعمة ، على الرغم من فائدة هذه الأطعمة بالنسبة لصحة الأم والطفل ، إلا أنها تعد من المحرمات ويلتزمون بتحريمها ، كما أن الممارسات التقليدية في عملية الولادة مازالت مستمرة و الاعتماد على القابلات ، ويقوم الأقارب بدور حاسم في المساعدة على إيصال الطفل إلى العالم الخارجي. كما نجد طقوساً للوليد تلي الولادة مباشرة وهي مظاهر دمج الوليد بجماعته التي ينتمي إليها . ثم طقوس أخري وتدريبات على العمل وقت بلوغه سن العمل ، وإن كان هذا السن في مجتمع بمبارا سن مبكرة جدا ، ولا بد من تدريب الطفل على العمل والخروج به من كنف النساء إلى أن تأتي طقوس أخرى في سن البلوغ ، وهذه الطقوس تغير حياته وتعتبر ولادة جديدة بالنسبة له ، وتكون هذه الطقوس مراقبة من كبير العائلة، وهو في النهاية المحافظ على المعتقدات والطقوس التقليدية.

* أيضاً ترتبط حالات الإجهاض أو موت الأطفال بعد الولادة بالمعتقدات الدينية والسحرية حيث يرجعونها إلى الأعمال السحرية ، بالرغم من أن السبب الرئيسي نقص البروتين وهو ناتج عن سوء التغذية وعن تحريم بعض الأطعمة .

* كما أتضح دور الأمهات والإخوة والأخوات وكبار السن في المقام الأول من تقديم الرعاية سواء في المدن أو الريف مع ملاحظة أنه في المدن بدأت الأمهات في استخدام المربيات ولقد أدى ذلك إلى زيادة تسجيل الفتيات في المدارس وانخفض دورهن كوسيط للأطفال برغم دورهن المهم في الحفاظ على الطفل من المخاطر ، تلك الرعاية التي توليها الأخت الكبرى لأخيها الصغير بعد اهتمام الأم .

* إقبال الأمهات على الرضاعة الطبيعية وخاصة في الريف وقرى البمبارا في سيقو وأن سن الرضاعة يمتد إلى ثلاث سنوات ، وأنه ما زال هناك تباعد بين الزوجين من

أشهر الحمل الأخيرة إلى نهاية الرضاعة ، وهذا يؤدي بالطبع إلى التباعد بين الولادات ، ولكن لوحظ أن هذه المدة قلت كثيرا ذلك لمعرفتهم الرضاعة الصناعية وأصبح عندهم وعي في العاصمة أنه لم يعد هناك محرمات ضد المرأة في الحمل والرضاعة الطبيعية ، وأصبح الوعي أن المرأة عندما تكون حاملاً توقف الرضاعة الطبيعية ، وبذلك تقصر المدة الزمنية للطفل الذي يتلقي اللبن من الأم مع ملاحظة أن هذا يحدث في باماكو العاصمة فقط .

* هناك رابطة شديدة بين الأم والطفل تتمثل في التغذية من خلال الرضاعة والاستحمام وهو صغير وملازمة أمه في السنوات الأولى حتى وقت عمل الأم سواء في المنزل أو الزراعة ، فهو مربوط على ظهرها وأثناء النوم يلازمها وتنام بجواره ، ثم ينتقل بعد ذلك إلى رعاية الأشقاء ، في حالة عدم وجود لبن الأم أو ضعفه تحدث سوء التغذية لأنه لا توجد أطعمة مناسبة للأطفال الرضع التي تحل محل لبن الأم أو تكمل النقص الغذائي لديهم ، أي لا توجد أطعمة الفطام لذلك نجد أن نسبة الوفيات تزداد في المرحلة العمرية من ١٢ – ١٤ شهر

* بعض المعتقَدات حول المرض ما زالت موجودة وخاصة من حيث العلاج واستخدام الأدوية الغربية كما يقولون عليها والرعاية الطبية تعتمد على مدى سهولة الحصول عليها أو صعوبتها أما الأسر الريفية البعيدة عن الحضر فهي تعتمد على الأدوية التقليدية والطب الشعبي ، لكنهم يلجئون إلى الوحدات الطبية والمستشفيات حين تفشل الممارسات التقليدية فى العلاج .

ويرتبط تطعيم الأطفال أيضاً بالممارسات الدينية التقليدية ، فبرغم الرجوع إلى الوحدات الصحية لأخذ التطعيمات المناسبة للطفل إلا أنهم يرجعون إصابة الطفل بالحصبة أو الجديرى إلى السحر والعين الشريرة .

بعد أن يصل الطفل إلى سن الخروج من المنزل يتدرب على العمال الخاصة بالزراعة والرعي وشحذ الأدوات وصقلها ويكون ذلك من قبل الأب ، وعندما ينضج المحصول ويحين وقت الحصاد ينتقل إلى الحقل ليخيف الطيور ويمنعها من إفساد المحصول ، أما الفتاة فلها أن تتعلم كيف تراعي الصغار وكيف تهتم بشئون المنزل

وجمع الحطب من الغابة وجمع الفاكهة وتتعلم بعض الصناعات الصغيرة مثل السلال وصنع أواني الفخار ولها دور أيضا في وقت الحصاد من تنقية الحب وطحنه وخبزه ، وتكون مهمة التلقين هنا من جانب النساء .

* يتحمل الطفل في مجتمع البمبارا مسئولية تجاه أسرته في العمل فنجده في سن عشر سنوات يتحمل مسئولية الزراعة بنفسه ، نجده يحمل الفأس ويعمل عمل الآباء والكبار ، أما الطفلة الأنثى فتقوم بالأعمال التى تقوم بها النساء فى سن الطفولة .

* ويعد دور المعتقدات الدينية فى التنشئة أكثر وضوحاً فى سن المدرسة حيث لا يوجد اعتراف بالنظام المدرسي الرسمي ،كما أنه لا يوجد سن موحدا للالتحاق بالمدارس بل يوجد الإقبال الشديد على التعليم القرآني وعلى التعليم الديني وخاصة في الكُتاب أكثر من ذلك :

فإن كلمة تعليم أو دراسة مرادفة للتعليم الديني الإسلامي والعربية.

كما أن هناك فجوة بين رغبة الأهالي في هدا التعليم ومتطلبات الدولة والحكومة في التعليم ، حيث أن لغة الدولة الرسمية هي الفرنسية وبالتالي فإن الوظائف والتعليم الجامعي من نصيب من يحصل على تعليم فرنساوي أو يتقن الفرنسية وهذا يؤدي بالكثير من الطلبة الحاصلين على التعليم الثانوي باللغة العربية ويرغبون في التعليم الجامعي أن ينتظروا المنح الدراسية للسفر خارج الدولة كالسفر إلى مصر والمغرب . و النظام المدرسي الرسمي نفسه لا يعترف بالمعارف والمهارات التي يأتي بها الطفل إلى المدرسة، فالأطفال تذهب إلى المدارس ولديها مهارات وخبرات ومعارف من الأسرة والمجتمع ويكون الطفل محملاً بخبرات ومعتقدات ولغة وممارسات خاصة بمجتمعه، وعلى المدرسة أن تكمل هذه الخبرات . لأن الطفل يذهب محملاً بثروة من الخبرات والممارسات فلابد من الاعتراف بها والبناء عليها ولا يصح تجاهلها ، لذلك نجد عزوف كثير من الأسر عن اشتراك أبنائها في التعليم الرسمي النظامي ويفضلون الالتحاق بالكُتاب حيث تعليم الدين والفقه واللغة العربية ، هذا مالا تستطيع الأسر تعليمه لأبنائها .

* هناك احتكاك بين الأقدمية والثقافة والدين ، برغم أن عادات البمبارا وتقاليدهم

هي الأقدم إلا أن الإسلام عندما أتي لاقى ترحيباً حيث إنه أكثر حداثة وقدرة على التعامل مع مقتضيات التغير .

* ويقوم الكبار بدور المعلمين في المدرسة ولكن من خلال ممارسة الحياة نفسها ، ورغم أن التربية تتم في معظم مراحلها تلقائيا إلا أن الآباء غالبا ما يوجهون أبناءهم عمدا لاتباع الأساليب الصحيحة عند ممارستهم لأنواع من السلوك مثل الزراعة والصيد ورعاية الماشية .

* ولا تقوم الممارسات الدينية التقليدية على الخرافات، ولكن هناك عدد من المعتقدات فى تربية الأطفال تقليديا تتفق مع الممارسات العلمية الحالية وينادي بها العلم الحديث في التنشئة الاجتماعية مثل :

* ممارسة الرضاعة الطبيعية للطفل عند الطلب والرضاعة الطبيعية لفترة طويلة وخاصة في أوقات نقص الغذاء غير أن الطفل لا ينظر إلا للبن الأم ، ومن المتعارف عليه علميا أهمية وجود علاقة أولية بين الطفل وأمه وعلاقة الطفل بالآخرين وأن يكون في أمان ليتحرك في العالم بأسره ، وثقافة البمبارا تؤكد على أن هناك اتصالاً مستمراً بين الطفل وأمه في مدة لا تقل عن عامين وحمل الأمهات أطفالهن على ظهورهن واحتضان الطفل من أن لآخر ، ونوم الأمهات مع أطفالهن مدة تتراوح بين سنتين إلى ثلاث سنوات ، ونادرا ما يكون هناك سرير خاص بالطفل في هذه المرحلة كل ذلك دليل علي عمق الصلة بين الأم وطفلها .

* يتحمل مجتمع البمبارا مسئولية تنشئة الطفل كما ينمو بين مجموعة من الناس تتفاوت أعمارهم ويشاركون جميعا في الرعاية والتنشئة الاجتماعية والتعليم ، وتشمل الرعاية الإخوة والأخوات والجدة وغيرهم من الأقارب كما يعزز السلوك الحسن من الطفل من أفراد المجتمع وأيضا يقوم أفراد المجتمع السلوك الخطأ الذى يقوم به الطفل .

* هذا الجمع من الناس الموجود حول الطفل يقدم معرفة ثقافية وعادات وتقاليد تتحول إلى دعم وتوجيه تقدم للطفل مع قلة الموارد الموجودة والمتاحة في المجتمع وخاصة في إطار الأسر الممتدة وكل ذلك له مردود إيجابى على الطفل عند البمبارا .

* يعتبر اللعب جزءا هاما في نمو الطفل سواء كان المجتمع تقليديا أو غير تقليدي

فلقد وفرت الثقافات التقليدية اللعب من المواد الموجودة في البيئة والمهارات اللازمة مما يجعل هذه اللعب تسلم من جيل إلى جيل والعمل على توريث سلوك الكبار للأطفال من خلال اللعب ، فالأطفال جزء منهم يلعب وجزء يعمل ثم يتبادلون الأدوار وهذا يتم تحت إشراف الشباب الأكبر سنا .

* كما تلعب التقاليد الشفاهية دوراً هاماً وجزءً من التعلم للأطفال وتقدير اللغة وكذلك التنمية الخاصة بهم ، من خلال الأغاني والقصص والأحاجي والأساطير.

* ويتحمل الأطفال المسئولية الاجتماعية وينمو لديهم الشعور بهذه المسئولية من خلال مشاركتهم في المهام المخولة إليهم فهم يتعلمون الطاعة والتعاون والاحترام .

* كما تلعب الممارسات التقليدية دوراً سلبياً فى التنشئة الاجتماعية لاسيما المحظورات الغذائية التقليدية بين النساء الحوامل والتى يمكن أن يكون لها أثر سلبي على الطفل وتنميته والمرأة وصحتها، على سبيل المثال محرمات مثل آكل البيض والأسماك و بعض اللحوم والحد للنساء من كمية البروتين التي نتناولها ، وهذه المحرمات الغذائية موجودة في ثقافات كثيرة وليس في البمبارا فقط بل فى مجتمعات غرب إفريقيا بالرغم من تباين هذه الثقافات جغرافيا إلا أنها متفقه على هذه المحرمات الغذائية.

* وهناك ممارسات ترتبط بولادة الطفل وتمثل خطراً شديداً على الطفل ، مثل استخدام أدوات غير معقمة أثناء الولادة ووضع الروث أو الرماد على الجرح مما يزيد من خطر الإصابة بالمرض ، وما زال الاعتماد على القابلات في الولادة والعلاجات الشعبية والأعشاب ، هذه الممارسات من الممكن معالجتها بسهولة ولكن هناك صعوبة في الوصول إلى الأدوات المناسبة والأدوية التي يمكن أن تستخدمها القابلات .

* عدم تدخل الآباء في عملية تنشئة الأطفال فالآباء عديمو المسئولية خلال السنوات الأولى من عمر الطفل ، فالأطفال لا يحصلون إلا على بعض الاهتمام البسيط من بعد سن ٣ سنوات ، فالأب في هذه المرحلة يشارك بالحد الأدنى من التنشئة الاجتماعية ، وتزيد مشاركة الأب في تربية ابنه كلما كان المجتمع أكثر تحضرا أي أن مشاركة الأب تزيد في المدن ولكنها أيضا ليست بالزيادة المطلوبة لمشاركة الأب في التنشئة الاجتماعية .

* تضع المعتقدات والممارسات التقليدية حدوداً واضحة على الأدوار بالنسبة للأطفال على أساس الجنس . الأطفال يفرق بينهم في وقت مبكر ، ويتم هذه التفرقة من خلال الأدوار والأعمال التي يقومون بها وتسند إليهم من قبل المجتمع ، ويتم هذا بناء على النوع فنجد أن الطفل في سن خمس وست سنوات يبدأ في الذهاب للزراعة أو الصيد أيا كان عمل الأب يذهب الولد معه ، أما البنات فإنهن يبدأن في تقليد الأمهات في أعمال المنزل ورعاية الصغار ، أي أن الأولاد والبنات ليسوا أطفالا وإنما الطفل رجل صغير والبنت سيدة صغيرة .

تطابق بين الممارسات التقليدية والعلم والمعرفة :

الكثير يعتقد أن الممارسات التقليدية تقوم على الخرافات وأن المعتقدات ليست صحيحة علمياً ، لكن هناك عدد من المعتقدات فى تربية الأطفال تقليدياً تتفق مع الممارسات العلمية الحالية وينادى بها العلم الحديث فى التربية منها :

* ممارسة الرضاعة الطبيعية للطفل عند الطلب والرضاعة الطبيعية لفترة طويلة وخاصة فى أوقات نقص الغذاء غير أن الطفل لا ينظر إلا للبن الأم ، من المتعارف علية علمياً أهمية وجود علاقة أولية بين الطفل وأمه وعلاقة الطفل بالآخرين ، وان يكون فى أمان ليتحرك فى العالم بأسرة . وثقافة مجتمع بمبارا تؤكد على أن هناك اتصال مستمر بين الطفل وأمه فى مدة لا تقل عن عامين وحمل الأمهات أطفالهن على ظهورهن وتحدث عملية حضن الطفل من أن لآخر كما أن الأمهات تنام مع أطفالهن مدة تتراوح بين سنتين إلى ثلاث سنوات ونادراً ما يكون هناك سرير خاص بالطفل فى هذه المرحلة دليل على عمق الصلة بين الأم والطفل .

* المجتمع ككل يتحمل المسئولية عن تربية الطفل كما ينمو بين مجموعة من الناس تتفاوت أعمارهم ويشاركون جميعاً فى الرعاية والتنشئة الاجتماعية والتعليم وتشمل الرعاية الإخوة والأخوات والجدات وغيرهم من الأقارب كما يعزز السلوك الحسن من الطفل من افراد المجتمع وأيضا يقوم أفراد المجتمع بردع السلوك الخطأ من الطفل .

هذا العدد من الناس الموجود حول الطفل يقدم معرفة ثقافية وعادات وتقاليد تتحول إلى دعم وتوجيه تقدم للطفل مع قلة الموارد الموجودة والمتاحة فى المجتمع

وخاصة فى إطار الأسر الممتدة هذا يعود بفائدة كبيرة للطفل .

أهمية اللعب والأغانى والقصص والأساطير يعتبر جزء هام فى نمو الطفل سواء كان مجتمع تقليدى أو غير تقليدى

فى مجتمع بمبارا التقليدى يتوفر اللعب فى المساحات الكبيرة الملحقة بكل منزل بالإضافة للعب الطفل بجانب العمل بحيث يقسم الوقت إلى جزء خاص بالعمل وآخر خاص باللعب . ويوفر أيضا الرواية الشفهية من الجدات للأحفاد ورواية القصص وهذا هام فى تعليم الأطفال وتقدير اللغة وتنمية القدرة على التخيل .

الاختلاف بين الممارسات التقليدية والعلم وقد تم ذكرها فى مجمل النتائج نستخلصها فى النقاط الآتية :

١- المحظورات الغذائية التقليدية على النساء الحوامل مما يؤثر على صحة الأم والطفل .

٢- الممارسات المرتبطة بولادة الطفل مما يعرض الأم والطفل إلى خطر شديد يصل إلى حد الوفاة

٣- الممارسات المتعلقة بفطام الطفل وعدم التوازن بين الرضاعة الطبيعية والمواد الصلبة لا يوجد وعى بها تعرض الطفل إلى الإصابة بالضعف والأنيميا فيما بعد

٤- عدم تدخل الآباء فى عملية التنشئة للأطفال إلا عندما يصل عمر الطفل إلى ٦ سنوات وهى سن العمل هنا يحدث الارتباط بين الأب والابن وليس بصورة كاملة حيث يرتبط أكثر بالإخوة والأخوات الأكبر منة سباً .

٥- التفرقة الواضحة منذ البداية على أساس النوع البنات لها لعب وعمل مختلف عن لعب وعمل الأولاد .

المشكلات التى تواجهها مالى :

* تواجه مالى العديد من المشكلات الاقتصادية ، إذ يعتمد القطر على الزراعة فى حين أن خمس أراضية تعتبر أرضنا خصبة وصالحة للإنتاج الزراعي . لذلك تعمل الدولة

للتقليل من قيمة الزراعة من خلال خفض أسعار السلع الزراعية . كما يواجه الإنتاج الزراعي بمخاطر تذبذب الأمطار التى قد تصل إلى ما دون المتوسط ، هذا بجانب أن المرعى الطبيعى قد ينحسر كثيرا فى بعض الأحيان . ولقد تعرضت الحياة النباتية فى إقليم السهل فى فترة السبعينيات والثمانينات من القرن العشرين إلى سنوات جفاف أدت إلى تدمير مساحات واسعة من الغطاء النباتى وإلى موت ملايين الأبقار والأغنام والماعز . كما أدى تدنى أسعار القطن وزيادة أسعار البترول فى السوق العالمية إلى شدة تدهور الأوضاع الاقتصادية فى البلاد .

* تواجه مالى باعتبارها دولة نامية و العديد من المشكلات الاجتماعية و إذ نجد أن معظم السكان فيها أميون . نحو ٦٩٪ من الراشدين لا يعرفون القراءة والكتابة ، فى حين أن ٢٧٪ فقط من الأطفال يلتحقون بالمدارس

هناك العديد من المدارس الثانوية فى مالى ، لكن الكثير من الطلاب يفضلون الحصول على درجات التعليم العالى من أقطار خارجية مثل فرنسا والسنغال .

* من مشكلات مالى أيضا تدنى المستوى الصحى فى البلاد حيث يقل متوسط عمر الفرد المتوقع فيها عن ٥٠ سنة ويموت فيها نحو نصف الأطفال الحديثى الولادة وأعلى نسبة وفاة نجدها فى الأطفال حديثى الولادة . كما تنتشر فيها الملاريا وتتسبب فى اكبر نسبة وفيات بين الأطفال .

هذه المشاكل التى تواجهها مالى تؤثر بالسلب فى تربية الأطفال ورعايتهم صحياً واجتماعيا وعلمياً . هذا التأثير نجدة فى القرى والقبائل بصورة كبيرة جدا.

الصعوبات التي واجهت الباحثة في الزيارة الميدانية :

وتنقسم هذه الصعوبات إلى صعوبات خاصة بمجتمع الدراسة وصعوبات خاصة بالباحثة وصعوبات نفسية

الصعوبات الخاصة بالإجراءات ومجتمع الدراسة :

*رفض السفارة : رفضت سفارة دولة مالي في القاهرة سفري ، ذلك لأنني سيدة ومسافرة بمفردي، وكان حل هذه المشكلة بواسطة رئيس اتحاد طلبة مالي الذين

يدرسون بجامعة الأزهر حيث كتب إقراراً على نفسه بأنه الكفيل لي وتعهد بمراعاتي طوال أيام السفر إلى رجوعي إلى القاهرة بمشيئة الله بالإضافة إلى التقرير الذي كتبته علي نفسي إنني أتحمل مسئولية نفسي في السفر والإقامة وفي حالة المرض .

* **طول ساعات السفر** : حيث المسافة بين القاهرة بلد الباحثة ومالي بلد البحث بالطائرة مع ترانزيت ساعة فقط حوالي ١٢ ساعة طيران ، فهي على الخطوط الأثيوبية ، وكان اختيار هذه الخطوط اختيار خطأ من البداية ، ولكنني لم أعلم بأخطائها إلا بعد التجربة . الطيران من القاهرة فجر الإثنين الساعة ٢.٣٠ توقف ساعة في الخرطوم الخامسة فجرا ثم أديس بابا الثامنة صباح الإثنين والتوقف ساعة والانتقال من طائرة إلى أخرى ووصول باماكو الساعة ٤.٣٠ ظهرا يوم الإثنين بتوقيت القاهرة

تغلبت الباحثة على هذه المسافة بالرضى التام والاقتناع بأن كل شيء به صعوبة وأن الدراسة الميدانية لها صعوبتها وهذه أولها .

الصعوبات الخاصة بالباحثة :-

* **فقد الأمتعة**: وهي المفاجأة الكبرى أن أمتعتي كانت كلها على الطائرة ، ثم وصلت باماكو ولم تصل الأمتعة وعند السؤال قالوا لي أنها سوف تصل الرحلة القادمة ، وعند سؤالي عن الرحلة القادمة أنها يوم الأربعاء الساعة ١.٣٠ ظهرا أي بعد يومين من تاريخ وصولي وأنا في يدي اللاب توب فقط وحقيبة يدي الصغيرة بها جواز السفر والنقود فقط من الذهول لم أستطع التفكير في حينها ، طلبت من الأخوة أبناء البلد الذين يرافقونني أن أذهب إلى فندق فيما بعد ثاني يوم ذهبت إلى السفارة المصرية مباشرة ، وكان هناك استقبال لم أتوقعه إطلاقا من العاملين في السفارة بارك الله لهم ، خرجت من هناك أقول عمار يا مصر بأبنائك ، كما رحب بي القنصل الثقافي شاب في مقتبل العمر أخذ بياناتي وصورة الجواز والأوراق الخاصة بي وأورق الجامعة وصورة التذكرة وعمل اتصالات مكثفة بشركة الطيران لتأكيد وصول الأمتعة يوم الأربعاء خاصة أنني علمت أن هناك من لم يحصل على أمتعته أساسا أو علي أقل التقديرات تأتي بعد أسبوعين أو أكثر ، لولا وقوف السفارة معي لم أكن أحصل علي أمتعتي .

موقف آخر للسفارة معي أحب أن أشيد به ، أرسلوا معي موظفاً مصرياً وآخر من

أبناء البلد إلى الفندق الذي أقيم به لمعرفة مكانه واقترحوا على نقلي فندق آخر أقل في التكلفة وقريب من السفارة هذا ثم بعد إقامتي يومين في هذا الفندق ، وتم فعلا استلام الحقائب من المطار في الرحلة الثانية وتغير الفندق وتم الاستقرار والحمد لله .

* التكلفة المادية : وهي التكلفة المادية العالية جدا في هذه البلد ، ذلك لأن الإقامة في الفندق والانتقالات عالية جدا جدا وكان هذا غريباً علي بلد اقتصادياتها محدودة للغاية مثل مالي ، لا أدخل في التفاصيل المادية ،لكن هذه الرحلة تكلفتها المادية عالية والتى شملت ثمن التذكرة والإقامة والتنقلات وتجهيزات السفر من هدايا تذكارية تحمل اسم مصر .

* اللغة : اللغة العامية للبلاد هي البمبارا ، وهي لغة خاصة جدا بحوض نهر النيجر ، ومن اللغات الإفريقية التي لم يعرفها إلا سكان المنطقة ، بالإضافة إلى أن لغة المصالح الحكومية لغة الفرنسية والباحثة لغتها العربية بالإضافة إلى الإنجليزية ، بالإضافة إلى أن مجتمع الدراسة قبائل يعيشون فى قري ولا يتكلمون إلا البمبارا ، تغلبت الباحث على هذه الصعوبة بالاستعانة بالطلبة الذين درسوا في القاهرة ، وكان منهم مرافقين لي في الرحلة ، وخاصة رئيس اتحاد الطلبة في مصر وهو من باماكو وهو محمد نياري وكان مرافقا لي للترجمة والحديث مع أهالي البلدة.

* مقابلة المسئولين : وهي مقابلة السادة المسئولين في المناصب الحكومية المختلفة وزيارة الأماكن الثقافية ، وهذه تم التغلب عليها بمساعدة السفارة المصرية في باماكو، ويوم وصلت السفارة كان أول أيام في اللقاءات اللقاء مع وزارة التربية والتعليم القسم العربي ، ووزارة الثقافة ، وزيارة المكتبة القومية وزيارة مدارس في باماكو ، وزيارة بعض الأسر في باماكو كل هذا كان بمساعدة السفارة المصرية أما الزيارات في القرى فهي بمساعدة محمد نياري ومجموعة الطلبة وكانوا مرافقين معي من القاهرة وأيضا أثناء أقامتي في قرى بمبارا في سيكورو .

* رفض أهل البلد الصور والتعاون مع الباحثة : وهي من أكبر الصعوبات التي تقابل باحث هو رفض أهل البلد التعاون مع الباحث في تسجيل اللقاءات بالورقة والقلم أو التصوير أثناء اللقاء ، وكان هذا واضحاً وصريحاً من الأهالي ، حتى أنهم رفضوا التصوير

وهم داخل البيوت ، وكان منهم يرفض التصوير أثناء الجولات الحرة في السوق ، كانوا يطلبونها صراحة اقفلي الكاميرا No foto / No camira وبالطبع كنت أمتثل لرأيهم مع تقديم اعتذاراتي وأسفي لهم .

وكان التغلب على هذه المشكلة بطرح الأسئلة وتدوينها في الذاكرة مع إجابتها ، وكنت بمجرد دخولي السيارة أو بعدي عن أصحاب المقابلة كنت أسجل نقاط سريعة قبل اللقاء الثاني إلى أن أذهب إلى الفندق وأبدأ في تفريغ الأسئلة والإجابات .

وبالرغم من ذلك كانوا يرحبون بالصور العادية الصور مع الباحثة كتذكار فقط لكن ليس داخل البيوت وقد لاحظت الباحثة أيضا هذه الظاهرة أثناء اللقاءات مع الجالية المالية في القاهرة ، بالرغم من تعاونهم التام مع الباحثة في الحوار معها إلا أنهم اشترطوا عدم ذكر أسماء أو تسجيل لصورهم أثناء اللقاء وبالتأكيد رحبت برغبتهم هذه .

وقد حصلت على الصور الملحقة بالرسالة وخاصة صور الفرح والمنازل بمساعدة المرافقين لي في الرحلة وكانوا قد وجهوا لي دعوة لحضور زفاف وحصلت على موافقة بالتصوير وتصوير المنزل من الداخل وكان هذا بمثابة مفاجأة للباحثة وإحراز تقدم كبير، وبالفعل تم تصوير فرح بالصوت والصورة وتصوير منزل من الداخل مع العائلة ومشاهدة جميع التجهيزات الخاصة بالفرح .

الصعوبات النفسية :

*الحالة النفسية للباحثة : كانت الحالة النفسية سيئة جدا ، وخاصا بعد الاختلاط بالناس ومعرفة مشاكلهم والحالة الاقتصادية وخاصة أن الباحثة قد سبق لها قراءة تاريخ مالي العظيم وكيف كان يطلق عليها بلاد الذهب وماصارت إليه الآن فهي محاطة بمثلث الجهل والفقر والمرض و الجهل على رأس المثلث ، لم تستطع الباحثة التغلب على هذه الصعوبة فقد لازمتها طوال الرحلة ومازلت إلى الآن ، فأنا أبحث عن أي شيء أستطيع أن أقدمه لهذا البلد وهذا الشعب .



ملحق رقم (١)

دليل العمل الميدانى:

استرشدت الباحثة فى دليل العمل الميدانى الخاص بالدراسة بدليل العمل الميدانى للمجتمعات الصحراوية الذي قام بإعداده الأستاذ الدكتور أحمد ابوزيد ودليل العمل الميدانى الذي قامت به الدكتورة إيمان يوسف البسطويسى ، وهو عن المرأة في المجتمعات الصحراوية .

وقد استعانت الباحث فى دليل الدكتور أحمد أبو زيد بالجزء الخاص بالتنشئة الاجتماعية والجزء الخاص بالنسق الديني كما استرشدت أيضا بالجزء الخاص بالتنشئة الاجتماعية فى دليل الدكتورة إيمان .

وقد تم إعداد هذا الدليل بحيث يحيط بالموضوعات التي ينبغي دراستها عند التعرض للممارسات والمعتقدات الدينية ومدى تأثيرها في التنشئة الاجتماعية وتنشئة الأطفال من الميلاد إلى سن ١٢ سنة أي في خلال مرحلة الطفولة.

وإن المدخل المعرفي الذي تتبناه الباحثة في الدراسة يؤكد على أهمية معرفة الحياة اليومية بالنسبة للفرد ودورة الحياة للفرد والأفكار والمعتقدات التي تعكس في مجملها كثيراً من الملامح المميزة للدين بالإضافة إلى معرفة المؤسسات التى تساهم فى عملية التنشئة الاجتماعية بجانب الأسرة على اعتبار أن الأسرة هى الأساس الأول والرئيسي في هذه المجتمعات البسيطة .

أولا : منطقة البحث (وصف عام) :

١- الموقع الجغرافى والمناخ.

٢- فصول السنة.

٣- حجم السكان .

٤- النمط الاقتصادى الأساسى للسكان (زراعة / رعى / صيد).

٥- نوع الأسرة (ممتدة / نواة.....).

٦- توزيع العمل على أفراد الأسرة (الرجال / النساء / الأطفال).

ثانيا : التنشئة الاجتماعية :

١- الحياة اليومية بالنسبة للفرد :

أنواع النشاطات الرئيسية موزعة على أقسام اليوم الرئيسية.

(الصباح الباكر / وقت الظهيرة / قبل الغروب وبعده / فى المساء).

٢- تربية الأطفال من كلا الجنسين :

- العناصر المشتركة ووجه الاختلاف فى المعاملة بالنسبة للطفل الذكر والأنثى.

- التربية الدينية والقواعد الأخلاقية والقيم من المسئول عنها

(الوالدين معا / أحدهما / عملية جماعية).

- الفصل بين الجنسين متى يتم ؟.
- اهتمام الكبار بألعاب الأطفال.
- دور الأم في تربية الأطفال .
- دور الأب فى تربية الأطفال .
- دور الأطفال في مساعدة الآباء والأمهات .
- علاقة الإخوة الكبار بالصغار.
- دور كبار السن والجدات فى تربية الأطفال.

٣ -التعليم والتنشئة الاجتماعية (التعليم الرسمي وغير الرسمي)

- المؤسسات التي تقوم بعملية التنشئة الاجتماعية.
- المؤسسات التعليمة المختلفة الموجودة فى المجتمع.

- مدى إقبال الأهالى على التعليم .

- تعليم الفتيات إلى أي مرحلة .

- سن الالتحاق بالمدارس للأطفال من الجنسين

- المواد التي تدرس للأطفال في المراحل الأولى من التعليم (التعليم الأساسى) .

- اقتراحات رجال التعليم والأهالى أنفسهم للتشجيع على الإقبال على التعليم.

٤- دور الحياة بالنسبة للفرد :

- الزواج – سن الزواج للجنسين / الممارسات المتبعة فى الزواج.

- الحمل (الأنشطة التى تمارسها المرأة أثناء الحمل / محرمات الطعام تبعا للتقاليد .

- الولادة وتسمية المولود (أين تتم عملية الولادة / على يد من تتم هذه العملية / المعتقدات التى تمارس فى الولادة وتسمية المولود).

- الرضاعة والفطام (المعتقدات التى تتم فى الرضاعة والفطام) .

- العادات المتعلقة بإطعام الطفل من الولادة حتى سن الفطام ، وما هو سن الفطام .

- المراحل التى يمر بها الطفل من الميلاد وحتى دخول المدرسة ، أي من الميلاد إلى سن ثلاث سنوات ومن ثلاث سنوات إلى سن ست سنوات ومن الذى يتولى هذه المراحل .

- الختان (سن الختان للجنسين).

ثالثا : الحياة الدينية والممارسات الشعائرية :-

- النظرة إلى الدين.

- مواظبة أفراد الأسرة ثم المجتمع على أداء شعائر الدين.

- هل تؤلف التربية الدينية جزءاً من نظام التعليم الرسمى فى المدارس؟ ومدى

اهتمام المدارس بذلك.

- القدر الذي يتلقاه الطفل في المرحلة الابتدائية من التعليم الدينى .

- اهتمام أعضاء المجتمع بمناقشة أمور الدين في حياتهم الدينية .

- مظاهر السلوك الدينى في المجتمع .

- مظاهر اهتمام المجتمع بالتعليم الديني للطفل .

- الممارسات والشعائر والطقوس التي تمارس في المجال الاقتصادي (ممارسات متعلقة بالزراعة / بالصيد / بالرعى).

- كيف يبدؤون يومهم (بالصلاة والدعاء).

- الأساليب التى تتبع لتعليم الأطفال مبادئ الدين .

- التصرفات والسلوك اليومى ومدى ما يعكسه من التزام ديني / هل يشترك الأطفال فى هذا السلوك ؟.

- مدى معرفة الأطفال بالمزارات الدينية والأماكن المقدسة خاصة فى مرحلة الطفولة المتأخرة أي من سن تسع إلى اثنتي عشرة سنة.

رابعا : النسق المعرفى :-

اللغة كوسيلة للتواصل :

– اللغة الخاصة بالأهالي.

– هل هناك أكثر من لغة ؟

– لغة المجتمع مكتوبة أم منطوقة.

– أهم القصص التى تحكي للأطفال .

– أهم الأغاني – موضوعات هذه القصص من الذى يقوم بحكايتها فى واقع كل أسرة – وممن يحب الأطفال سماع هذه القصص والأغاني .

المقابلات التى قامت بها الباحثة :

تمت المقابلات علي مرحلتين وفي مكانيين مختلفين :

أولاً : المقابلات التي تمت في القاهرة وهى مع بعثة الطلبة الماليين فى القاهرة وعددهم ١٥٠ طالب ، تمت المقابلات مع أكثرهم بمساعدة رئيس اتحاد الطلبة في مصر ، وهو محمد نياري طالب في كلية التربية جامعة الأزهر قسم لغة انجليزية ، فقد كان يتولي تجميع الطلبة وتتولي الباحثة تحديد مكان وزمن اللقاء بهم بالإضافة إلى الزيارات التي خصصت لسفارة مالي ف القاهرة لجمع البيانات والمعلومات اللازمة عن مجتمع البحث .

ثانياً : المقابلات التي تمت في مجتمع البحث أثناء تواجد الباحثة في مالي وأقامتها في قرية سيكورو في مدينة سيجو ومنها :

- مقابلات مع الأمهات فى منازلهم / في الحقول.
- مقابلات مع كبار السن .
- مقابلات مع الأطفال في أعمار مختلفة .
- مقابلات مع الآباء .
- مقابلات مع القائمين بالعملية التعليمية الرسمية سواء فى المدارس أو الكتاتيب .

الزيارات التى قامت بها الباحثة :

- زيارات منزلية .
- زيارات للوحدة الصحية أو المراكز العلاجية أن وجدت .
- زيارات للمدارس والكتاتيب والحضانات .
- زيارات لأماكن العبادات .
- زيارات للمراكز الثقافية والمكتبات .
- زيارات للمراكز أو الأندية الرياضية .
- التعايش اليومي مع الأهالي ومشاركتهم أفراحهم ومناسباتهم .

ملحق رقم (٢)

المقابل اللغوي العربي والإسلامي عند البامبارا

بعض الألفاظ العربية وما يقابلها عند البامبارا :

الله	: ياللا	
استغفر الله	: سافور إلهي	
جن	: دين أو جن	
جهنم	: ديانام	
شريعة	: سارايا	عند قبائل غرب إفريقيا عامة
شيطان	: ستان	
الدين	: الدين	
السجادة	: اساديادو	
القبور	: الجبور	
الملائكة	: الملائهيكا	
الآخرة	: الأكبرا	
بالله	: يالاهي	
الحرام	: الهرام	
الدنيا	: الدنيا	
تلميذ أو طالب	: كالانجدنج	
يقرأ أو يتعلم	: كالانج	

عالم – أستاذ / ناظر مدرسة	كالاجكيلا وكالانجدنج
محاضرة – درس	: كالانج
القرن	: زان
قلم	: كلما
الراية – العلم	: ريت
الطبل	: تابلا
راو – محدث	: تاليا
الثمر	: ثامار – فومارو
حبوب الدخن	: سانيو
الشعير	: نيو
الدعاء بعلو القامة	: نجالاه اكالى كوروتو
العراف (الوسيط بين العبد وربه)	: كوموتيجى
زوجة	: موسو
هديه الزواج	: ميناكولوينكو
الزوج	: سونكو
كرسي للجلوس	: كورو
آلات موسيقيه	: بالانال
الفرقة الموسيقية	: جيلي
اله موسيقيه تقليدية	: الجدونوفو

المرأة العاقر : سوباكا

المرأة التى تقوم بعملية الختان : موموسو

الرجل الذى يقوم بعملية الختان : نونكيا

طفل حديث الولادة : ديرن

طفل سن سنتين : دن

طفل سن سنتين إلى سن ست سنوات : ديميسيني

طفل سن تسع سنوات إلى سن اثنا عشر سنة : فوناكنى

الولد : كمالني

البنت : سوكورونى – بوتيكني

القصة أو الحكاية : ذيرين

الماء : جي

الضوء : يلين

الظلام : ديبي

صباح الخير : إنى سيكوما

مساء الخير : أنى مولا

كيف الحال : ابى كاكانية

الحمد لله : باسيتانيه

طعام : دومينى

تجهز الطعام : توبي

تنظف الغرفه : سوكونكانا فيوران

ما اسمك	: أتوكو
ما / ماذا	: مويا
من هذا	: نياجونيا
كيف	: تشوكودى
كم الثمن	: نيا جوليا
متى	: كوماجوما
نعم	: اونه(ت)
لا	: آبى
آسف	: يافاما / هاكاتو
أين أنت ؟	: إيبا يوروجومانا
متى حدث ذلك ؟	: اوكا را كوماجوما
كيف أحصل على أوتيل	: إينبا تاكالا هوتيل تشيكودى
لماذا أتيت إلى مالي ؟	: إننا مالى لا موونا ؟

بعض أسماء الأعلام العربية والإسلامية :

يثير	: يسبرو
إبراهيم	: بيراهيما – براهيما – بوهاريما
حسن	: أسن – ألسان
أبو بكر	: بوكار – بوبكر – باكاري
حماد	: أمان
الأمين	: لامين

شيخ	: سك – سيكو – شيهو
الحسين	: أوسينو
طاهر	: تاهيرو
أمير	: أمارا
عبد الرحمن	: ابدو – ابودي
عبد الله	: عبد اللاهي –ابدو اللاي
عثمان	: انثومان – لوسمان – اسوما – انومانج
خديجة	: ادجياتا
علي	: إلى – ألو – اليون
زينب	: سينايو – ثيثايا
عمر	: اومارو
عائشة	: اساتو
عيسى	: ايسا
فاطمة	: فاتيماتو – فاتيماتا
فاضل	: فاديلو – فاليلو
مريم	: لا لا – مرياما
محمد	: مامادو « ما »
محمود	: مامودو
أم كلثوم	: أومو
أمينة	: اميناتا

بنت : منت

بنت النبي : بنتا

حفصة : أفا

حواء : هوا

بعض أسماء المدن العربية الإسلامية :

حنين : تاياتو

مصر : ماسيرا



ملحق رقم (٣)

(الأعداد والحروف الهجائية باللغة الفرنسية وما يقابلها بالانكو البمبارية)

Les chiffres= [illegible]

(à lire de droite à gauche)

(0) dôkolon **(0) ߘߐߞߏߟߏ߲**

߁߀	߉	߈	߇	߆	߅	߄	߃	߂	߁	**N'ko**
10	9	8	7	6	5	4	3	2	1	**Français**
߂߀	߁߉	߁߈	߁߇	߁߆	߁߅	߁߄	߁߃	߁߂	߁߁	**N'ko**
20	19	18	17	16	15	14	13	12	11	**Français**

LES SYLLABES (à lire de droite à gauche)

ߓߐ	ߓߏ	ߓߎ	ߓߍ	ߓߌ	ߓߋ	ߓߊ	**N'ko**
bô	bo	bou	bè	bi	be	ba	**Français**
ߔߐ	ߔߏ	ߔߎ	ߔߍ	ߔߌ	ߔߋ	ߔߊ	**N'ko**
pô	po	pou	pè	pi	pe	pa	**Français**
ߕߐ	ߕߏ	ߕߎ	ߕߍ	ߕߌ	ߕߋ	ߕߊ	**N'ko**
tô	to	tou	tè	ti	te	ta	**Français**
ߖߐ	ߖߏ	ߖߎ	ߖߍ	ߖߌ	ߖߋ	ߖߊ	**N'ko**
djô	djo	djou	djè	dji	dje	dja	**Français**
ߗߐ	ߗߏ	ߗߎ	ߗߍ	ߗߌ	ߗߋ	ߗߊ	**N'ko**
tyô	tyo	tyou	tyè	tyi	tye	tya	**Français**
ߘߐ	ߘߏ	ߘߎ	ߘߍ	ߘߌ	ߘߋ	ߘߊ	**N'ko**
dô	do	dou	dè	di	de	da	**Français**
ߙߐ	ߙߏ	ߙߎ	ߙߍ	ߙߌ	ߙߋ	ߙߊ	**N'ko**
rô	ro	rou	rè	ri	re	ra	**Français**
ߛߐ	ߛߏ	ߛߎ	ߛߍ	ߛߌ	ߛߋ	ߛߊ	**N'ko**
sô	so	sou	sè	si	se	sa	**Français**
ߜߐ	ߜߏ	ߜߎ	ߜߍ	ߜߌ	ߜߋ	ߜߊ	**N'ko**
ghô	gho	ghou	ghè	ghi	ghe	gha	**Français**
ߝߐ	ߝߏ	ߝߎ	ߝߍ	ߝߌ	ߝߋ	ߝߊ	**N'ko**
fô	fo	fou	fè	fi	fe	fa	**Français**
ߞߐ	ߞߏ	ߞߎ	ߞߍ	ߞߌ	ߞߋ	ߞߊ	**N'ko**
kô	ko	kou	kè	ki	ke	ka	**Français**
ߟߐ	ߟߏ	ߟߎ	ߟߍ	ߟߌ	ߟߋ	ߟߊ	**N'ko**
lô	lo	lou	lè	li	le	la	**Français**
ߡߐ	ߡߏ	ߡߎ	ߡߍ	ߡߌ	ߡߋ	ߡߊ	**N'ko**

mô	mo	mou	mè	mi	me	ma	Français
ߡߐ	ߡߏ	ߡߎ	ߡߍ	ߡߌ	ߡߋ	ߡߊ	N'ko
gnô	gno	gnou	gnè	gni	gne	gna	Français
ߢߐ	ߢߏ	ߢߎ	ߢߍ	ߢߌ	ߢߋ	ߢߊ	N'ko
nô	no	nou	nè	ni	ne	na	Français
ߣߐ	ߣߏ	ߣߎ	ߣߍ	ߣߌ	ߣߋ	ߣߊ	N'ko
hô	ho	hou	hè	hi	he	ha	Français
ߤߐ	ߤߏ	ߤߎ	ߤߍ	ߤߌ	ߤߋ	ߤߊ	N'ko
wô	wo	wou	wè	wi	we	wa	Français
ߥߐ	ߥߏ	ߥߎ	ߥߍ	ߥߌ	ߥߋ	ߥߊ	N'ko
yô	yo	you	yè	yi	ye	ya	Français



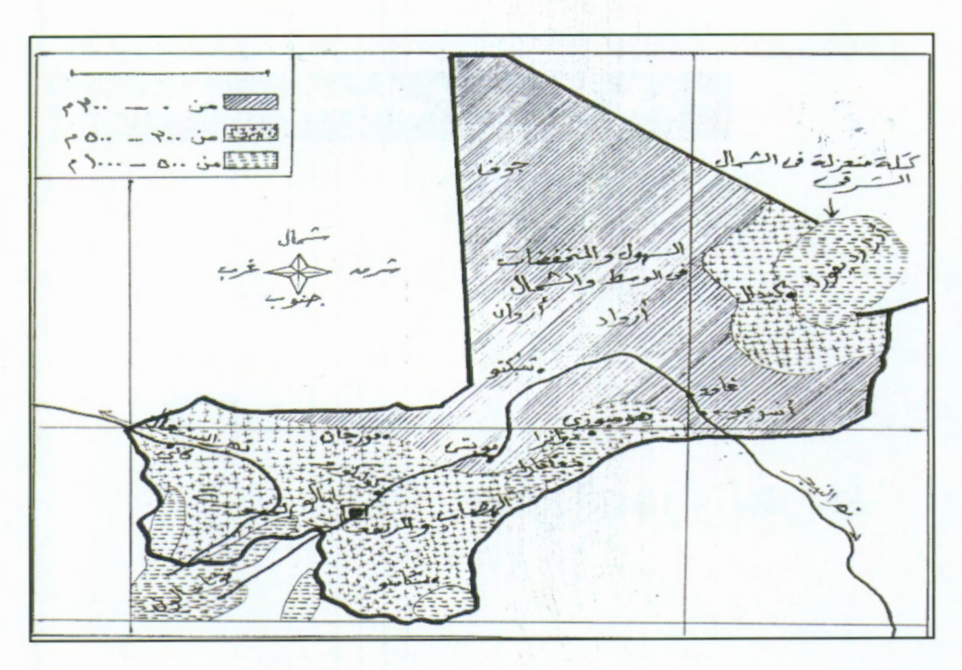


التنشئة الاجتماعية والمعتقدات في مالي

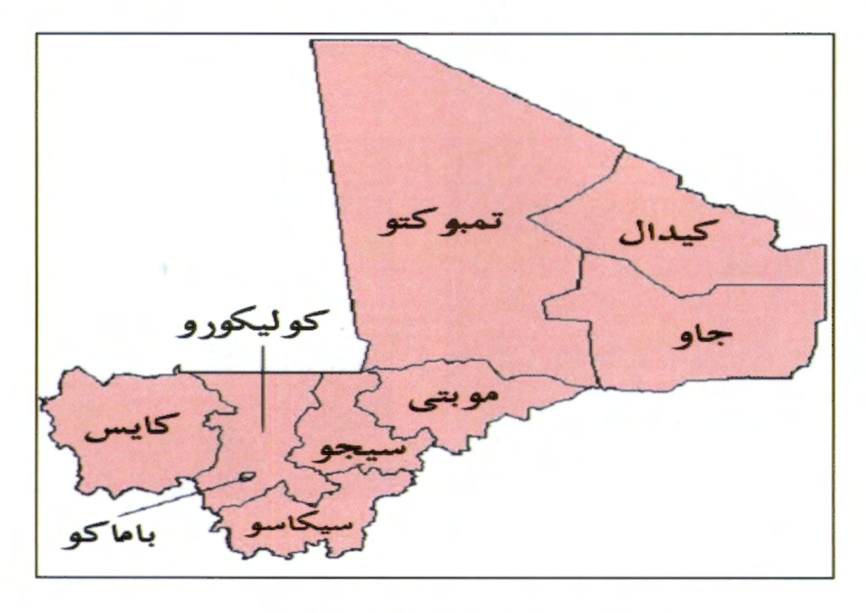
ملحق الصور والخرائط



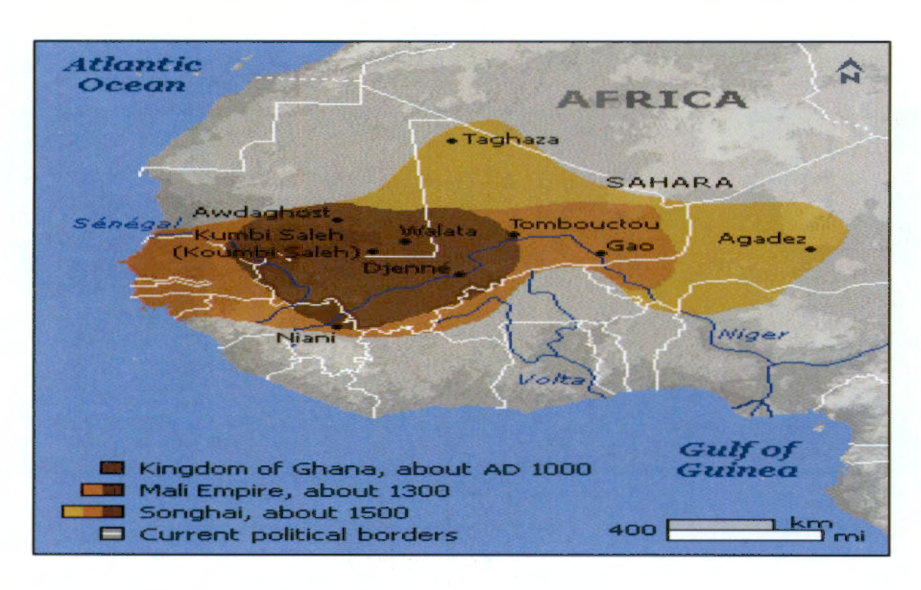
خريطة (١) حدود مالي مع جيرانه



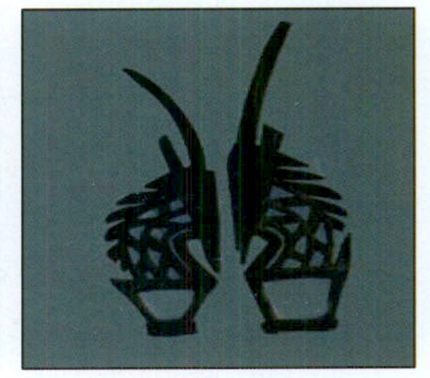
خريطة (٢) اختراق نهر النيجر فى مالى



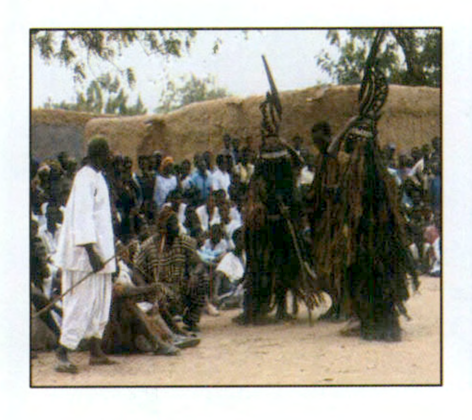
خريطة (٣) موقع سيجو مجتمع الدراسة الميدانى



خريطة (٤) ممالك غانا وصنغي وامبراطورية مالي



صورة رقم (٥) التشى وارا



صورة (٦) الاحتفال الذي يقام بالتشي وارا



صورة(٧) احتفال التشي وارا في الحقل
من أجل زيادة المحصول



صورة (٨) الأقنعة التي تستخدم في الاحتفالات



صورة (٩) ثمرة الشي تولو المستخدمة في حمام الأطفال وعلاج أمراض العظام عند الكبار



صورة (١٠) منزل بالطوب اللبن



صورة (١١) منزل بالطوب الأسمنت



صورة (١٢) مخزن الحبوب الملحق بكل منزل في قرية سيكورو



صورة (١٣) إحدى السيدات
تقوم بزراعة الحقل الخاص بها



صورة (١٤) الباحثة مع
إحدى السيدات فى الحقل



صورة (١٥) شكل الفأس المستخدم فى الزراعة



صورة (١٦) البولو المخصص

للاجتماعات والاتفاقات الحيوية للقرية



صورة (١٧) الجالا مكان سمر الرجال والشباب



صورة (١٨) العروسة الجديدة والزوجة الأولى

والعريس فى المنتصف صورة



(١٩) عروسة بالزي التقليدي منتظرة السونكو



صورة (٢٠) عروس بجوار جدتها أثناء السنكو



صورة (٢١) تم تزيين العروس بالحناء





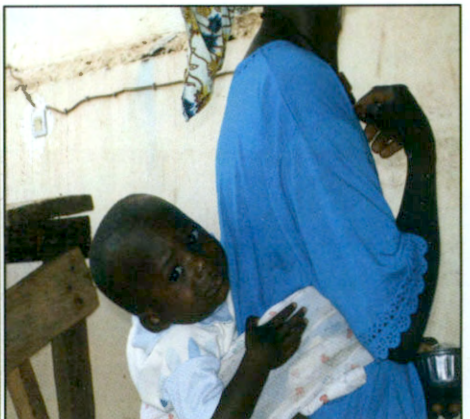
صورة (٢٢،٢٣)

الجيلي فرقة موسيقية من السيدات و الرجال يقمن بإحياء الحفل





صورة (٢٤، ٢٥) الديمبا المسئولة عن العروسه والميناسيري





صورة (٢٦، ٢٧) طريقة حمل الأطفال





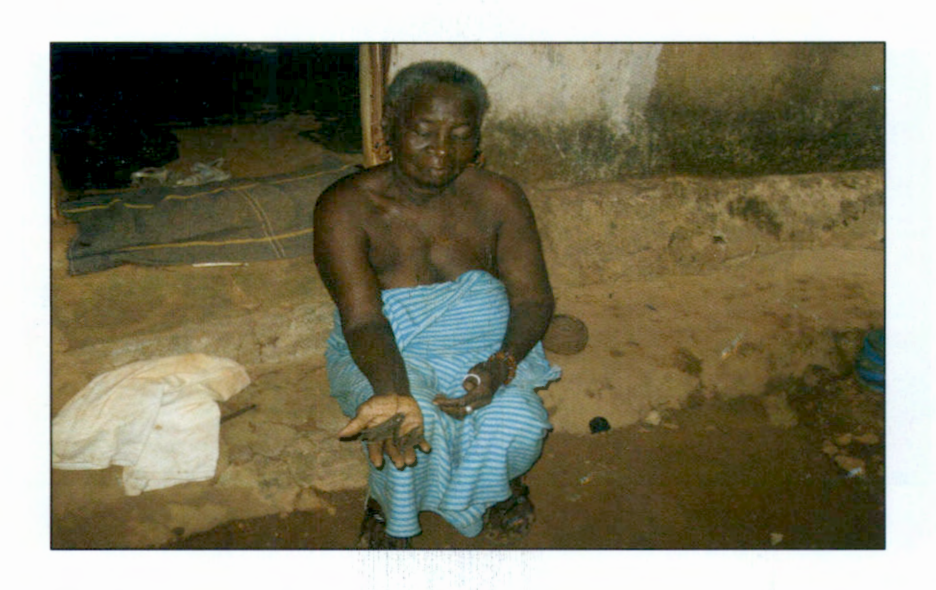
أطفال أعمارهم ٧,٥ سنوات يقومون
بحمل ورعاية الأخت الصغرى (أطفال ترعي أطفال)



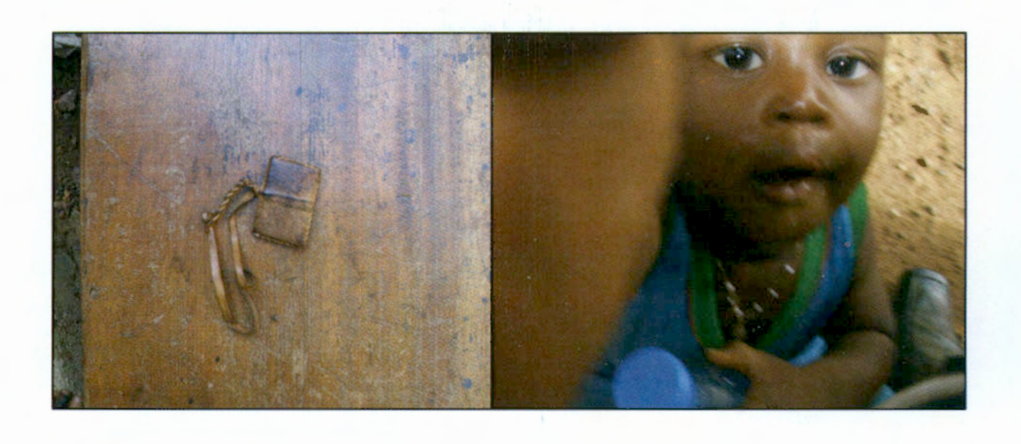
صورة (٢٨) يوضح الأدوات التي تستخدم لختان الإناث



صورة (٢٩) مكان حفظ وتعقيم الأدوات



صورة (٣٠) المرأة التي تقوم بعملية الختان للإناث ويطلق عليها(المومومسو) أما بالنسبة للذكور فإنه يطلق على الرجل الذي يقوم بهذه المهمة (النموكيا)



صور(٣١) طفل يرتدى تافو

صورة (٣٢) تافو من الجلد للكبار والصغار



صورة (٣٣) مع أطفال القري

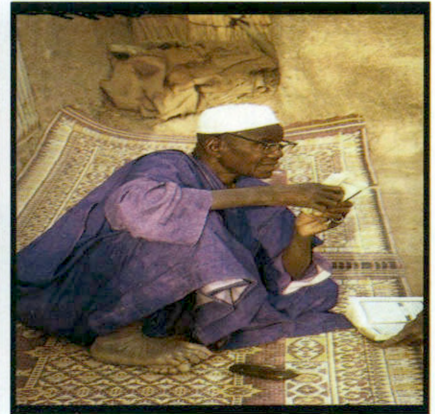


صورة (٣٤) مع بعض الأطفال
فى المدينة باماكو

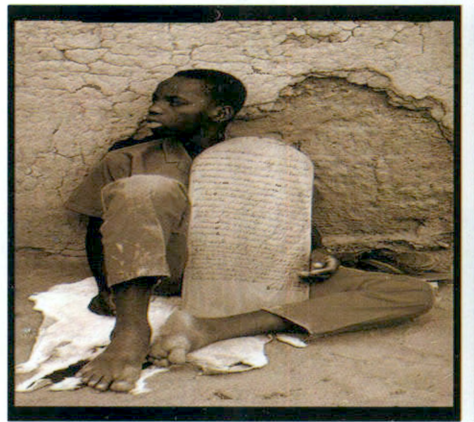




صورة (٣٥ , ٣٦) الأسرة البمبارية



صورة (٣٧) أحد المعلمين في الكتاب



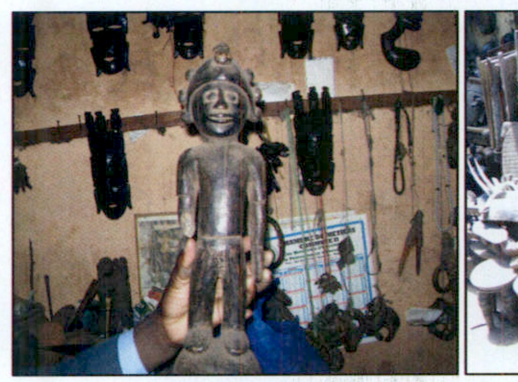
صورة (٣٨) حد الطلبة ومعه اللوح
الخشبي الخاص بالكتابة



صورة (٣٩)إحدى الفصول التقليدية في المدرسة

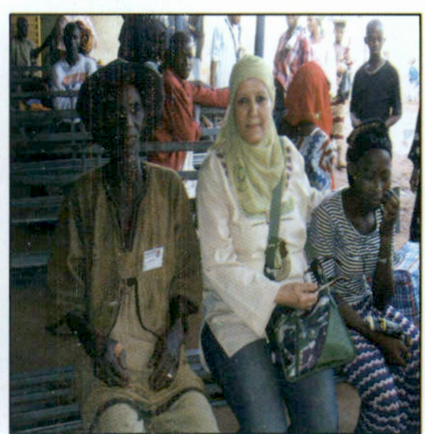


صورة (٤٠) إحدى المدارس من الداخل وتضم فصول للمراحل
التعليمية من الصف الأول الابتدائي إلى الثالث الثانوي





صورة (٤٢,٤١) أحد التماثيل التى يستخدمها غير المسلمين فى العبادة





صورة (٤٣ , ٤٥) فى محطة الحافلات الذاهبة إلى سيجو



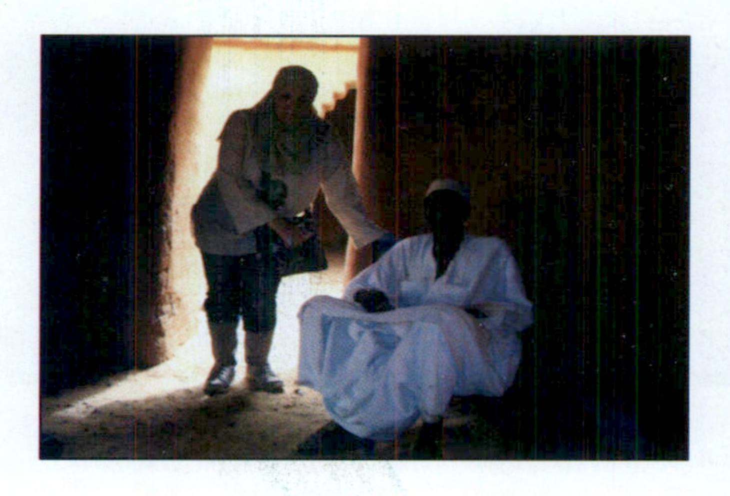
صورة (٤٦) مع أطفال القرية
حيث يقضون يومهم



صورة (٤٧) الاختباء من السيول
ورياح الهرمتان



صورة (٤٨) مع بعض الأهالى فى المنزل



صورة (٤٩) عمدة قرية سيكورو مجتمع الدراسة

المراجع

المراجع العربية :

١ - أحمد أبو زيد : المجتمعات الصحراوية ، ط٢ ،المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية.القاهرة ، ١٩٩٣ .

٢- -------- « ماذا يحدث فى علوم الإنسان والمجتمع » مجلة عالم الفكر ، الكويت ، المجلد الثامن العدد الأول ، سنة ١٩٧٧ ، ص ٢٤٨

٣- أحمد شلبي : موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية – معهد الدراسات والبحوث الإفريقية.

٤- إبراهيم علي طلخان : دولة مالي الإسلامية – دراسات في التاريخ القومي الإفريقي الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – ١٩٧٣ .

٥- إبراهيم أنجاي : الإسلام والمسلمون في إفريقيا ، ندوة جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ، ليبيا ، ١٩٩٨ « الإسلام في دولة مالي »

٦- أحمد محمد الطيب : أصول التربية – المكتب الجامعي الحديث – الإسكندرية – ط١ – ١٩٩٩ . – طبعة ٣ – .١٩٨٧

٧- الشيخ شيرنو عمر تيام : « الإسلام في الدولة العلمانية مالي » . ط١ جمعية عباد الرحمن ، باماكو ١٩٩٣

٨ – البهي الخولي : الإسلام وقضايا المرأة المعاصرة – ط٣ – دار القلم – الكويت –بدون تاريخ نشر

٩- إيمان يوسف البسطويسي : المرأة في المجتمعات الصحراوية (المرأة في قبيلة الجبالية في جنوب سيناء)- وزارة الثقافة – القاهرة –٢٠٠٨

١٠ – آدم عبد الله الأدوري ، عثمان بن فوريو الفلاني : الإسلام في نيجيريا ، ط٢ ،

. ١٩٧١

١١ - إجلال محمود رأفت : الدور السياسي للإسلام بالسنغال ، دراسة تحليلية للطرق الحديدية سلسلة بحوث سياسية رقم ٢٩ ، مركز البحوث والدراسات السياسية ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٩

١٢ - حامد عبد السلام زهران - علم نفس النمو (الطفولة والمراهقة) - عالم الكتب - القاهرة - ط٥ - ١٩٩٥

١٣ - حسن أحمد محمود : الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا ، دار الفكر العربي ، القاهرة ،٢٠٠٦

١٤ - حسين عبد الحميد رشوان : الانثروبولوجيا في المجال التطبيقي - المكتب الجامعي - القاهرة - ١٩٨٩

١٥ -حورية توفيق مجاهد : الإسلام في إفريقيا - مكتبة الأنجلو - القاهرة - ٢٠٠٢ .

١٦ - خيري عبد الحافظ بدير : التنشئة الاجتماعية والتعليم عند الباجندا - رسالة دكتوراه معهد الدراسات والبحوث الإفريقية ١٩٩٥ .

١٧ - زكي محمد إسماعيل : انثروبولوجيا التربية (دراسة نظرية ميدانية في قبيلة الشلك الهيئة المصرية العامة للكتاب - الإسكندرية

١٨ - زكى محمد إسماعيل : الانثروبولوجيا الاجتماعية والفكر الإسلامي - كلية التربية جامعة الأزهر - بدون تاريخ نشر

١٩ - سعد عبد المنعم بركة : « المعتقدات الدينية للدينكا بجنوب السودان» ، في ندوة الدينكا ومشكلة جنوب السودان - معهد البحوث والدراسات الإفريقية ٢٠٠١

٢٠ - سعاد علي شعبان: الانثروبولوجيا الثقافية لإفريقيا - معهد البحوث والدراسات الإفريقية - ٢٠٠٤ القاهرة

٢١ -عيد محمد السيد عيد : أثر المعتقدات الدينية وممارساتها في الحياة الاجتماعية

لدى النيليين معهد الدراسات والبحوث الإفريقية ٢٠٠٤.

٢٢ – عبدالله محمد عبد الرحمن وآخرين : مناهج وطرق البحث العلمي –دار المعرفة الجامعية –القاهرة – ٢٠٠٢

٢٣ – فاروق عبد الجواد شويقة – بعض الرؤى فى الإنثروبولوجيا التطبيقية – البطاش سنتر –الإسكندرية – سنه ٢٠٠٧ .

٢٤- فاروق محمد العادلي & عاطف أمين واصفي : مبادئ الانثروبولوجيا «مدخل اجتماعي ثقافي– بل برنت للطباعة والتصوير – القاهرة »٢٠٠٣

٢٥- فاروق محمد العادلي : الانثروبولوجيا العامة «مدخل متعدد المحاور – بل برنت للطباعة والتصوير – القاهرة »٢٠٠٤

٢٦- فتحية محمد إبراهيم – محمد علي بدوي : مناهج وطرق البحث الاجتماعي – دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية – ٢٠٠٢ .

٢٧- فتحية محمد إبراهيم – مصطفي حمدي الشنواني : مدخل لدراسة الانثروبولوجيا المعرفية – دار المريخ للنشر – الرياض – ١٩٩٥ .

٢٨- فتحية محمد إبراهيم سلوى عبد الحميد الخطيب : مدخل إلى دراسة الانثروبولوجيا النفسية – دار المريخ للنشر – الرياض– ١٩٩٥

٢٩ – فوفانا عبد الله الحاج عمر يحي : جغرافية مالي الطبيعية – رابطة الطلبة الماليين– بجمهورية مصر العربية

٣٠ – فوزية دياب : نمو الطفل وتنشئته بين الأسرة ودور الحضانة – النهضة المصرية – القاهرة – ط ٢ - ١٩٨٠

٣١- لوسي مير : الانثروبولوجيا الاجتماعية « ترجمة علياء شكري وآخرين ٢٠٠٦

٣٢- مايسة أحمد النيال : التنشئة الاجتماعية – البحث في علم النفس الاجتماعي – دار المعرفة الجامعية الإسكندرية – ٢٠٠٢ .

٣٣- مارجريت ميد : النمو والتربية في المجتمعات البدائية – ترجمة نعيمة محمد عيد – مراجعة أحمد زكي صالح – دار النهضة العربية – القاهرة – بدون تاريخ نشر محمد عبد القادر عبد الغفار وآخرين – سيكولوجية النمو – جامعة حلوان – كلية التربية – بدون سنة نشر

٣٤ – محمد عاطف غيث : قاموس علم الاجتماع – دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية – ١٩٩٩

٣٥- محمد عبد الغني سعودي – محسن أحمد الخضيري : كتابة البحوث العلمية – الأنجلو المصرية– القاهرة ٢٠٠٧

٣٦- محمد محمد الهادي : أساليب إعداد وتوثيق البحوث العلمية – المكتبة الأكاديمية – ط١ – ١٩٩٥

٣٧- محمد الهادي عفيفي : في أصول التربية – الأصول الثقافية للتربية – الأنجلو المصرية– القاهرة ١٩٦٥ .

٣٨- محمد الجوهري : «الانثروبولوجيا»أسس نظرية وتطبيقات عملية » دار المعرفة الجامعية الإسكندرية .سنة ٢٠٠٥

٣٩- محمد أحمد بيومي : « علم الاجتماع الديني » دار المعرفة الجامعية الإسكندرية . ١٩٩٥.

٤٠ _ محمد منير موسي : أنثروبولوجيا التربية (الأصول الثقافية للتربية) – عالم الكتب – القاهرة بدون تاريخ نشر

٤١ – هدى محمد قناوي : الطفل وتنشئته وحاجاته – الأنجلو المصرية – القاهرة – ١٩٨٣

٤٢ -هوبير ديشان ، ترجمة أحمد صادق حمدي : الديانات في إفريقيا والسوداء ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ١٩٥٦ .

المراجع الأجنبية :

1 - Bambara Callaway & Lucy Creevey (1994) « The Heritage of Islam»: Women ، Religion and politics in westAfrica

2 - Bril ، Bandine & Sabatier ، Colette (1989) «The cultural context of Motor development postural Mom pulations in the daily life of Bambara babies (Mali) international journal of behavioral development pp 439 – 453

3 - Doyd and B. Mack (2000) The collected wards of Nana Asmu (1793 – 1864)

4 - Durkhaim،E.(1966) the division of labour in society، translated by G.Simpson،the free press New Yourk،London.

5 - Early childhood counts: (1999) programming of early childhood care and development (ECC d).

6 - Hampata ، Amadou Ba (1972) Aspects African civilization (person ، culture ، religion) paries ، translated to English by Susan B. Hunt .(http://pender.ee.upenn.edu/rabii.toes/Ba Aspects ch4 . 9-8-2008

7 - ------------------ (1965) »Animisme en savane Africano« in : Pencomters Intraditional do Bouato ، les Beligious Africanies traditionalles . Paris .

8 - Iudith L. Evans (1994) childrearing paractices in sub – sahraran African An introduction to the studies N. 15 .

9 - Idowu ، E. Boloji (1977) African Traditional religion Adefention . London 10 - International journal of Behavioral Delevopment vg. Dec. 1986 .

11 - Judith Timyan (ECC d) 1988 . » A report prepared de Religional Unicff workshop toward a strategy for Enhaning early childhood Development in West Africa .

12 - Leopold Rosemary ، more than wisdom : (1988) A field study of the old in an African village« journal of cross cultural Gerontology pp 21 – 40 .

13 –The Royal Anthroplogical Insitute of Great Britan And Irelan : (1964) Notes and Queries on Anthropology . (6 THED) Rout ledge And Kegan paul 4،TD، London F.C.4 .

14 - vue . de. Medicine – psychoso.matique. 1978et. De – psychologie – Medical . vol. 17 (2)

15 - Toulmin ، Comilla ، (1992) Cattle ، women and wells : Managing household survival in the Sahel، Oxford university . New York .

16 - Republiuque Du Mali N،ko Mouvement cul turel pour le Devlopement

Bamako du 2003 (Journal)

17 - L.Puchner : (2003) women and literacy in rural Mali : a study of the socio- economic impact of participating in literacy programs in four villages ، international journal of education development

مواقع الإنترنت :

1 -http: //www.en wikipedia.org Islam in Mali (22-2-2008)

2 -http://www.as.ua.edu/ant/faculty/nurphy/436/cogant.h (12-3-2008)

3 - http://www. Bethany.com/profiles/home (21-3-2008)

4 - http: al forsan googoal.com/montada.f121 topie- 12551 .htm (10- 10 –2008)

5 -http://courses.wcupaedu/jones/his311/notes/sundiata.htm (23-7-2008)

6 - htt://Encyclopedia.the freedictionary .com/Bmbara + language (27-7-2008)

7 - Encarta . Interactivie world Atlas . customs of Mali (8-12-2008)

8 - www.dvd4arab.com/showthread.php?t=834238- (12-7-2008)

9 - en-wikipedia . org/wiki/ Bamana .people 44 (23-7 – 2009)

10 -http://www.princetorol.com/groups/the people of Mali (21/8/2008)

11 – http://www.mnqatel.com/Mokatel/data/Behoth/Dwal/Modn18Mali/Mokatel

(7-8-2008)

12 -http://www.princetonel.com/groups/theBamanaofMali (21-8-2008)

13 - http://www.annabaa.org/naba news / 62 / 273htm (10-10-2008)

14 -http://www.daralbachir.com/vp/showthread.php?t=266- (4-

10-2008)

15 - T he constrative.Group Early childhood. Care and Devlopment

16 - http://www.ensan .org sa / vb / showthread ، Php (24-12-2008)

17 - http://en-wikipedia.org/wiki/Bambara. People (12-1-2009)

18 - http://pendeer.ee.upenn.edu/rabii/Toes Aspects ch.4 – 1 htm (12-1-2009)

19 - http://Islamic .web.com begun / population htm (18-1-2009)

20 -http://Africa within . com /religion/inhtr.to.art.h (30 – 11 – 2008)

21 - www.mamiwata.com / women . htm (14 – 12 – 2008)

22 - www.africa world . net / afral /art women . ht (the role of women in African traditional religion by Jonmbit) (14 – 12 – 2008)

23 - http://www. Omans .com book / datd 1/ 172 .htm (10 – 8 – 2008)

24 - http://www. Marafa . org / index phd / d9 (10 – 8 – 2008)

25 - http:// www.lausanne / pattaya 19801 lop – 18 htm (9 – 8 – 2008)

26- http://www. Ethnographica . com

27- African . art . bambara – peoples . gallery . htm

28- Encarta . Interactive world // customs of mali (8 – 12 – 2008)

29- http://www. Alarabiya .net / save (7 – 2009)

30 – htt: //everyculture.com / ja.Mali . htm (27 – 1- 2009)



Abstract

Religious beliefs and socialization of Bambara in Mali in cultural anthropology

The Purpose of this study is to shed light on the religious beliefs of Bambara tribes in Mali and it's effect on socialization especially the society of Bambara one of most communities which adhering to customs and traditions and transmitted it in generations seriatim .

This study is divided into three parts :

The first part : it's the theoretical part .

The second part : it's the practical part and field study on the research community in Sego / results of the study .

The third part : it 's including the pictures and attachments of the study .

Viewing abstract of field study :

The field study is divided into two parts :

The first part : it's the field study which was done by a researcher from Arab Republic of Egypt ، this was through the meetings with the Mali community which residing in missions city in Cairo (a group of students in Al- Azhar university from different faculties) and most of them from Bambara tribes ، in addition to meetings in Mali embassy in Cairo with help of the first correspondent for the message / Mohamed Niazi ، President of union of students of African west in Cairo .

The second part from the study was in Sego city in modern state of Mali where focusing Bambara tribes as this city having a position in the hearts of the people of Bambara and residence in the village of Sekoro . And collecting information from meetings with people ، coexistence with them ، meetings with some of who reasonable for education in the Egyptian embassy there and the researcher used the photography، video and paper and pen to record meetings .

* in this study ، firstly ، shedding light on the traditional religion and its characteristics and their names of traditional Bambara and how to convert to Islam and spread it in Mail and after that in Bambara .

How become one of the traditional beliefs a habit of habits

and one of them is mainly from Islam like polygamy.

- The study also included woman in traditional religion، Islam، then woman and her situation in study society.

- Then declare and explain some habits and traditions that belong to Bambara and it is existing in Mali. Generally one of them is marriage ceremony، what happened with getting married starting from choosing the wife، age of marriage and what follows from the traditional practices. The Study explained that marriage is done in two ways، first of them is the Islamic way and the other one is the traditional way. The researcher observed a traditional marriage ceremony audio and video (photography and video camera) attached to the message photos for this ceremony.

- Recognizing the house، its building in villages، in city and the different between them. They have been entering the house، living in its family، knowing the habits and traditions in marriage، the way of living inside the house and how they divided the home works between family.

- As the researcher declared the traditional practices of woman during her pregnancy، what she follows، what deprives of meals for pregnant woman، what they follows of giving birth rituals and naming the baby. As the researcher observed the way of carrying babies and who do it. It has been photographed.

- The researcher dealt with the habits in raising children، who are raising the children، who take the responsibilities of raising them، stages that the child been through until he enter the school، woman's role in it، family's role and society's role.

- Recognizing the followed habits in raising children in school age، the foundations that contribute in upbringing children from age of birth till the end of childhood، means at the end of almost 15 years old. They did so by the visits that the researcher did to some families، schools، nurseries and ministry of education (Arabic section).

- The education system in Mali generally and in villages specifically has been identified، and the difference between the two systems has been clarified. Besides the educational compulsory age for boys and girls has been shed light، and to what far they interested in girls' education. Some schools and kindergartens in cities and villages have been visited.

- The methodology of the study:

The researcher followed 3 approaches which are:

1- Anthropological approach، field study and the necessary tools for all of that like: the researcher travels and lives with people in Sego/ field work guide/ interviews/ photography/ video.

2- The historical approach to expose Mali's history and the arrival of the Islam، in addition to Bambara's history and how they became Muslims.

3- Descriptive analytical approach to describe، analyze and concludes results of the field study.

Chapters of the study:

(1) Chapter One: The conceptual framework

(2) Chapter Two: The research's society

(3) Chapter Three: The religious beliefs for Bambara

(4) Chapter Four: Socialization for Bambara

References in English and Arabic/ Appendix/ Images



قائمة مطبوعات مركز البحوث العربية والأفريقية

١٩٨٧- ٢٠١٣

١. فؤاد مرسى، مصير القطاع العام فى مصر، ١٩٨٧.

٢. لطيفة الزيات (تحرير)، المشكلة الطائفية فى مصر، ١٩٨٨.

٣. رشدى سعيد وآخرون، أزمة مياه النيل، ١٩٨٨.

٤. عواطف عبد الرحمن، المدرسة الاشتراكية فى الصحافة، ١٩٨٨.

٥. وداد مرقس، سكان مصر، ١٩٨٨.

٦. أبوسيف يوسف وآخرون، النظرية والممارسة فى فكر مهدى عامل: أعمال ندوة فكرية، ١٩٨٩.

٧. إبراهيم برعى، دليل قرارات المجلس الاقتصادى والاجتماعى العربى ١٩٥٣/١٩٨٩.

٨. إبراهيم العيسوى، المسار الاقتصادى فى مصر وسياسات الإصلاح، ١٩٩٠.

٩. إبراهيم بيضون وآخرون، ثقافة المقاومة ومواجهة الصهيونية أعمال ندوة لجنة الدفاع عن الثقافة القومية ١٩٩٠.

١٠. أحمد عبد الله (تحرير)، انتخابات البرلمانية فى مصر، نشر مشترك مع دار سينا ١٩٩٠.

١١. حيدر إبراهيم، أزمة الإسلام السياسى، الجبهة الإسلامية القومية فى السودان، ١٩٩٠.

١٢. نادر فرجانى، الأزمة العربية الكبرى ودور المثقفين، نشر مشترك مع لجنة الدفاع عن الثقافة القومية، ١٩٩٠.

١٣. محمد عبيد غباش، من لا يعرف شيئا فليكتب، خربشات رجل بلاد النفط، ١٩٩١.

١٤. ألفت الروبى، الموقف من القص فى تراثنا النقدى، ١٩٩١.

١٥. محمد على دوس، حياة موارة فى العمل السياسى العربى الأفريقى، ١٩٩١.

١٦. أحمد نبيل الهلالى وآخرون، اليسار المصرى وتحولات الدول الاشتراكية: أعمال ندوة عقدت بالمركز ١٩٩٢.

١٧. أمينة رشيد وآخرون، قضايا المجتمع المدنى فى ضوء فكر جرامشى (مع دار عيبال بدمشق)، ١٩٩٢.

١٨. سمير أمين، من نقد الدولة السوفيتية إلى الدولة الوطنية، ١٩٩٢.

١٩. المسألة الفلاحية والزراعية فى مصر: أعمال ندوة عقدت بالمركز، ١٩٩٢.

٢٠. جويل بنين، زكارى أوكمان، العمال والحركة السياسية فى مصر ج١، ترجمة أحمد صادق سعد، ١٩٩٢.

٢١. إشكاليات التكوين الاجتماعى والفكريات الشعبية فى مصر: أعمال ندوة بالمركز نشر مع دار كنعان، ١٩٩٢.

٢٢. أحمد يوسف أحمد: منطق العمل الوطني- حركة التحرر الوطنى الفلسطينية فى دراسة مقارنة مع حركات التحرر الأفريقية بالتعاون مع مركز القدس للدراسات الإنمائية عمان، ١٩٩٢.

٢٣. ليلى عبد الوهاب، سوسيولوجية الجريمة عند المرأة، ١٩٩٢.

٢٤. أحمد محمد البدوى، لبن الأبنوس يازول، ١٩٩٢.

٢٥. مركز دراسات المرأة الجديدة ومركز البحوث العربية، المرأة وتعليم الكبار، ١٩٩٢.

٢٦. إدريس سعيد، عظام من خزف، ١٩٩٣.

٢٧. دارام جاى (تحرير)، صندوق النقد الدولى وبلدان الجنوب، ترجمة/ مبارك عثمان، نشر مع اتحاد المحامين العرب، ١٩٩٣.

٢٨. مايكل دراكوه (تحرير)، الأنهار الأفريقية وأزمة الجفاف، نشر بالتعاون مع منظمة البحوث الاجتماعية لشرق وجنوب أفريقيا ١٩٩٤.

٢٩. عادل شعبان وآخرون، الحركة العمالية فى معركة التحول، ١٩٩٤.

٣٠. نادية رمسيس فرح (تحرير) السكان والتنمية فى مصر نشر مع دار الأمين، ١٩٩٤.

٣١. آمال سعد زغلول، دور الحركة الشعبية فى حرب السويس، ١٩٩٤.

٣٢. لجنة الدفاع عن الثقافة القومية (دراسات ووثائق ١٩٧٩-١٩٩٤)(من مقاومة التطبيع إلى مواجهة الهيمنة) ١٩٩٤.

٣٣. على عبد القادر، برامج التكيف الهيكلى والفقر فى السودان، ١٩٩٤.

٣٤. حلمى شعراوى وعيسى شيفجى، حقوق الإنسان فى أفريقيا والوطن العربى، ١٩٩٤.

٣٥. لطيفة الزيات (ترجمة وتعليق)، حول الفن، ١٩٩٤.

٣٦. جودة عبد الخالق (تحرير)، تطور الرأسمالية ومستقبل الاشتراكية فى مصر والوطن العربى : ندوة مهداة إلى فؤاد مرسى، ١٩٩٤.

٣٧. عبد الغفار شكر، التحالفات السياسية فى مصر ١٩٩٤.

٣٨. صادق رشيد، أفريقيا والتنمية المستعصية، ت/ مصطفى مجدى الجمال، ١٩٩٥.

٣٩. عبد الغفار أحمد، السودان بين العروبة والأفريقية، ١٩٩٥.

٤٠. بيترنيانجو، من تجارب الحركات الديمقراطية فى أفريقيا والوطن العربى، مع اتحاد المحامين العرب ترجمة حلمى شعراوى وآخرون، ١٩٩٥.

٤١. سمير أمين (تحرير)، المجتمع المدنى والدولة فى الوطن العربى: حالة مصر، نشر مشترك مع دار مدبولى، ١٩٩٦.

٤٢. سمير أمين (تحرير) المجتمع المدنى والدولة فى الوطن العربى : حالة لبنان، مشترك مع مدبولى ١٩٩٦.

٤٣. مصطفى كامل السيد (تحرير)، حقيقة التعددية السياسية فى مصر، نشر مشترك مع مدبولى ١٩٩٦.

٤٤. سيد البحراوى (تحرير)، لطيفة الزيات : الأدب والوطن، نشر مشترك مع دار المرأة العربية، ١٩٩٦.

٤٥. عبد الباسط عبد المعطى: بحوث الطفولة فى الوطن العربى، نشر مشترك مع المجلس العربى للطفولة والتنمية، ١٩٩٦.

٤٦. جويل بنين، زكارى لوكمان، العمال والحركة السياسية فى مصر الجزء الثانى، ترجمة إيمان حمدى، نشر مع دار الخدمات النقابية والعمالية،١٩٩٦.

٤٧. عبد الغفار شكر (تحرير)، الجمعيات الأهلية وأزمة التنمية الاقتصادية والاجتماعية فى مصر، نشر مشترك مع دار الأمين، ١٩٩٧.

٤٨. سمير أمين (تحرير)، المجتمع المدنى والدولة فى الوطن العربى : حالة المشرق العربى نشر مشترك مع دار مدبولى، ١٩٩٧.

٤٩. سمير أمين (تحرير)، المجتمع المدنى والدولة فى الوطن العربى : حالة المغرب العربى نشر مشترك مع دار مدبولى، ١٩٩٧.

٥٠. كمال مغيث (تحرير)، التعليم وتحديات الهوية القومية، نشر مشترك مع دار المحروسة، ١٩٩٨.

٥١. عبد الغفار شكر، اليسار العربى وقضايا المستقبل ١٩٩٨. نشر مشترك مع دار مدبولى، ١٩٩٨.

٥٢. عاصم الدسوقى (تحرير)، عمال وطلاب فى الحركة الوطنية المصرية. نشر

مشترك مع دار المحروسة، ١٩٩٨.

٥٣. محمد أبو مندور وآخرون، الإفقار فى بر مصر، نشر مشترك مع دار الأهالى، ١٩٩٨.

٥٤. عبد الغفار أحمد (تحرير)، إدارة الندرة، ترجمة صلاح أبو نار وآخرون،١٩٩٨.

٥٥. لايف مانجر وآخرون، البقاء مع العسر، ترجمة صلاح أبو نار- مجدى النعيم، ١٩٩٨.

٥٦. نجاتى عبد المجيد وآخرون، سلسلة كتب شهادات ورؤى:من تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥ : الجزء الأول بالتعاون مع لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥، ١٩٩٨.

٥٧. لايف مانجر، لفوفة النوبة، ترجمة مصطفي مجدى، ١٩٩٩.

٥٨. أمينة رشيد (تحرير): التبعية الثقافية : مفاهيم وأبعاد، نشر مشترك مع دار الأمين، ١٩٩٩.

٥٩. محمود عودة، (إشراف)، الأسر المعيشية فى الريف المصرى، نشر مشترك مع جامعة عين شمس، ١٩٩٩.

٦٠. محمد محيى الدين، (إشراف)، نساء الغزل والنسيج : الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، ١٩٩٩.

٦١. عبد الحميد حواس وآخرون، المأثور الشعبى فى الوطن العربى، نشر مشترك مع المنظمة العربية للتربية وللثقافة وللعلوم، ١٩٩٩.

٦٢. عبد الباسط عبد المعطى(تحرير)، العولمة والتحولات المجتمعية فى الوطن العربى، نشر مشترك مع دار مدبولى، ١٩٩٩.

٦٣. عزة خليل (إعداد)، خريطة سياسات وخدمات الطفولة فى مصر، نشر مشترك مع المركز القومى للثقافة والطفل، ١٩٩٩.

٦٤. يوسف درويش وآخرون، سلسلة كتب شهادات ورؤى: من تاريخ الحركة

الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥ : الجزء الثانى بالتعاون مع لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥، ١٩٩٩.

٦٥. شهيدة الباز(إشراف)، مصطفى مجدى الجمال(مسئول التحرير)، (أفريقية - عربية: مختارات العلوم الاجتماعية، المجلد الأول، نشر مشترك مع كوديسريا ودار الأمين، أكتوبر ١٩٩٩.

٦٦. أمينة رشيد (تحرير)، الحريات الفكرية والأكاديمية، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٠.

٦٧. فاروق القاضى، فرسان الأمل : تأمل فى الحركة الطلابية المصرية، ٢٠٠٠.

٦٨. جردا منصور، مديحة دوس (تحرير)، سلسلة أوراق في علم اللغة، الورقة الأولى-يناير ٢٠٠٠ حول (مشكلات تدريس اللغات فى مصر)، نشر مشترك مع جماعة اللغويين فى القاهرة.

٦٩. محمد سيد أحمد وآخرون، سلسلة كتب شهادات ورؤى: من تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥ : الجزء الثالث بالتعاون مع لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥، ٢٠٠٠.

٧٠. شهيدة الباز(إشراف)، مصطفى مجدى الجمال(مسئول التحرير)، (أفريقية - عربية : مختارات العلوم الاجتماعية، المجلد الثانى، نشر مشترك مع كوديسريا ودار الأمين، مارس ٢٠٠٠.

٧١. أحمد مختار منصور، الجراحة فى الحضارة العربية الإسلامية، دراسة تاريخية، ٢٠٠٠.

٧٢. جردا منصور، مديحة دوس (تحرير)، سلسلة أوراق في علم اللغة، الورقة الثانية- نوفمبر ٢٠٠٠ (دراسات حول اللغة العربية فى مصر)، الورقة الثالثة، نشر مشترك مع جماعة اللغويين فى القاهرة.

٧٣. شهيدة الباز(إشراف)، مصطفى مجدى الجمال(مسئول التحرير)، (أفريقية - عربية : مختارات العلوم الاجتماعية، المجلد الثالث، نشر مشترك مع كوديسريا ودار

الأمين، أكتوبر ٢٠٠٠.

٧٤. حلمى شعراوى، أفريقيا فى نهاية قرن، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٠

٧٥. أديب ديمترى وآخرون، سلسلة كتب شهادات ورؤى:من تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥ : الجزء الرابع بالتعاون مع لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥، ٢٠٠١.

٧٦. مصطفى مجدي الجمال (تحرير)، فلسطين والعالم العربى، نشر مشترك مع دار مدبولى، ٢٠٠١

٧٧. عبد الغقار شكر (تحرير)، تحديات المشروع الصهيونى والمواجهة العربية. نشر مشترك مع دار مدبولى، ٢٠٠١.

٧٨. فرانسوا أوتار وفرانسوا بوليه، فى مواجهة دافوس، ترجمة : سعد الطويل، نشر مشترك مع دار ميريت، ٢٠٠١.

٧٩. عبد الغفار شكر (إشراف)، الجمعيات الأهلية الإسلامية فى مصر، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠١.

٨٠. كويسى براه، اللغات الأفريقية وتعليم الجماهير، ترجمة وتحرير حلمى شعراوى، بالتعاون مع مركز الدراسات المتقدمة للمجتمع الأفريقى بكيب تاون، الناشر، دار الأمين، ٢٠٠١.

٨١. فيتينو بيكيلى، وآخرون، دراسات مختارة/ التحولات الاجتماعية والمرأة الأفريقية، بالتعاون مع منظمة أوسريا بأديس أبابا، تقديم د. عبد الغفار محمد أحمد، الناشر دار الأمين، ٢٠٠١.

٨٢. أحمد القصير وآخرون، سلسلة كتب شهادات ورؤى:من تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥ : الجزء الخامس بالتعاون مع لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥، ٢٠٠١.

٨٣. رمسيس لبيب (تحرير)، العمال فى الحركة الشيوعية المصرية حتى ١٩٦٥،

الورشة الأولى بالتعاون مع لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥،٢٠٠١.

٨٤. شهيدة الباز(إشراف)، مصطفى مجدى الجمال(مسئول التحرير)، (أفريقية - عربية: مختارات العلوم الاجتماعية، المجلد الرابع، نشر مشترك مع كوديسريا ودار الأمين، أكتوبر ٢٠٠١.

٨٥. سعد الطويل (تحرير)، الأجانب فى الحركة الشيوعية المصرية حتى ١٩٦٥، الورشة الثانية، بالتعاون مع لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥، ٢٠٠٢.

٨٦. جردا منصور، مديحة دوس (تحرير)، سلسلة أوراق في علم اللغة، الورقة الثالثة- مايو ٢٠٠٢ (مساهمات فى اللغويات العربية)، نشر مشترك مع جماعة اللغويين فى القاهرة.

٨٧. سمير أمين، مستقبل الجنوب فى عالم متغير، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٢.

٨٨. أكيكي بى موجاجو وآخرون، دراسات اجتماعية في شرق وجنوبي أفريقيا، بالتعاون مع منظمة أوسريا بأديس أبابا، الناشر دار الأمين، ٢٠٠٢.

٨٩. سمير أمين وآخرون، العلاقات العربية الأوربية: قراءة عربية نقدية، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٢.

٩٠. يسرى مصطفى (تحرير)، المجتمع المدنى وسياسات الإفقار فى العالم العربى، نشر مشترك مع دار ميريت، ٢٠٠٢.

٩١. فخرى لبيب، حلمى شعراوى (تحرير)، منظمة التجارة العالمية ومصالح شعوب الجنوب، بالتعاون مع منظمة تضامن الشعوب الأفريقية الآسيوية وعدد من المنظمات غير الحكومية، الناشر مركز المحروسة، ٢٠٠٢.

٩٢. إسماعيل عبد الحكم وآخرون، سلسلة كتب شهادات ورؤى: من تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥: الجزء السادس بالتعاون مع لجنة توثيق

تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥، ٢٠٠٢.

٩٣. عبد الغفار محمد أحمد، فى تاريخ الأنثروبولوجيا والتنمية فى السودان، ترجمة: مصطفى مجدى الجمال، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٢.

٩٤. عبد الغفار شكر (تحرير)، الجمعيات التعاونية كمنظمات شعبية تنموية- الجزء الأول، نشر مشترك مع مركز المحروسة، ٢٠٠٢.

٩٥. حنان رمضان (تحرير)، المرأة فى الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥، الورشة الثالثة، بالتعاون مع لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥، ٢٠٠٢.

٩٦. عريان نصيف (تحرير)، الفلاحون فى الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥، الورشة الرابعة، بالتعاون مع لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى ١٩٦٥، ٢٠٠٢.

٩٧. شهيدة الباز(إشراف)، مصطفى مجدى الجمال(مسئول التحرير)، (أفريقية - عربية : مختارات العلوم الاجتماعية، المجلد الخامس، نشر مشترك مع كوديسريا ودار الأمين، ٢٠٠٢.

٩٨. سمير أمين وآخرون، الاشتراكية واقتصاد السوق: تجارب (الصين- فيتنام- كوبا)، نشر مشترك مع مكتبة مدبولى، ٢٠٠٣.

٩٩. عبد الحميد حواس، أوراق في الثقافة الشعبية في مصر، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٣.

١٠٠. عبد الغفار شكر (تحرير)، الجمعيات التعاونية كمنظمات شعبية تنموية- الجزء الثانى، نشر مشترك مع مركز المحروسة، ٢٠٠٣.

١٠١. مدحت أيوب (تحرير)، الأمن القومى العربي، نشر مشترك مع مكتبة مدبولى، ٢٠٠٣.

١٠٢. طايع آصيفا وآخرون (تحرير)، العولمة والديمقراطية والتنمية: تحديات

وآفاق، نشر مشترك مع منظمة العلوم الاجتماعية لشرق وجنوبى أفريقيا (أديس أبابا)، ومركز المحروسة، ٢٠٠٣.

١٠٣. فخرى لبيب (تحرير)، الطلبة فى الحركة الشيوعية المصرية حتى ١٩٦٥، الورشة الخامسة، بالتعاون مع لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥، ٢٠٠٣.

١٠٤. جردا منصور، مديحة دوس (تحرير)، سلسلة أوراق فى علم اللغة، الورقة الرابعة- مايو ٢٠٠٣ (قضايا حول اللغة العربية والتعبير العلمى)، نشر مشترك مع جماعة اللغويين فى القاهرة.

١٠٥. هويدا عدلى (تحرير)، ثقافة وسائل الاتصال فى الوطن العربى: الإعلام والهوية، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٣.

١٠٦. شهيدة الباز(إشراف)، مصطفى مجدى الجمال(مسئول التحرير)، (أفريقية - عربية : مختارات العلوم الاجتماعية، المجلد السادس، نشر مشترك مع كوديسريا ودار الأمين، ٢٠٠٣.

١٠٧. سمير أمين، فرانسوا أوتار (تحرير)، مناهضة العولمة : حركة المنظمات الشعبية فى العالم، ترجمة: م.سعد الطويل، نشر مشترك مع المنتدى العالمى للبدائل، ودار الأمين، ٢٠٠٣.

١٠٨. أحمد برقاوى وآخرون، الدولة الوطنية وتحديات العولمة فى الوطن العربى، نشر مشترك مع مركز الدراسات والبحوث الإستراتيجية دمشق ومكتبة مدبولى، ٢٠٠٣.

١٠٩. رمسيس لبيب(تحرير)، الانقسامية وأزمة الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥، الورشة السادسة والسابعة، بالتعاون مع لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى ١٩٦٥، ٢٠٠٣.

١١٠. محمد ماهر الجمال، أحمد لطفى السيد: دراسة فى الخارطة المعرفية، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٣.

١١١. عبد الغفار شكر (منسق البحث)، نظام الخدمة العامة فى مصر وآفاق تطويره:

دراسة حالة محافظة دمياط، بالتعاون مع شبكة الجمعيات الأهلية للتنمية وقضايا النوع بدمياط، ٢٠٠٣.

١١٢. شهيدة الباز(إشراف)، مصطفى مجدى الجمال(مسئول التحرير)، (أفريقية - عربية : مختارات العلوم الاجتماعية، المجلد السابع، نشر مشترك مع كوديسريا ودار الأمين، ٢٠٠٤.

١١٣. ريمى هيريرا وآخرون، ترجمة باتسى جمال الدين، الثورة الكوبية... إلى أين....؟ دراسة فى ملامح التاريخ الكوبى واستشراف القرن الواحد والعشرين، نشر مشترك مع منتدى العالم الثالث ودار العالم الثالث،٢٠٠٤.

١١٤. أليون سال (تحرير)، ترجمة: سعد الطويل، أفريقيا ٢٠٢٥، أى مستقبل؟ نشر مشترك مع البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة، المدينة برس، ٢٠٠٤.

١١٥. دينيس فينتر وآخرون، دراسات اجتماعية في شرق وجنوبي أفريقيا، العدد الثالث نشر مشترك مع منظمة العلوم الاجتماعية لشرق وجنوبى أفريقيا (أوسريا) بأديس أبابا، الناشر المدينة برس، ٢٠٠٤.

١١٦. هاين ماريز، جنوب أفريقيا:حدود التغيير: الاقتصاد السياسى لمرحلة الانتقال، ترجمة صلاح العمروسى وعزة الخميسى، نشر مشترك مع منتدى العالم الثالث وآخرون، الناشر دار الأمين، ٢٠٠٤.

١١٧. د.أحمد زايد - د.عروس الزبير (تحرير)، النخب الاجتماعية: حالة الجزائر ومصر، نشر مشترك مركز البحوث فى الاقتصاد التطبيقى من أجل التنمية بالجزائر، مع الناشر دار مدبولى، ٢٠٠٤.

١١٨. د. حمدى عبد الرحمن -عزة خليل، المجتمع المدنى ودوره فى التكامل الأفريقى، نشر مشترك مع مركز المجتمع المدنى -جامعة ناتال، الناشر المدينة برس، ٢٠٠٤.

١١٩. فاروق القاضى، آفاق التمرد: قراءة نقدية فى التاريخ الأوروبى والعربى الإسلامى، نشر مشترك مع المؤسسة العربية للدراسات والنشر بالأردن، ٢٠٠٤.

١٢٠. جوزيف بوسير وآخرون، دراسات اجتماعية في شرق وجنوبي أفريقيا، العدد الرابع نشر مشترك مع منظمة العلوم الاجتماعية لشرق وجنوبى أفريقيا (أوسريا) بأديس أبابا، الناشر المدينة برس، ٢٠٠٤.

١٢١. سمير أمين وآخرون، الصراع حول المياه: الإرث المشترك للإنسانية، ترجمة: م. سعد الطويل، نشر مشترك مع منتدى البدائل العالمى الثالث، الناشر مكتبة مدبولى، ٢٠٠٥.

١٢٢. عبد العال الباقورى، وعد بوش.. بلفور الجديد: الحصاد المُر للساداتية، الناشر مكتبة مدبولى، ٢٠٠٥.

١٢٣. رمسيس لبيب (تحرير وتقديم)، اليسار فى الثقافة المصرية، بالتعاون مع لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى ١٩٦٥، الناشر دار الثقافة، ٢٠٠٥.

١٢٤. ألفريد نهيما (تحرير)، قضايا السلم المنشود فى أفريقيا: التحولات والديمقراطية والسياسات العامة، ترجمة:مصطفى مجدى الجمال، نشر مشترك مع منظمة بحوث العلوم الاجتماعية لشرق وجنوبى أفريقيا (أوسريا) بأديس أبابا، الناشر دار الأمين، ٢٠٠٥.

١٢٥. شهيدة الباز(إشراف)، مصطفى مجدى الجمال(مسئول التحرير)، (أفريقية - عربية : مختارات العلوم الاجتماعية، المجلد الثامن، نشر مشترك مع كوديسريا ودار الأمين، ٢٠٠٥.

١٢٦. جردا منصور، مديحة دوس (تحرير)، سلسلة أوراق فى علم اللغة، الورقة الخامسة- يونيه ٢٠٠٥ (اللغة والإيديولوجية والسلطة)، نشر مشترك مع جماعة اللغويين فى القاهرة.

١٢٧. عزة خليل (تحرير)، تقديم سمير أمين، الحركات الاجتماعية فى العالم العربى، نشر مشترك مع المنتدى العالمى للبدائل، الناشر مكتبة مدبولى، ٢٠٠٥.

١٢٨. سامية الهادى النقر، الجمعيات الأهلية والإسلام السياسى فى السودان، الناشر مكتبة مدبولى، ٢٠٠٥.

١٢٩. عروس الزبير، الجمعيات الأهلية الإسلامية- حالة الجزائر، نشر مع دار الأمين، ٢٠٠٦.

١٣٠. أحمد سليّم وآخرون، سلسلة كتب شهادات ورؤي : من تاريخ الحركة الشيوعية المصرية جـ٧ بالتعاون مع لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتي عام ١٩٦٥، ٢٠٠٦.

١٣١. عبد الأمير السعد، الاقتصاد العالمى: قضايا راهنة، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٦.

١٣٢. حسام رضا، إسرائيل فى الزراعة المصرية، الناشر مركز المحروسة، ٢٠٠٦.

١٣٣. زهدى الشامى وآخرون، دراما أمريكا اللاتينية، دروس التنمية والتحدى الديمقراطى، الناشر مركز المحروسة، ٢٠٠٦.

١٣٤. شهيدة الباز(إشراف)، مصطفى مجدى الجمال (مسئول التحرير)، (أفريقية - عربية : مختارات العلوم الاجتماعية، المجلد التاسع، نشر مشترك مع كوديسريا ودار الأمين، ٢٠٠٦.

١٣٥. عبد الله على إبراهيم، أصيل الماركسية: النهضة والمقاومة في ممارسة الحزب الشيوعي السوداني، نشر مشترك مع دار الأمين، .٢٠٠٦

١٣٦. آرشى مافيجى، التشكيلات الاجتماعية فى أفريقيا- دراسة فى النظرية والتطبيق إقليم البحيرات العظمى، ترجمة: مصطفى مجدى الجمال- تقديم حلمى شعراوى، الناشر، مركز المدينة للإعلام والنشر، .٢٠٠٧

١٣٧. ب. بيكمان- ل.م. ساشيكوني (تحرير)، أنظمة العمل واللبرلة: إعادة هيكلة علاقات الدول- المجتمع فى أفريقيا، ترجمة: عزة خليل، الناشر مركز المحروسة، ٢٠٠٧.

١٣٨. سمير أمين (إشراف)، الفلاحون وتحديات القرن الواحد والعشرين، ترجمة: باتسى جمال الدين- غادة طنطاوى، مراجعة سعد الطويل، الناشر دار العالم الثالث،

٢٠٠٧.

١٣٩. وداد مترى: قلب بحجم الوطن، إعداد مركـز البحـوث العربيـة والإفريقيـة، مطبعة مركز المدينة، ٢٠٠٧.

١٤٠. سعد الطويل وآخرون (تحرير)، وثائق الحركة الشيوعية المصرية حتـى عـام ١٩٦٥، **المجلد الأول من ١٩٤٤-١٩٥٢**، بالتعاون مـع لجنـة توثيـق تـاريخ الحركـة الشيوعية المصرية حتى ١٩٦٥، ونشر مشترك مع دار العالم الثالث، ٢٠٠٧.

١٤١. مصـطفى مجـدى الجمـال، كتـاب البوليفـاري، تشـافيس : جـدل الثـورة والكاريزما، نشر مشترك مع مكتبة مدبولى، ٢٠٠٧.

١٤٢. عبـد الأميـر السـعد، قضـايا رأس المـال والعمـل، نشـر مشـترك مـع مركـز المحروسة، ٢٠٠٧.

١٤٣. حسنين كشك- حنان رمضان (تحرير)، أحوال الزراعة والفلاحـون فى ظـل سياسات التكيف الهيكلى، نشر مشـترك مـع مركـز المحروسـة والخـدمات الصـحفية والمعلومات، ٢٠٠٧.

١٤٣(أ). جردا منصور، مديحة دوس (تحرير)، سلسلة أوراق فى علم اللغة، الورقة السادسة- سبتمبر ٢٠٠٧ (قضايا فى الازدواجية اللغوية العربية)، نشر مشترك مع جماعة اللغويين فى القاهرة، ٢٠٠٧.

١٤٤. سمير أمين (إشراف)، العمال وتحديات القرن الواحد والعشرين، الناشر دار العالم الثالث، ٢٠٠٨.

١٤٥. سمير عبد الباقى (تحرير)، هديل اليمام وراء القضبان: مختارات من قصـائد الشعراء الشيوعيين المصريين فى السجون والمعتقلات مـن ١٩٤٥-١٩٦٥، بالتعـاون مع لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى ١٩٦٥، نشر مشترك مع دار العالم الثالث، ٢٠٠٨.

١٤٦. سعد الطويل (تحرير)، المهنيون وأزمة الحركة الشيوعية المصرية حتى عـام ١٩٦٥، الورشة التاسعة، بالتعاون مع لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى

١٩٦٥، ٢٠٠٨.

١٤٧. إلهامى الميرغنى(تحرير)، حوارات ساخنة بين اليسار العربى والأوروبى، بالتعاون مع مؤسسة روزا لوكسمبورج الألمانية، الناشر دار العالم الثالث، ٢٠٠٨. وصدر أيضًا باللغة الإنجليزية.

١٤٨. زهدى الشامى (تحرير)، فى البحث عن بديل لمشاكل الزراعة والفلاحين في مصر بالتعاون مع مركز المحروسة، ٢٠٠٨.

١٤٩. سعد الطويل وآخرون (تحرير)، وثائق الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥، المجلد الثانى من ١٩٥٢-١٩٥٣، بالتعاون مع لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى ١٩٦٥، ٢٠٠٨.

١٥٠. إيمان البسطويسى (تحرير)، الثقافات المحلية فى ظل العولمة: دراسات مصرية أفريقية، بالتعاون مع معهد البحوث والدراسات الأفريقية- جامعة القاهرة، الناشر دار العالم الثالث، ٢٠٠٨.

١٥١. مدحت أيوب (تحرير)، بدائل التنمية، بالتعاون مع الجمعية العربية للبحوث الاقتصادية، الناشر دار العالم الثالث، ٢٠٠٨.

١٥٢. جردا منصور، مديحة دوس (تحرير)، سلسلة أوراق فى علم اللغة، الورقة السابعة، نشر مشترك مع جماعة اللغويين فى القاهرة، ٢٠٠٨.

١٥٣. محمد جويلى، الثأر الرمزى: تماس الهويات فى واحات الجنوب التونسى، تقديم د.الطاهر لبيب، بالتعاون مع دار العالم الثالث، ٢٠٠٨.

١٥٤. مجموعة من العلماء الصينيين، أحوال الصين: دراسات نقدية، ترجمة مصطفى مجدى الجمال وآخرون، بالتعاون مع دار العالم الثالث، ٢٠٠٨.

١٥٥. شهيدة الباز(إشراف)، مصطفى مجدى الجمال(مسئول التحرير)، (أفريقية - عربية : مختارات العلوم الاجتماعية، المجلد العاشر، نشر مشترك مع كوديسريا ودار العالم الثالث، إبريل ٢٠٠٩.

١٥٦ . شهيدة الباز(إشراف)، مصطفى مجدى الجمال(مسئول التحرير)، (أفريقية - عربية : مختارات العلوم الاجتماعية، المجلد الحادى عشر، نشر مشترك مع كوديسريا ودار العالم الثالث، إبريل ٢٠١٠.

١٥٧ .عبد الغفار شكر، الصراع حول الديمقراطية فى مصر، نشر مشترك مع مركز المحروسة، ٢٠٠٩.

١٥٨ .عبد العال الباقوري(تحرير)، الإستراتيجية الإسرائيلية تجاه الوطن العربى، نشر مشترك مع مركز المحروسة، ٢٠٠٩.

١٥٩ . ضياء الدين زاهر(تحرير)، تمويل التعليم فى مصر، نشر مشترك مع كوديسريا، ٢٠٠٩.

١٦٠ . حلمى شعراوى (تحرير)، فى رحاب فاروق كدودة: التنمية والديمقراطية، ٢٠٠٩.

١٦١ . حلمى شعراوى، أفريقيا من قرن إلى قرن، نشر مشترك مع مكتبة جزيرة الورد، ٢٠١٠.

١٦٢ .عاصم الدسوقى (تقديم)، حنان رمضان (الإعداد والتصنيف)، مجلة الفجر الجديد، المجلد الأول، والثانى، مطبوعات المركز بالتعاون مع صندوق التنمية الثقافية، ٢٠١٠.

١٦٣ . عبد الغفار شكر وآخرون، الأحزاب السياسية وأزمة التعددية فى مصر، نشر مشترك مع مكتبة جزيرة الورد للنشر والتوزيع، ٢٠١٠.

١٦٤ . سعد الطويل وآخرون (تحرير)، وثائق الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥، المجلد الثالث من ١٩٥٣-١٩٥٤، بالتعاون مع لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى ١٩٦٥، ٢٠١١.

١٦٥ - عطيه الصيرفى، تاريخ عمال الزراعة والتراحيل فى مصر والعالم: منذ عهد السخرة حتى سنة ١٩٦٩، نشر مشترك مع مكتبة جزيرة الورد للنشر والتوزيع ٢٠١١.

١٦٦.حلمى شعراوى، عبد الغفار شكر (تحرير)، نحو نهوض اليسار فى العالم العربى: حوارات مع أطروحات كريم مروة، نشر مشترك مع مكتبة جزيرة الورد للنشر والتوزيع .٢٠١١

١٦٧.حلمى شعراوى، السودان فى مفترق الطرق، نشر مشترك مع مكتبة جزيرة الورد للنشر والتوزيع .٢٠١١

١٦٨.باسم رزق عدلى رزق، أفريقيا والغرب، دراسة لآراء المفكر الأفريقى اللاتينى ولتر رودنى، نشر مشترك مع مكتبة جزيرة الورد للنشر والتوزيع .٢٠١١

١٦٩. شهيدة الباز (رئيسة التحرير)، مصطفى مجدى الجمال (مدير التحرير)، (أفريقية – عربية): مختارات العلوم الاجتماعية، المجلد الثانى عشر، نشر مشترك مع كوديسريا والمركز، .٢٠١١

١٧٠. طه طنطاوى، فرانز فانون والثورة الجزائرية (كتب جائزة حلمى شعراوى للدراسات الأفريقية)، نشر مشترك مع مكتبة جزيرة الورد للنشر والتوزيع .٢٠١٢

١٧١. هبة البشبيشى، أفريقيا فى الفكر السياسى الصهيونى (كتب جائزة حلمى شعراوى للدراسات الأفريقية)، نشر مشترك مع مكتبة جزيرة الورد للنشر والتوزيع ٢٠١٢.

١٧٢. شهيدة الباز (رئيسة التحرير)، مصطفى مجدى الجمال (مدير التحرير)، (أفريقية – عربية): مختارات العلوم الاجتماعية، المجلد الثالث عشر ، نشر مشترك مع كوديسريا والمركز، .٢٠١٢

١٧٣. . شهيدة الباز(رئيسة التحرير)، مصطفى مجدى الجمال (مدير التحرير)، (أفريقية – عربية) : مختارات العلوم الاجتماعية، المجلد الرابع عشر ، نشر مشترك مع كوديسريا والمركز، .٢٠١٢

١٧٤. حلمى شعراوى- عبد الغفار شكر(تحرير)، الحركات الاحتجاجية الاجتماعية فى مصر والتمهيد لثورة ٢٥ يناير، نشر مشترك بين المركز وكوديسريا ومكتبة جزيرة الورد، .٢٠١٢

١٧٥ . سعد الطويل، حنان رمضان (تحرير)، وثائق الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥، المجلد الرابع من ١٩٥٥-١٩٥٦، بالتعاون مع لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى ١٩٦٥، ٢٠١٣.

١٧٦ . شهيدة الباز(رئيسة التحرير)، مصطفى مجدى الجمال (مدير التحرير)، (أفريقية – عربية) : مختارات العلوم الاجتماعية، المجلد الرابع عشر ، نشر مشترك مع كوديسريا والمركز، ٢٠١٣.

كراسات المركز

١. أحمد هنى، حول إجراءات الإصلاح الاقتصادى فى الجزائر، ١٩٨٨ .

٢. عصام فوزى، ترجمة ثلاثة قراءات سوفيتية فى البيريسترويكا، ١٩٨٨ .

٣. أشرف حسين، ببليوجرافيا الطبقة العاملة، ١٩٨٨ .

٤. عبد العظيم أنيس، قراءة نقدية فى كتابات ناصرية، ١٩٨٩ .

٥. مصطفى نور الدين عطية، المجتمعات التابعة ومشكلات التنمية المستقلة، ١٩٨٩

٦. موشى ليوين وآخرون، تقديم/ فؤاد مرسى، البيريسترويكا فى عيون الآخرين، ١٩٩٠

٧. محمد أبو مندور وآخرون، أزمة المياه فى الوطن العربى، نشر مشترك مع دار الأمين، ١٩٩٩.

٨. إسماعيل زقزوق، المهمشون بين النمو والتنمية، نشر مشترك مع دار الأمين، ١٩٩٩.

٩. عبد الغفار شكر، تجديد الحركة التقدمية المصرية، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٠.

١٠ . حنان رمضان (إعداد)، العراق تحت الحصار، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٠.

١١. أحمد صالح، الإنترنت والمعلومات، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠١.

١٢. عريان نصيف (تحرير)، الأرض والفلاح، نشر مشترك مع دار الأمين ٢٠٠١.

١٣. أحمد عبد الله، عمال مصر وقضايا العصر، نشر مشترك مع دار المحروسة، ٢٠٠٢.

١٤. عريان نصيف (تحرير)، التشريع التعاونى فى مصر: الواقع.... وآفاق المستقبل، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٢.

١٥. د.محمد ماهر الجمال، مضامين التربية الشعبية، في مجلة «الأستاذ» لعبد الله النديم، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٣.

١٦. مدحت أيوب، قضايا فى الاقتصاد المصرى بعد التكيف الهيكلى، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٣.

١٧. كلود كاتز وآخرون، ترجمة يوسف درويش، إمبريالية القرن الواحد والعشرين، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٣.

١٨. سمير أمين، الفيروس الليبرالى: الحرب الدائمة وأمركة العالم، نشر مشترك مع مركز المحروسة، ٢٠٠٤.

١٩. محمد إسماعيل زاهر، أزمة الوعى العربى بين الحملة الفرنسية والحملة الأمريكية، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٤.

٢٠. بهيج نصار، البحث عن مفهوم للديمقراطية فى مرحلة الثروة العلمية والتكنولوجية الراهنة، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٤.

٢١. الحركة العمالية المصرية: الخبرة النضالية وآفاق المستقبل، نشر مشترك مع مركز المحروسة، ٢٠٠٤.

٢٢. د.حامد الهادي، إحصاءات السكان والحيازة الزراعية: تحليل اجتماعي، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٥.

٢٣. د.سيد عشماوى، الدراسات الحديثة في تاريخ مصر الاجتماعي الحديث

خلال السنوات العشر الأخيرة، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٥.

كتيبات كوديسريا

١- أوكوادبا نولى، الصراع العرقى فى أفريقيا،.١٩٩١

٢- ايبو هو تشغول، الجيش والعسكرية فى أفريقيا، ١٩٩١.

٣- ديساليجن رحماتو، منظمات الفلاحين فى أفريقيا : قيود وإمكانيات، ١٩٩١.

٤- جيمى آديسينا، الحركات العمالية وضع السياسة فى أفريقيا، ١٩٩٢.

٥- مومار ديوب، ممادو ديوف، تداول السلطة السياسية وآلياتها فى أفريقيا، .١٩٩٢

٦- أديمولات - سالو، البيئة العالمية: جدول أعمال بحث لأفريقيا، .١٩٩٣

٧- م. مامدانى،آخرون، الحركات الاجتماعية والعلمية الديمقراطية فى أفريقيا، ١٩٩٣

٨- ثانديكا مكانداويرى، التكيف الهيكلى والأزمة الزراعية فى أفريقيا، ١٩٩٣

٩- آرشى مافيجى، الأسر المعيشية وآفاق إحياء الزراعة فى أفريقيا، .١٩٩٣

١٠- سليمان بشير ديانى،المسألة الثقافية فى أفريقيا، ١٩٩٦.

١١- ميشيل بن عروس، الدولة - والمنشقون عليها، ١٩٩٦.

١٢- عبدو مالك سيمون، عملية التحضر، والتغير فى أفريقيا، ١٩٩٩.

١٣- أمينة ماما، دراسات عن المرأة ودراسات النساء فى أفريقيا، ١٩٩٩.

١٤- تادى آكين آنيا، العولمة السياسية الاجتماعية فى أفريقيا، ١٩٩٩.

١٥- ممادو ديوف، ليبرالية سياسية أم انتقال ديمقراطى : منظورات أفريقية، .١٩٩٩

١٦- حكيم بن حمودة نظريات ما بعد التكيف الهيكلى، ٢٠٠٠.

١٧- كلوديو شوفتان، ماذا بعد ممارسات التنمية المشوهة فى أفريقيا؟، .٢٠٠٠

١٨- أشيلى ميمبى، عن الحكم الخاص غير المباشر، .٢٠٠٠

١٩- تشيكيلاك. بيايا، الشباب والعنف والشارع فى كنشاسا: نسمع ونفهم ونصف، ٢٠٠١.

٢٠- سليمان بشير ديانى، إعادة بناء المعنى: نصوص ورهانات لقراءة مستقبل أفريقيا، ٢٠٠١.

٢١- عثمان كان، المثقفون الأفريقيون المتحدثون بلغات غير أوروبية، ٢٠٠٥.

٢٢- جومو كوامى صندارام، الاعتبارات الاقتصادية للتجديد الوطنى، ترجمة: إسماعيل زقزوق، بالتعاون مع كوديسريا، ٢٠٠٨.

٢٣- آدم با كونارى، التاريخ والديمقراطية والقيم، خطوط جديدة للتأمل، ٢٠٢٠، ترجمة: مصطفى مجدى الجمال، ٢٠١٠.

٢٤- مايلن شونج كنج وآخرون، بحوث الطفولة فى أفريقيا، ترجمة منى مصطفى الجمال، ٢٠١١.

٢٥- كارلوس لوبيز، أفريقيا وتحديات جماعة المواطنين وعملية الاندماج: ميراث ماريودى أندراوى، ترجمة: شهرت العالم، ٢٠١١.

٢٦- أتيليو بورون، حقيقة الديمقراطيات الرأسمالية، ترجمة: مصطفى مجدى الجمال، ٢٠١٢.

٢٧- تيريزا كروز إى سيلفا، المجالان العام والخاص والدور الاجتماعى للجامعات فى أفريقيا، ترجمة: مصطفى مجدى الجمال، ٢٠١٢.

سلسلة كراسات اللجنة الاقتصادية لأفريقيا

أ- التنمية بالمشاركة

١- تعزيز التواصل بين مؤسسات صنع السياسة الحكومية وبين الجامعات والمراكز البحثية من أجل دعم الإصلاح الاقتصادى والتنمية فى أفريقيا.

٢- تحسين أداء المشروعات العامة فى أفريقيا: دروس من تجارب قطرية.

٣- تحسين أداء المشروعات العامة فى أفريقيا.

٤- تعبئة وإدارة الموارد المالية فى الجامعات الأفريقية.

٥- تحسين إنتاجية الخدمات العامة فى أفريقيا.

٦- دعم حيوية الجامعة الأفريقية فى التسعينيات ومابعدها.

٧- تهيئة البيئة لتنمية الفعاليات التنظيمية فى أفريقيا.

٨- تعبئة القطاع غير الرسمى والمنظمات غير الحكومية من أجل الإصلاح الاقتصادى والتنمية فى أفريقيا.

٩- الأخلاقيات والمساءلة فى الخدمات العامة الأفريقية.

١٠- أعمال ندوة حول الديمقراطية والمشاركة الشعبية لقادة نقابات العمال فى أفريقيا.

١١- الإثنية والصراع السياسى فى أفريقيا.

١٢- ميثاق عمل للمنظمات غير الحكومية فى أفريقيا.

ب- سلسلة التنمية بالمشاركة

١- دراسة حالة فى ناميبيا.

٢- دراسة حالة فى أوغندا.

٣- كيف تؤثر المنظمات الأهلية فى السياسات عن طريق البحث والضغط والدعوة.

٤- المبادئ الأساسية لتعزيز الحوار والتعاون والتداخل بين الحكومات والمنظمات الشعبية.

٥- دراسة حالة فى جامبيا.

٦- دراسة حالة فى أثيوبيا.

***

ج- سلسلة الدليل التدريبى للتنمية بالمشاركة الشعبية

١- الاتصال فى خدمة التنمية بالمشاركة.

٢-المنظمات المحلية غير الحكومية وتحقيق الاكتفاء الذاتى من الغذاء فى المجتمعات المحلية.

٣- مناهج تطوير المنظمات الأهلية للمشروعات.

٤- تخفيف الفقر وصيانة البيئة.

٥- تعريف دور وأهمية اتصال دعم التنمية من أجل المشاركة الفعالة فى عملية التنمية.

٦- إدارة المشروعات الصغيرة

٧- تصميم فعال لخدمات تنظيم الأسرة

٨- دور مؤسسات المجتمع المدنى في منع وإدارة وحل الصراعات فى أفريقيا.

النشرات

١- نشرة البحوث العربية: من العدد التجريبى يناير ١٩٩٠ إلى العدد (١٥-١٦) سبتمبر٢٠٠٣- مارس.٢٠٠٤

٢- نشرة المجلس الأفريقى لتنمية البحوث الاقتصادية والاجتماعية (كوديسريا): من العدد الأول أبريل ١٩٩١ إلى العدد السابع والخمسون، .٢٠١٢

٣-نشرة العلوم السياسية الأفريقية: من العدد الأول إلى العدد الثامن والثلاثون، أغسطس .٢٠٠٣

٤- نشرة الذاكرة الوطنية- مع لجنة التوثيق- العدد الثانى-أكتوبر .١٩٩٦

٥- نشرة منتدى العالم الثالث بداكار: العدد الأول يوليو ١٩٩٦- العدد الثانى يونيو ١٩٩٧.

٦- نشرة المنتدى العالمى للبدائل: العدد الثالث- فبراير .٢٠٠٢

٧- نشرة منظمة العلوم الاجتماعية لشرق وجنوبى أفريقيا (أوسريا)، العدد الثانى، يناير ٢٠٠٦.

تحت الطبع.

١. الجزء الخامس من وثائق الحركة الشيوعية المصرية من ١٩٥٤- ١٩٥٥.

٢. شهادات ورؤى: الجزء الثامن.

٣. أدب السجون

أفريقية عربية، العدد (١٦).

